

النفحات الجودية

في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية
ومناقب مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره
وحسن الخاتمة في رد الشبهات الآثمة

للفقير إلى الله تعالى

الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي النقشبندي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

وعميد كلية القرآن الكريم بطنطا

الدار الجودية
للنشر والتوزيع
برج العمدة – امتداد كورنيش النيل
بجوار مرور شبرا الخيمة
ت: ٠١٢/١٧٥٣٦٧٩ – ٠١٠/٥٤٣٠٥٩٩
٠٢/٤٥٥١٣٠٤

الطبعة الأولى: المؤلف هو الناشر ١٩٨٩
الطبعة الثانية: ٢٠٠٥
رقم الإيداع: ١٠٢٧٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: 977-6165-08-8

إهــــداء

إلى وارث الذات المحمدية، وفرعها الممتد في عصره،

قطب أقطاب زمانه، مثلي الأعلى، وشيخي الأكبر، وجدي الأنور،

سيدي ومولاي الشيخ جودة إبراهيم إمام الطريقة النقشبندية

رضي الله عنه وعنا به،

أهدي منه وإليه قطرة من بحار أنواره.

شـــمسٌ ظهـــرت للنـــاس محـــت ظلــــــمات البعـــــد لمنـــــــتهج

شـــيخي ومـــلاذي جـــودةُ مَـــنْ هـــو بـــابُ الفـــتح لمـــن يَلـــجِ

خادم الأعتاب الجودية

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

النقشبندي



جبة وقلنسوة وعصا
حضرة شـاة نقشـبند
سيدي محمد بهاء الدين
رضي الله عنه

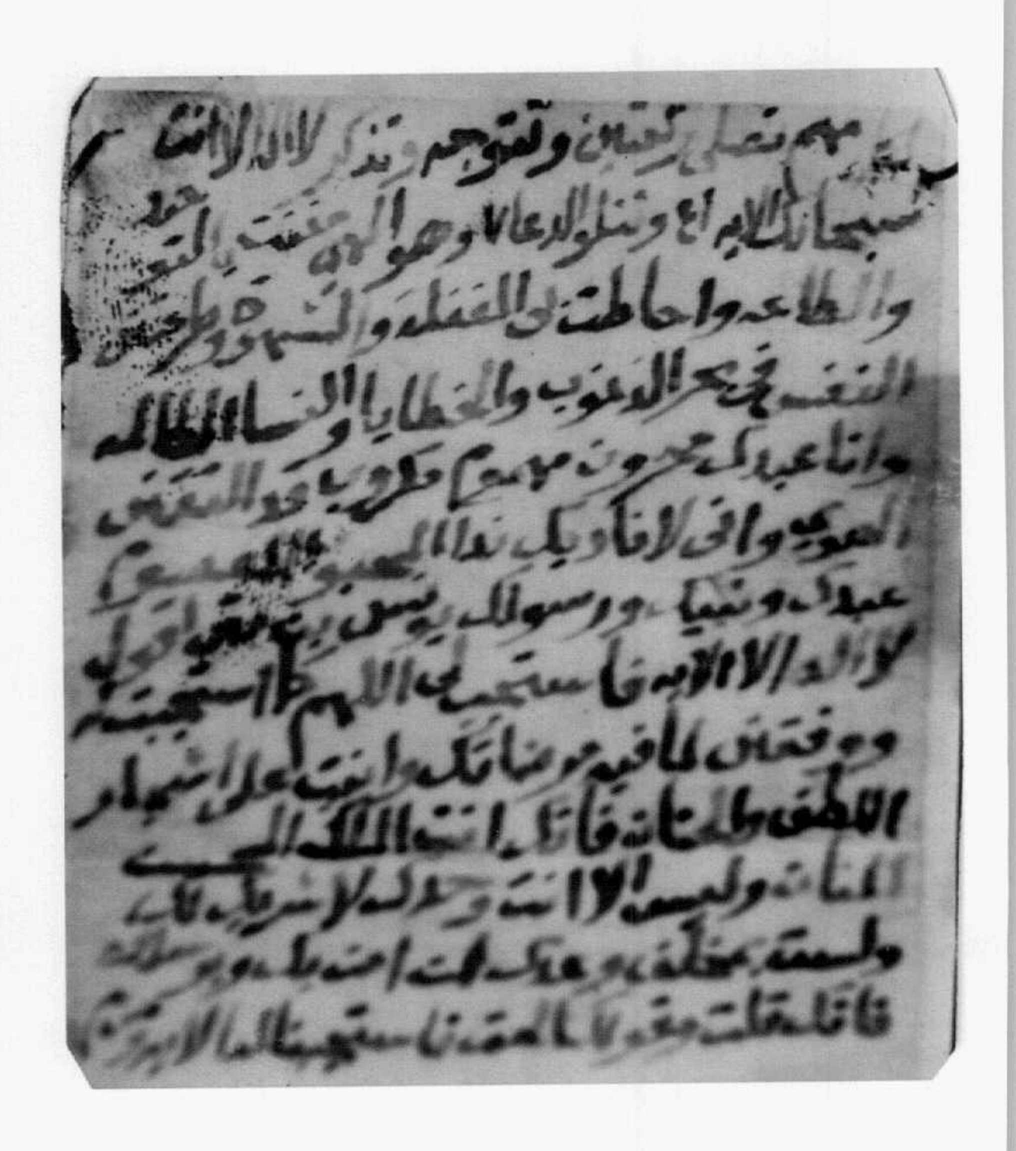
مقام وزير النبي صلى الله عليه وسلم
القطب الغوث سيدي الشيخ جودة إبراهيم

القطب النقشبندي
سيدنا الشيخ عيسى جودة
رضي الله عنه

القطب النقشبندي
سيدي محمد أبو اليزيد المهدي
رضي الله عنه

يكتب في صحن الفخار وان كان بلا بلل كان اجود
ويمحى بماء ويصب عليه زيت طيب قدر [illegible]
و[illegible] ويدهن الالم مرتين او ٣ على طهارة
البسملة المص كهيعص ١٨٨٨٨٨ اعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خلق لا تدركه الابصار الاية
انه بي لطيف الاية الم تر ان الله انزل من السماء الاية
يا بني انها ان تك الاية واذكرن ما يتلى الاية الله لطيف الاية
الا يعلم من خلق الاية المص كهيعص ٨٨٨٨٨ والحمد لله
وصلى الله وسلم على [illegible]
[illegible] للاعراض والارياح

فائدة بخط سيدي الشيخ جودة رضي الله عنه
للشفاء من الأمراض والآفات



فائدة بخط سيدي الشيخ جودة رضي الله عنه
لقضاء جميع الحاجات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ورضي الله تعالى عن أوليائه العارفين، وصفوته المقربين الذين اصطفاهم ربهم لحضرته واصطنعهم على عينه، واجتباهم لوصاله، وأتحفهم بمشاهدته، وجعلهم ضنائنه من عباده ومحل نظره في مملكته، أحبهم فأحبوه وأمرهم فأطاعوه، واستعبدهم فعبدوه وعرَّفهم فعرفوه، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، فلم يجدوا سبيلاً للشكر إلا اعترافهم بالعجز عن الشكر.

ونصبوا أنفسهم في محراب العبودية لله سبحانه يصهرون إنِّياتهم في ميدان الجهاد الأكبر تحرراً من رق النفس وأسر الأكوان فراراً إلى المُكوِّن، ومازالوا يرتقون من مقام إلى مقام حتى بلغوا المنتهى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[1]! ففنوا في الله عما سواه حتى عن فنائهم ثم بقوا بالله لا بذواتهم. هنالك أجلسهم الحق تعالى على منابر الخصوصية والتمكين، دعاة للخلق إلى رحاب الحق تقدست أسماؤه. فنالوا إرث الأنبياء من الدعوة إلى الله تعالى.

من ثَمَّ كان العلماء «بالله» - وهم الأولياء - هم ورثة الأنبياء.. ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2].. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[3].. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

١- سورة النجم / ٤٢ .
٢- سورة الأنفال / ٣٤.
٣- سورة المائدة / ٥٦ .
٤- سورة المجادلة / ٢٢.

أما بعد:

فيقول العُبَيْد الفقير إلى الله عز وجل، المُحتمِي بجاه وعطف سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ خادم أعتاب أولياء الحق تبارك وتعالى: جوده بن محمد أبي يزيد المهدي المحمدي ملة، والأشعري عقيدة، و الشافعي مذهبا، والنقشبندي طريقةً ومشربا:

إنه لما كانت سعادة العبد الحقيقية إنما هي في الوصول إلى الله عز وجل والفوز بولايته التي هي مناط الرضوان الأكبر و النعيم الأبدي: كان لزاماً على العبد -الراغب في الوصول- أن يسلك طريق تلك السعادة ويأخذ بأسباب تلك الولاية، فيرمي بأول قصده إلى الله تعالى فلا يعرج عنه حتى يصل إليه، فيصير عبداً ربانياً يرى بالله، ويسمع بالله ويبصر بالله، ويتحقق بمقام الإحسان الذي ورد تعريفه في الحديث الشريف «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

ففي رحلة الوصول لابد للمريد من التحقق بالفرار إلى الله عز وجل تلبية للتوجيه القرآني ﴿**فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ**﴾[2].

ولابد للمريد من الطريق، والزاد، والراحلة، والمرشد إلى معالم الطريق والمعرِّف بعقباته وكيفية اقتحامها للفوز بالوصول إلى الغاية.

أي أنه لابد للمريد -أساساً- من الشيخ المرشد المتشرع المتحقق ليقود خطاه على درب النور، وليبلغ بالمريد إلى المراد وليصله بالله من حيث وصل.

ولما منَّ الحق تبارك وتعالى على عبيده الفقير بشرف الانتماء إلى الطريقة النقشبندية الخالدية الجودية، وكانت تلك الطريقة العلية جامعة للفضائل

---

١ - خرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير «١/ ١٢٢ ط الحلبي الرابعة» عن البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

٢ - سورة الذاريات/ ٥٠.

والمآثر حائزة للمعالي والمفاخر؛ لما حازه أقطابها من شرف النسبتين: الصدِّيقية والعلوية، ولما تفردت به من منهج صوفي رفيع -نذكره لها من قبيل التعريف لا المفاضلة- حق عليّ لذلك وفاءً بحق شرف الانتساب، واستجابة لرغبة الأحباب والطلاب أن أستعين بالله تعالى في تسطير حرف من مآثرها، وتسجيل ما تجود به المنة من لمحة من مناهجها وآدابها وأذكارها مقدماً لذلك بما لا يتم الواجب إلا به من تعريف بالتصوف والولاية، مثبتاً في ثنايا تلك النفحات ورد السادة النقشبندية لروح الطريقة وشيخها سيدي محمد بهاء الدين الحسني الحسيني الأويسي البخاري المعروف بشاة نقشبند قدس الله سره العظيم وأمدنا بمدده في الدنيا ويوم الدين.

ثم مُعَقِّبًا ببيت القصيد، وجوهرة المريد، فأتناول بالتعريف والتشريف على قدر طاقة الفقير الضعيف بعضاً من مناقب شيخنا وقدوتنا إلى الله عز وجل سيدي الشيخ جودة بن إبراهيم الحسني الحسيني شيخ الطريقة النقشبندية العلية قدس الله سره وأغدق علينا مدده وبره. ملتمساً من زواخر بحاره قطرة، ومن أعماق محيطه درة، مسجلاً من صحائف مجده سطراً يزدهي به التاريخ فخراً.

ثم مُخْتتِمًا ذلك بخاتمة في إزهاق أباطيل خصوم الصوفية والرد على شبهاتهم الواهية مستعيناً بالله عز وجل.

وأسأل الله تعالى بجاه قرة عين الوجود صاحب الجاه الأسمى والمقام المحمود سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبجاه سادتي ورثته من أئمة الطريق النقشبندي أن يوفقني في تسطير هذه الكلمات الطيبات والاستمداد لتلك النفحات، وأن يجعل عملي فيها خاصا لوجه الكريم متقبلاً بقبول حسن وشافعا لي في الاحتساب على أعتاب السادة أولياء رب العالمين،

فهم ذخري وعدتي وعتادي وأملي في الفوز بالوصول إلى الله على طريق رضاه وهداه وحسبي أن أحسب في عداد خدامهم ومحبيهم وأن أردد مع القائل الكريم قوله:

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود وعلى آله وصحبه وعترته الطاهرين تسليما دائما بقدر عظمة ذاته في كل وقت وحين صلاة وسلاما أحظى بالاستغراق في أنوارهما أبد الآبدين.

اللهم آمين يا رب العالمين

الفقير إلى الله
جودة محمد أبو اليزيد المهدي النقشبندي

تمهيد ومدخل
التصوف طريق الوصول إلى الله عز وجل

في قمة علياء الحياة الروحية في الإسلام يتحقق الخاصة من عباد الله بالربانية ويتسنمون ذرى التوحيد والتجريد و التفريد فيكون العبد بربه لا بنفسه ويستغرق في مقام «أشهد» أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله. فما يشهد الصوفي إلا بما يشاهد وما ينطق إلا عن تحقق.

من ثم وقف الصوفية في الصف الأول خلف سيدنا رسول الله ﷺ في عين الجمع في حضرة الله عارفين بآداب العبودية مستغرقين في محيط الربانية. تغمرهم الأنوار وتكشف لهم الأسرار وترفع عنهم الأستار، ولا عجب فهم ضنائن الحق وصفوة الخلق وورثة النبي ﷺ أولئك هم الصفوة الصوفية.

فلنتعرف -ما وسعنا التعرف- على حقيقة التصوف ومضمونه الذي حظي به خواص أولياء الله تعالى وأحبابه المقربين.

أما من حيث تسمية التصوف:

فيقول بعض العلماء: إن التصوف مشتق من الصوف، يقال تصوف الرجل، إذا لبس الصوف كما يقول تقمص إذا لبس القميص. وإنما نسب الصوفية إلى الصوف نسبة لهم إلى ظاهر اللُبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه كان لباس الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام[1].

فقد روى الإمام السهروردي في «عوارف المعارف» أن رسول الله ﷺ قال: «**مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت**

---

١ - انظر اللمع لأبي نصر الطوسي: ص٤٢ ط/ دار الكتب الحديثة.

الحرام»، كما روي عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف»[1].

وكان سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مقتدين بالسلوك المحمدي فتأسوا بالنبي ﷺ في لبس الصوف حتى لقد قال الإمام الحسن البصري ﷺ -فيما ذكره صاحب العوارف- «لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف»[2] لقد هجروا زينة الدنيا واشتغلوا بأمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس، لأنهم آثروا حظ الأرواح وتطهير القلوب لاستشراف أنوار المحبوب. وليست النسبة إلى الملبوس بدعا في التسمية أو قصراً على السادة الصوفية بل إن لها في القرآن الكريم مستنداً ونظيراً.

فقد سمي خواص أتباع سيدنا عيسى على نبينا و(عليه السلام) بالحواريين، فنسبوا إلى الحوار وهو البياض، لملازمتهم لبس الثياب البيض ووردت في التنزيل الحكيم تسميتهم كذلك فقال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ**﴾[3] فليس هناك تكأة لمجادل يتشبث بجدله في التسمية ويتخذها حجة لإنكار المسمى[4].

وثمة أوجه أخرى للتسمية غير ذلك. فقال بعض العلماء: إنما سميّ الصوفية كذلك لنسبتهم إلى صُفَّةِ مسجد سيدنا رسول الله ﷺ، وأخذهم طريقهم عن أهل الصفة، وقيل أنه مأخوذ من الصف، لأن الصوفية من الصف الأول بقلوبهم على الله تعالى في المحاضرة، وقال بعض العلماء أنه مأخوذ من الصفاء كما قال أبو الفتح البستي:

١، ٢ - انظر عوارف المعارف للإمام السهروردي «ملحق بكتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي» ٥/ ٦٤ط: التجارية.

٣- سورة المائدة / ١١٢ .

٤- انظر اللمع للإمام أبي نصر الطوسي ص/ ٤١.

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى

صافى فصوفي حتى سمي الصوفي[1]

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا

وظنوا الاسم مشتقًّا من الصوفِ

وكلها آراء تصيب جوهر المضمون غير أن أقربها من حيث اللغة هو الرأي الأول حيث النسبة إلى الصف والصفاء، والصفة تأتي على صفي وصفائي وصفي، وتنفرد النسبة إلى الصوف بصوفي ذلك من حيث التسمية.

أما من حيث الحقيقة والمعنى: فلأئمة التصوف في معناه أقوال وتعاريف تفوق الألف عددا[2]، وعلى رغم تعددها تتلاقى في الجوهر والحقيقة بل وتثري الكشف عن مضمونه، فكل من السادة يعبر بحسب مذاقه وبحسب حالته التي هو عليها ومقامه الذي تحقق به. فلنذكر بعض هذه التعاريف التي تحلق بنا في أجواء الحقيقة:

١ – يقول سيد الطائفة الصوفية مولانا الإمام الجنيد – وهو أحد ساداتنا النقشبندية ﷺ وعنا به «ت سنة ٢٩٧ هـ»: التصوف هو: أن يميتك الحق عنك ويحييك به[3].

---

١ – انظر عوارف المعارف «ملحق الاحياء»، ٤/ ٦٥ وإيقاظ الهمم في شرح الحكم للإمام ابن عجيبة ص/ ٨: ط. الحلبي.

٢ – قال الإمام السهروردي في العوارف، ص٦٤: وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول.

٣ – انظر الرسالة القشيرية للإمام القشيري بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف: ٢/ ٥٥١ واللمع للطوسي ص/ ٤٥.

٢- وسئل الإمام الجنيد ﷺ مرة أخرى عن حقيقة التصوف فقال: «هو أن تكون مع الله بلا علاقة»[١] والمعنى والله أعلم: أن تكون مع الله بالله لله فلا تكون بنفسك ولا لعلة إذ العبودية لله تعالى تستلزم التحرر عما سواه.

٣- وقال سيدي معروف الكرخي - وهو أحد أقطاب النقشبندية- ﷺ «ت: سنة ٢٠٠ هـ»: «التصوف: الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق»[٢].

٤- وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ «ت: سنة ٦٥٦ هـ»: «التصوف: تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية». وقال ﷺ: «للصوفي أربع صفات: التخلق بأخلاق الله، وحسن المجاورة لأوامر الله، وترك الانتصار للنفس حياء من الله، وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله»[٣].

٥- وقال الإمام أبو بكر الكتاني ﷺ «ت: سنة ٣٢٢ هـ» «التصوف صفاء ومشاهدة». وقال مرة أخرى: «التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء»[٤].

٦- وسئل سيدي ذو النون المصري ﷺ «ت: سنة ٢٤٥ هـ» عن أهل التصوف فقال: «هم قوم آثروا علم الله على علم نفوسهم وإرادة الله على إرادة نفوسهم»[٥].

---

١ ، ٢ - انظر الرسالة القشيرية للإمام القشيري بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف: ٢/ ٥٥١ واللمع للطوسي ص/ ٤٥.

٣- انظر المفاخر العلية في المآثر الشاذلية للشيخ أحمد بن عياد ص١٠٧ ط الحلبي.

٤- انظر الرسالة القشيرية ٢/ ٢٥٤ وتعليقات الدكتور عبد الحليم محمود على المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ص١٦٧ ط الخامسة.

٥- انظر عوارف المعارف للإمام السهروردي ص٦٣ بملحق الإحياء.

٧- ويقول سيدي جعفر الخلدي ﷺ «ت: سنة ٣٤٨ هـ»: «التصوف: طرح النفس في العبودية و الخروج من البشرية، والنظر إلى الحق بالكلية»[1].

٨- ويقول سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي -شيخ شيخنا الشيخ جودة إبراهيم- رضي الله عنهما «ت: سنة ١٣١١ هـ»: «وأما التصوف ففي اصطلاح أهل الحقيقة: التخلق بأخلاق الصوفية والتوسل بأوصافهم إلى الانتظام في سلكهم».

ثم يقول شيخ شيخنا رضي الله عنهما ونفعنا بهما: «واعلم أن حقيقة التصوف: قطع الشهوات، وترك الدنيا والمستحسنات والميل عن المألوفات. وهو مبني على ثمان خصال: السخاء والرضا والصبر والإشارة والغربة، ولبس الصوف، والسياحة والفقر».

فالسخاء لإبراهيم الخليل، والرضا لإسحق، والصبر لأيوب، والإشارة ليحيى، والغربة ليوسف، ولبس الصوف لموسى، والسياحة لعيسى والفقر لمحمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء وآل كل أجمعين. وحَدُّهُ أي التصوف -كما قال الغزالي: «تجريد القلب لله واحتقار ما سواه»[2].

٩- ويقول السيد الشريف الجرجاني النقشبندي - فيما نقله عنه سيدي أحمد ضياء الدين رضي الله عنهما- «التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيسري حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيسري حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال»[3].

---

١ - انظر أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود مع المنقذ من الضلال ص١٦٧.

٢ ، ٣- انظر متممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص١٨٧.

١٠- وسئل سيدي أبو سعيد الخراز ﷺ عن الصوفي فقال: «هو من صفّى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله»[١].

١١- ولسيدي الإمام أبي العباس المرسي ﷺ في معنى الصوفي تخريج بديع إذ يقول: «الصوفي مركب من حروف أربعة: الصاد، والواو، والفاء، والياء:- **فالصاد**: صبره وصدقه وصفاؤه. **والواو**: وجده ووده ووفاؤه. **والفاء**: فقده وفقره وفناؤه. **والياء**: ياء النسبة، فإذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه»[٢].

١٢- وقال الإمام الشبلي ﷺ: «الصوفي منقطع عن الخلق غير متصل بالحق كما قال الله لموسى عليه السلام ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾. قطعه عن كل غير ثم قال لن تراني»[٣].

«وأقول» المراد بقوله غير متصل بالحق نفي الحلول والاتحاد وإلا فالصوفي متصل بالله اتصال قرب ومعرفة بلا خوف.

وبعد هذه السياحة الروحية في رحاب القوم الصوفية حول مفهوم التصوف وحقيقته يتجلى لكل ذي بصيرة نيرة أن مشرب السادة الصوفية هو أعلى المشارب وأن مذاقهم هو أصفى وأنقى وأحلى المذاقات. وليرتدع كل ذي إنكار على الحق خشية أن يتبعه من لوامع بوارقهم شهاب ثاقب فيرديه في مهاوي الضياع والخسران، أعاذنا الله تعالى من غضبهم ومن الحرمان من عطفهم آمين، ولننتقل بعد إلى:

---

١ - انظر أبحاث في التصوف -ملحقة بالمنقذ من الضلال- للدكتور عبد الحليم محمود ص١٦٧.

٢ - انظر لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن للإمام أحمد بن عطاء الله السكندري بحاشية لطائف المنن للإمام الشعراني ١/ ٢١٠.

٣ - انظر متممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص١٨٧.

لقد أعلن الحق تعالى شأنه حقيقة الولاية ودستورها في القرآن العظيم بقوله عزَّ مِنْ قائل: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

وسئل سيدنا رسول الله ﷺ من هم أولياء الله؟ فقال: «هم الذين يذكر الله عند رؤيتهم»[2].

وقال القرطبي في تفسيره: «وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية – أي الآية السابقة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطُهُم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى، قيل: يا رسول الله، خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس –ثم قرأ– ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**»»[3].

وذكر القرطبي أيضاً –في نفس الموضع– أن سيدنا عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال: «أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من العبر، خمص البطون من الجوع، يبس الشفاه من الذوي –أي الذبول–»!!.

---

١ – سورة يونس / ٦٢ – ٦٤.

٢ – خرجه الحافظ عبد الله الصديق الغماري عن النسائي والبزار وغيرهما عن سيدنا سعيد بن جبير مرسلاً وله طرق أخرى عن أنس «انظر الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام» ص٦٤ وروى الإمام أحمد نحوه في المسند «٣/ ٤٣٠».

٣ – انظر تفسير القرطبي ص«٨/ ٣٥٧ط دار الكتب» والحديث مخرج في المصدر السابق للحافظ الغماري عن أبي داود في سننه وعن النسائي نحوه عن أبي هريرة وله طرق كثيرة.

ولنتعرف على الولي عند علماء القوم وأقوال أهل الحقيقة في الولاية والأولياء: يقول مولانا الإمام القشيري ﷺ في رسالته: «الولي له معنيان: أحدهما، فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال تعالى ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1] فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته. والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان».

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع[2].

ولفظ الولاية لغة يعطي معنى القرب، فيقال ولي الشيء، إذا قرب منه ودنا. فالولي بالمعنى الشرعي: من قربه ربه فاقترب منه مع حفظ آداب العبودية والقيام بحقوق الربوبية.

ولنستمع إلى صوت الحقيقة لينبئنا عن حقيقة الولاية. يقول شيخ شيخنا سيدي أحمد ضياء الدين قدس سره: «الولي: من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ «الولاية»: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك يتولاه الحق حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين» ا. هـ[3].

---

١ - سورة الأعراف / ١٩٦.

٢ - انظر الرسالة القشيرية بتحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود الشريف ٢/ ٥١٩.

٣ - انظر متمات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص٧٤ ط / الحلبي.

وقال سيدي أبو علي الجوزجاني -من أئمة الطريق- ﷺ فيما يرويه صاحب الرسالة القشيرية: «الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي. لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار»[1].

ويقول صاحب الرسالة أيضا: وقال أبو يزيد -أي البسطامي شيخنا ﷺ- «حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو: الأول والآخر والظاهر والباطن. فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام.

فمن كان حظه من اسمه تعالى «الظاهر» لاحظ عجائب قدرته. ومن كان حظه من اسمه «الباطن» لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره. ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه «الآخر» كان مرتبطا بما يستقبله، وكلٌّ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه»[2].

وقال سيدي يحيى بن معاذ ﷺ في صفة الأولياء: «هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية». **وقال:** الولي ريحان الله تعالى في الأرض يشمه الصديقون فتصل رائحته إليهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم[3].

وقال بعض العارفين: «علامة الولي ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله وهمه إلى الله».

وقال سيدي أبو سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه: «إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب

١، ٢، ٣- انظر الرسالة القشيرية: ٢/ ٥٢٣.

القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو. فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع في حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه»[1].

لله ما أحلى وما أشهى حديث الولاية والأولياء من فم الأولياء الذين شربوا من رحيق الأنس والمحبة، فنالوا اختصاصهم من الحضرة، يقول شيخ شيخنا سيدي أحمد ضياء الدين قدس الله سره في «جامع الأصول» مبرزاً مشارب الأولياء بلغة العارف المتحقق:

«اعلم أن لكل من الأولياء خصوصية وهمة في الحياة والممات: كنقش الحقيقة والإلقاء في بحر الوحدة والفناء والاستغراق لشاه نقشبندي محمد بهاء الدين، وقوة التصرف والإمداد لعبد القادر الجيلاني، وقوة العلم والواردات لعلي أبي الحسن الشاذلي، وخرق العادة والفتوة لحضرة أحمد الرفاعي، والترحم والتعطف للسيد أحمد البدوي، والسخاء والكرامة لإبراهيم الدسوقي، والعرفان والإكمال للشيخ الأكبر، والمحبة والعشق لمحمد جلال الدين الرومي، والغيبة والمحو للإمام السهروردي، والرياضة والأواهية للشيخ خضر يحيي، والوجد والجذبات لنجم الدين الكبرى، وإن ثبتت هذه الخصلة نوعا لكل الأولياء إلا أنها خصوص وغاية ومقام لهؤلاء العارفين وكل قوم بما لديهم فرحون»[2]!!

سبحان من أغدق على أوليائه من فيض عطائه ما يجل عن الوصف!!

---

١ - انظر الرسالة القشيرية ٥٢٢ – ٥٢٣.

٢ - انظر جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي النقشبندي «ص: ط: الحلبي».

إنذار الله لأعداء أوليائه بالحرب: ألا فليحذر المنكرون على أولياء الله سطوة متوليهم، فهو المنتقم لهم من أعدائهم مصداقا للحديث القدسي الشريف، الذي نسوقه لكل معترض على الأولياء منكر لمسلك خاصته الصوفية - وهو الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه..** »الحديث[1].

نسأل الله تعالى موالاة أوليائه والموت على حبهم بجاه النبي الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ومن والاه أبد الآبدين.

---

١ - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه «٤/ ٨٧: حجازي».

الباب الأول

الطريقة النقشبندية

تمهيد:

قبيل التعرف على الطريقة النقشبندية العلية ومنهاجها الصوفي يجدر بنا أن نعرف أولا: ماهية الطريق ومشروعية سلوك الطريق إلى الله عز وجل.

ولقد أسلفنا أنه لابد للعبد من تصفية قلبه لله وتخليته من الأكدار والأغيار ليتسنى للعبد الوصول إلى الله عز وجل وأن يكون صوفيا ربانيا فما الوسيلة لتلك التصفية التي يدخل بها العبد مقام **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾** ويحظى بالوصول إلى جناب رب العالمين؟؟

إنها سلوك الطريق الصوفي على يدي شيخ مرشد عالم بآداب الشريعة ومناهج الطريقة الموصلة إلى الحقيقة.

يقول أحد أقطاب الصوفية وهو سيدي نجم الدين الكبرى شيخ الطريقة الكبروية ﷺ: «الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر. فمن أراد الدر ركب في السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدر. فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدر».

فأول شيء وجب على الشخص من المطالب فهو الشريعة، والمراد منها أوامر الله ورسوله من الغسل، والوضوء والصوم والصلاة وغير ذلك من الأوامر والنواهي.

والطريقة: هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى الله زلفى من قطع المنازل والمقامات. **وأما الحقيقة**: فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي كما قيل: في الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة في الشريعة، والقربة في الطريقة، والوصلة في الحقيقة، والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاثة، كما قيل: «الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده» ا. هـ[1].

وإن من يمعن النظر في فاتحة الكتاب العزيز: يجد الشريعة والطريقة والحقيقة أوضح من شمس النهار. فقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: تجسيد للشريعة التي هي القيام بواجب العبودية لله من العبادة المشروعة، فالتزام العبادة المشروعة، هو الحفاظ على الشريعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إقرار بالحقيقة وهي أن قوام كل شيء بالله، فمن كشف له لم ير في الوجود على الحقيقة غير الله بلا حلول ولا اتحاد. وفي قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توجيه رباني من الحق تعالى لعباده أن يسألوه هدايتهم للطريق المستقيم إليه سبحانه، وذلك سند سلوك الطريقة. كما يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

فسلوك الطريق إلى الله تعالى هو السبيل إلى تحقيق التقوى التي هي ركيزة الولاية للمؤمن؛ فقد عرف الحق تعالى أولياءه بأنهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وتحقيق ذلك رهن بسلوك الطريق المستقيم إلى الله سبحانه.

---

١ - انظر جامع الأصول لشيخ شيخنا: سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص٤٣ ط الحلبي وانظر أيضاً: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية للشيخ أحمد بن عياد ص١٨٨ ط الحلبي.

٢ - سورة الأنعام / ١٥٣.

الفصـــــل الأول

بيان حقيقة الطريقة عند الصوفية ومدلول الطريقة النقشبندية

يقول الإمام أحمد ضياء الدين النقشبندي قدس الله سره في بيـان معنـى الطريقـة في اصـطلاح الـسادة الـصوفية:- «الطريقـة هـي الـسيرة المختـصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات»[1].

ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس سره: «الطريـق القـصد إلى الله تعالى أربعة أشياء فمن حازها فهو من الـصديقين المحققـين، ومـن حـاز منهـا ثلاثا فهو من الأولياء المقربين، ومن حاز منها اثنين فهو من الـشهداء المـوقنين، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين. أولها: الذكر وبساطه العمـل الصالح وثمرته النور، والثاني: التفكر وبساطه الصبر وثمرته العلم، والثالث: الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه، والرابع: الحب وبـساطه بغـض الـدنيا وأهلها وثمرته الوصلة بالمحبوب»[2].

والخلاصة: أن طريق التصوف هو طريق القمة والنـور. يقـول سـيدنا الإمام الغزالي ﷺ- بعد أن وصل إلى قمة العلم الظاهر وقهر الفلاسـفة وحـاز إمامة الدنيا: «والقدر الذي أذكره لينتفع به: أني علمت يقينـا أن الـصوفية هـم السالكون لطريـق الله تعـالى خاصـة، وأن سـيرتهم أحـسن الـسير، وطـريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقـل العقـلاء وحكمـة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شـيئا مـن سـيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجـدوا إليـه سـبيلاً، فـإن جميـع حركـاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة».

---

١ - انظر متممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص٦٣ ط الحلبي.

٢ - انظر المفاخر العلية للشيخ أحمد بن عباد ص٦٠ ومتممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين ص١٢٢.

وبالجملة: فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها: -وهي أول شروطها- تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى. ومفتاحها -الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة- استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها: الفناء بالكلية في الله. **ثم يقول**: «ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد» ا. هـ[1].

ثم لنقصد الآن إلى التعرف على خصوص طريقتنا النقشبندية العلية فنتعرض أولا لبيان التسمية. ما معنى النقشبندية؟؟ ولم سميت بهذا الاسم؟ **فنقول: إن النقشبندية**: منسوبة إلى «نقش بند» وهذا اللفظ فارسي ومعناه ربط النقش، والنقش، هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه، وربطه بقاؤه من غير محو. وفي توجيه تسمية الطريقة النقشبندية بهذا الاسم يقول الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في «الحديقة الندية»: «.. تسمى نقشبندية، أي: منسوبة إلى نقش بند.

ومعناه: ربط النقش وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد. وكان ذكرهم في الانفراد إلى زمان الشيخ بهاء الدين الملقب بهذا اللقب رحمه الله تعالى: في الانفراد خفية وفي الجمع سراً وجهرا، فأمرهم الشيخ بهاء الدين بالخفية بأمر له من الخواجة[2] عبد الخالق الغجدواني شيخ مشايخه في عالم السير، فكان يُسِّر بالذكر انفراداً وجمعا هو وجماعته، فيصير من ذكرهم لذلك في قلب المريد تأثير بليغ، فكان يقال لذلك التأثير: «نقش» وذلك الذكر «بند» أي ربط»[3].

---

١ - انظر المنقذ من الضلال لسيدي الإمام أبي حامد الغزالي – مع أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود: ص١٢٨ «الطبعة الخامسة».

٢- لفظ الخواجة فارسية ومعناه: الشيخ

٣- انظر الحديقة الندية في آداب الطريقة القشبندية والبهجة الخالدية للعلامة الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي ص١٨ ط المعاهد بمصر.

ومن ثم: فقد سميت هذه الطريقة كذلك، لأن شيخنا وهو سيدي محمد بهاء الدين ﷺ كان يذكر الله تعالى بالقلب إلى أن انتقش لفظ الجلالة بالنور الإلهي في قلبه الشريف، وظهر النقش على ظاهر القلب أيضا ومن ثم عرف بالنقشبندي[١].

ولقد ذكر صاحب «المواهب السرمدية»: أنه سمع من بعض خلفاء النقشبندية يقول: «إن النبي ﷺ وضع كفه الشريف على قلب الشيخ وهو في حالة المراقبة فصار نقشا»[٢]!!

ولا يمنع للجمع بين السببين الواردين للتسمية — أن يكون ذلك النقش بيد سيد الوجود صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم قال ناظم السلسلة النقشبندية قدس سره:

ببهـــاء الـــدين محمـــد رو	ح طريقتنـــــا الله نجـــــي
صـــافى المـــولى حتـــى انتقـــشت	أســـماء الـــذات عـــلى المهـــج

وللتسمية دلالات أخرى نص على طرف منها سيدي عبد الغني النابلسي ﷺ إذ ذكر منها ما خلاصته: أن أسماء الحق تعالى وصفاته المتوجهة من الذات العلية على خلق سيدنا آدم عليه السلام وبنيه بلا كيف ولا أين قد ظهر لتوجهها نقشٌ في ذواتهم، فمنهم من محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه، ومنهم من كمل نقشه فسمي نقشبنديا أي لازم النقش ا. هـ[٣].

١، ٢- انظر المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي: ص١٠ ط: السعادة «الأولى».

٣- انظر مفتاح المعية في بيان طريق النقشبندية لإمام عبد الغني النابلسي ص٢٣ – ٢٤ من مخطوطة دار الكتب المصرية، والكتاب المذكور شرح للعارف النابلسي على رسالة الشيخ أبي سعيد النقشبندي في بيان آداب الطريقة النقشبندية. ونحن بصدد تحقيقه ونشره بالدار الجودية قريباً إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

سند الطريقة النقشبندية وسلاسلها

لابد للمنتسب إلى طريق من طرق الوصول إلى الله عز وجل أن يقف على المناهل الروحية التي يتسلسل فيها المدد المحمدي الصوفي، ويتدفق الفيض الإلهي، والنور القدسي بدءاً من روح العالمين صلوات الله وسلامه عليه حتى يصب في شيخه، وقد نقل الإثبات عن الإمام الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وعنا به أنه قال:

«اعلم أيها الطالب المريد - وفقنا الله وإياك لمرضاته- أن من لم يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى - وفي رواية فهو دعي- وربما انتسب لغير أبيه فيدخل في قوله ﷺ: **«لعن الله من انتسب لغير أبيه»**[1].

فالشيخ هو أبو الروح وهو أولى بالانتساب إليه من أبي الجسم، وقد أجمع المحققون من الصوفية على أن من لم يصح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريقة من شيخ كامل محقق مجمع على جلالته وخبرته في الطريق، ثم يؤذن له صريحا بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف ﷺ.

والسر في التلقين: إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى حضرة مولانا رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل.

---

١ - أخرج ابن ماجه في سننه «٢/ ٨٧٠» عن الإمام ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من انتسب إلى غير أبيه أو قوله غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين: أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم إلى حضرة الله عز وجل، فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة[1]».

بعد هذا التمهيد في ضرورة معرفة النسب الروحي في الطريق. أقول: أن للطريقة النقشبندية الخالدية الجودية ثلاث سلاسل تنتهي إلى حضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم، وهي على النحو التالي:

السلسلة الأولى:

تبتديء من مدينة العلم ﷺ إلى بابها الأعظم سيدنا الإمام على كرم الله وجهه إلى مولانا سيد الشهداء أبي عبد الله الإمام الحسين رضي الله عنه وعنا به إلى سيدنا الإمام على زين العابدين إلى سيدنا الإمام محمد الباقر إلى سيدنا الإمام جعفر الصادق إلى سيدنا الإمام موسي الكاظم إلى سيدنا الإمام على الرضا إلى سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنهم أجمعين «وهنا ملتقي السلسلة الأولى بالثانية».

ثم من سيدنا معروف الكرخي إلى سيدنا السري السقطي إلى سيدنا الإمام أبي القاسم الجنيد «سيد الطائفة الصوفية» رضي الله عنه. إلى سيدنا أبي على الروزباري إلى سيدنا أبي على الكاتب إلى سيدنا أبي عثمان المغربي إلى سيدنا أبي القاسم الكركاني إلى سيدنا أبي على الفارمدي «شيخ السلسلة الثالثة» رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

١ - انظر جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ص١٠٨ والحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي ص٩ والنقل المذكور عن سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه وعنهم وعنا بهم أجمعين من كتابة مدارج السالكين. وانظر في هذا الصدد أيضاً: البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية للسيد محمد بن عبد الله الهاني النقشبندي: ص١٠.

السلسلة الثانية:

وهي المتصلة من حضرة الرسول الأعظم ﷺ إلى سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى سيدنا الحسن البصري إلى سيدنا حبيب العجمي إلى سيدنا داود الطائي إلى سيدنا معروف الكرخي «شيخ السلسلة الأولى» رضوان الله عليهم أجمعين.

السلسلة الثالثة:

«وتعرف بالسلسلة الصديقية» وتمتاز بعلو السند – أي قلة الوسائط – وتلقي بعض رجالها بالروحانية الحقة، وهي المتصلة بروح العالمين أبي الأرواح سيدنا رسول الله ﷺ إلى حضرة مولانا الصديق الأعظم سيدنا أبي بكر ﷺ إلى سيدنا سلمان الفارسي إلى سيدنا القاسم بن سيدنا محمد ابن سيدنا أبي بكر الصديق إلى سيدنا جعفر الصادق «حيث تلتقي بالسلسلة الأولى». إلى سيدنا أبي يزيد البسطامي إلى سيدنا أبي الحسن الخرقاني إلى سيدنا أبي علي الفارمدي «شيخ السلسلتين الأولى والثانية».

ومن سيدنا أبي علي الفارمدي تتسلسل الطريقة النقشبندية حتى تنتهي إلى عصرنا هذا على النحو التالي: فمن سيدنا الفارمدي سرت نسبة الطريقة النقشبندية العلية إلى سيدي يوسف الهمداني إلى سيدي عبد الخالق الغجدواني إلى سيدي عارف الريوكري إلى سيدي محمود الإنجيرفغنوي إلى سيدي علي الراميتني إلى سيدي محمد بابا السماسي إلى سيدي الأمير كلال إلى روح الطريقة سيدي محمد بهاء الدين النقشبندي ﷺ إلى سيدي علاء الدين العطار إلى سيدي يعقوب الجرخي إلى سيدي عبيد الله أحرار إلى سيدي محمد الزاهد إلى سيدي درويش محمد إلى سيدي محمد الخواجكي الأمكنكي إلى سيدي محمد الباقي بالله إلى سيدي الإمام الرباني مجدد الألف الثاني مولانا أحمد الفاروقي ﷺ إلى

سيدي محمد المعصوم إلى سيدي سيف الدين إلى سيدي نور محمد البدواني إلى سيدي حبيب الله مظهر إلى سيدي عبد الله الدهلوي إلى حضرة سيدي ضياء الدين محمد خالد النقشبندي مجدد الطريقة قدس الله سره إلى سيدي أحمد بن سليمان إلى سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي إلى حضرة سيدنا ومولانا وقدوتنا إلى الله عز وجل سيدي وجدي الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره «وهو إمام الطريقة النقشبندية في هذا العصر ومركز إشعاعها في أرض مصر».

وعنه تلقى نجله المبارك مولانا الشيخ عيسى جودة ومولانا الشيخ عليوة عطية المسلمي وفضيلة والدي الشيخ محمد أبي يزيد المهدي ﷺ. وعنهم تلقى الطريقة: الفقير إلى الله تعالى خادم تراب النقشبندية كاتب هذه السطور[1].

* وهناك للنقشبندية فرع آخر بمصر يتفرع من سيدي خالد ضياء الدين إلى الشيخ عثمان إلى الشيخ عمر إلى العارف بالله تعالى الشيخ نجم الكردي رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين وعن سائر أهل السلسلة النقشبندية وسائر أولياء الله تعالى في كل عصر وحين.

* وكذلك ثمة فرع نقشبندي بمصر لسيدي محمد البغدادي ﷺ.

* كما أن هناك فرعاً ينمى إلى الشريف إسماعيل النقشبندي ﷺ ويقوم عليه الآن الشيخ تقادم بصعيد مصر.

ألقاب السلسلة النقشبندية

ذكر أئمة النقشبندية أن لهذه الطريقة العلية ألقاباً باختلاف الأطوار والأعصار التي مر بها وإن اشتهرت تسميتها بالنقشبندية.

---

١ - انظر سلاسل الطريقة النقشبندية في جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين ص١٠٧ والحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي: ٦ - ٩.

فهي من حضرة مولانا الصديق الأعظم سيدنا أبي بكر ﷺ وعنا به إلى سلطان العارفين سيدي أبي يزيد البسطامي ﷺ وعنا به، تسمى «صديقية»، ومنه إلى حضرة رئيس الخواجكان سيدي عبد الخالق الغجدواني قدس الله سره تسمى «طيفورية» (نسبة إلى طيفور وهو اسم سيدي أبي يزيد).

ثم منه إلى حضرة إمام الطريقة سيدي بهاء الدين الأويسي البخاري تسمى «خواجكانية» ومنه إلى حضرة الغوث الأعظم سيدي عبيد الله أحرار تسمى «نقشبندية» أي منسوبة إلى نقش بند، أي ربط النقش وهو تأثير الذكر الخفي في القلب ومعنى ربطه بقاؤه في قلب المريد بدون محو كما سبق، (وقد أصبح هذا اللقب المبارك علماً عليها).

ونعود إلى ألقاب السلسلة المباركة:

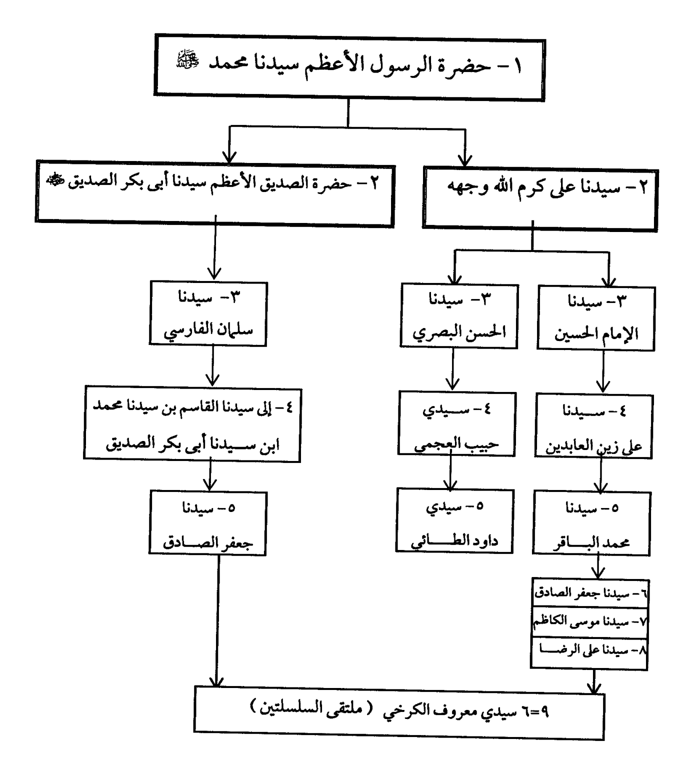
فمن حضرة سيدي عبيد الله أحرار إلى حضرة مجمع الأسرار والمعاني قطب الطرائق وغوث الخلائق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدي أحمد الفاروقي السرهندي ﷺ وأمدنا بمدده تسمى: «نقشبندية» كما تسمى «أحرارية»، ومنه إلى القطب المطهر سيدنا شمس الدين حبيب الله جانان مطهر تسمى «مجددية»، ومنه إلى سيدنا الإمام خالد المجددي تسمى «مظهرية» كما تسمى مجددية أيضاً، ومن حضرة مولانا خالد إلى مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به تسمى «خالدية»، ثم من حضرته إلى ما شاء الله تعالى تسمى «جودية».

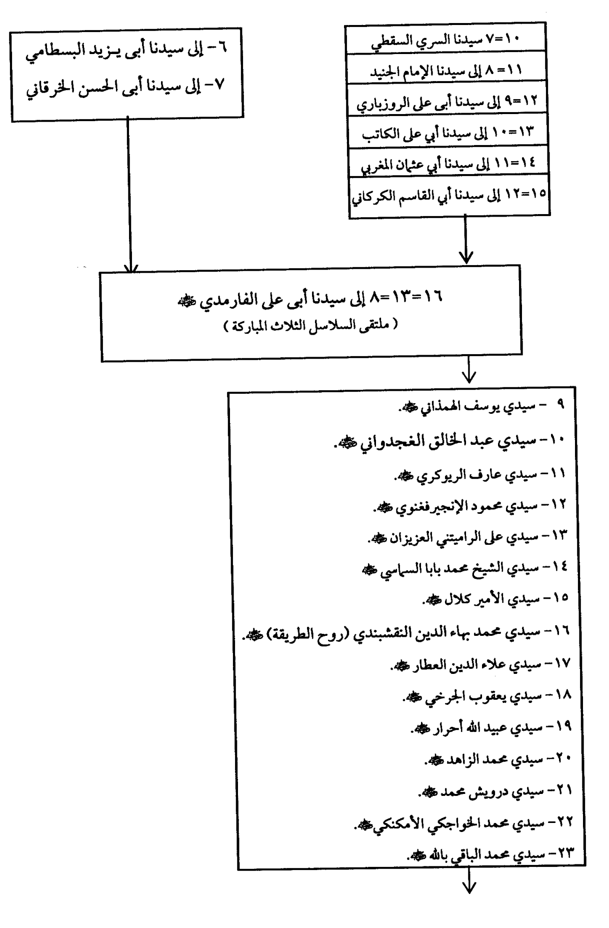
أمدنا الله بأسرار ساداتنا النقشبندية جميعا وربطنا في سلستهم بلا انفكاك ولا انفصام ونقش قلوبنا بغير محو بأسماء الذات العلية ببركاتهم دنيا وآخرة.

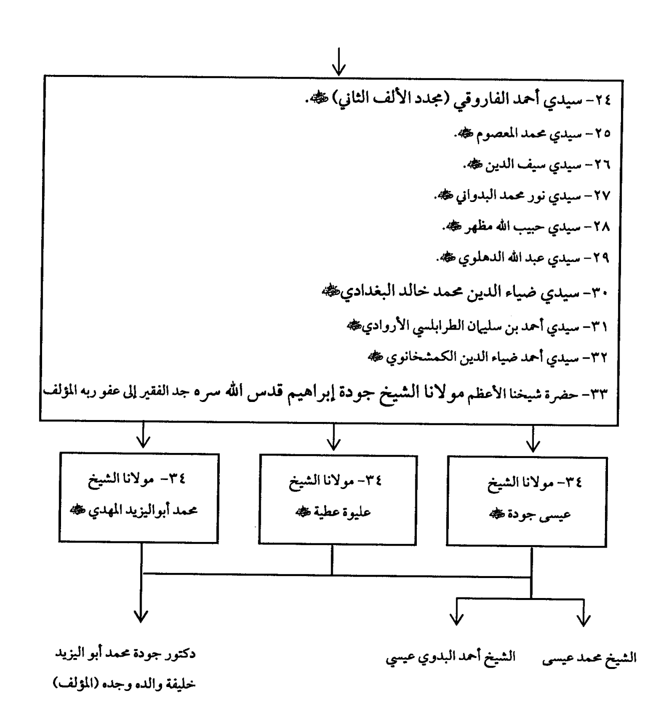
وتيمناً وتبركاً بذكر ساداتنا أثبت فيما يلي رسماً لتفرع سلاسلها المباركات بدءاً من شجرة الأصل النورانية سيد الوجود ﷺ وآله وصحبه وسلم إلى حضرة شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره العزيز لتعم البركات والنفحات.

وتقريباً لمريدي النقشبندية وسالكيها الكرام أن يحفظوها ويتوسلوا بها إلى الله عز وجل ويستحضروا روحانية أقطابها عند قراءة الختم الشريف وفي سائر الحضرات والأوراد والأذكار إذ بذكرهم تتنزل الرحمات وتعم الأنوار والبركات، وبالتوجه إليهم مع حلقات السلسلة المباركة حسب طاقة المريد واستعداده.

الشجرة المباركة (سلاسل الطريقة النقشبندية)




٦- إلى سيدنا أبى يـزيد البسطامي
٧- إلى سيدنا أبى الحسن الخرقاني
١٠=٧ سيدنا السري السقطي
١١=٨ إلى سيدنا الإمام الجنيد
١٢=٩ إلى سيدنا أبى على الروزباري
١٣=١٠ إلى سيدنا أبي على الكاتب
١٤=١١ إلى سيدنا أبي عثمان المغربي
١٥=١٢ إلى سيدنا أبي القاسم الكركاني
١٦=١٣=٨ إلى سيدنا أبى على الفارمدي ﷺ
(ملتقى السلاسل الثلاث المباركة)
٩ - سيدي يوسف الهمذاني ﷺ.
١٠- سيدي عبد الخالق الغجدواني ﷺ.
١١- سيدي عارف الريوكري ﷺ.
١٢- سيدي محمود الإنجيرفغنوي ﷺ.
١٣- سيدي على الراميتني العزيزان ﷺ.
١٤- سيدي الشيخ محمد بابا السماسي ﷺ
١٥- سيدي الأمير كلال ﷺ.
١٦- سيدي محمد بهاء الدين النقشبندي (روح الطريقة) ﷺ.
١٧- سيدي علاء الدين العطار ﷺ.
١٨- سيدي يعقوب الجرخي ﷺ.
١٩- سيدي عبيد الله أحرار ﷺ.
٢٠- سيدي محمد الزاهد ﷺ.
٢١- سيدي درويش محمد ﷺ.
٢٢- سيدي محمد الخواجكي الأمكنكي ﷺ.
٢٣- سيدي محمد الباقي بالله ﷺ.


٢٤- سيدي أحمد الفاروقي (مجدد الألف الثاني) ﷺ.
٢٥- سيدي محمد المعصوم ﷺ.
٢٦- سيدي سيف الدين ﷺ.
٢٧- سيدي نور محمد البدواني ﷺ.
٢٨- سيدي حبيب الله مظهر ﷺ.
٢٩- سيدي عبد الله الدهلوي ﷺ.
٣٠- سيدي ضياء الدين محمد خالد البغدادي ﷺ
٣١- سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي ﷺ
٣٢- سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ
٣٣- حضرة شيخنا الأعظم مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره جد الفقير إلى عفو ربه المؤلف
٣٤- مولانا الشيخ عيسى جودة ﷺ
٣٤- مولانا الشيخ عليوة عطية ﷺ
٣٤- مولانا الشيخ محمد أبواليزيد المهدي ﷺ
الشيخ محمد عيسى
الشيخ أحمد البدوي عيسي
دكتور جودة محمد أبو اليزيد
خليفة والده وجده (المؤلف)

الفصل الثالث

المنهج الصوفي للطريقة النقشبندية

وفي التعريف بفضل هذه الطريقة العلية: يقول شيخ شيخنا مولانا الإمام أحمد ضياء الدين النقشبندي قدس الله سره: «واعلم أن طريق النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة على أصلها لم تزد ولم تنقص وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً أو باطناً مع كمال الالتزام للسنة والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك.

فهي طريق الانصباغ والانعكاس لكمال ارتباطهم بها مع هذه المجاهدة الزكية المستورة، يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان، وفي إفاضتها الأحياء والأموات، ويندرج انتهاؤها في الابتداء، وابتداؤها انتهاء غيرها لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الأكبر ﷺ.

فهذه أم الطرائق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق، ولا جرم أمرها كبير وشأنها خطير، تري منكري الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها فضلا عن الموقنين المعتقدين، لتحريرها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوفة وزخارف الرقاع والابتداع وتحليها من السنة السنية بالاتباع وغلبة العلم والاستماع له من الأتباع، وهي مما جرى على قبوله الوفاق، وأقر بفضله علماء الآفاق وبالجملة: فهي الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح، والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح» ا. هـ[1].

---

١ - انظر جامع الأصول لسيدي أحمد الكمشخانوي ص٩٧ وانظر الحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان البغدادي ص١٩-٢٠

أصول الطريقة النقشبندية وشروطها ومبناها وأحكامها

وأما عن أصول الطريقة النقشبندية:

فيقول الإمام أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ: «فاعلم أن أصول طريقة النقشبندية: التمسك بعقائد أهل السنة وترك الرخص والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى والإعراض عن زخارف الدنيا وعن كل ما سوى الله وتحصيل ملكة الحضور، والخلوة في الجلوة مع التحلي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين والتزيي بزي عوام المؤمنين، وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس بحيث لا يخرج ولا يدخل نَفَس مع الغفلة عن الله الكريم، والتخلق بأخلاق النبي ﷺ صاحب الخلق العظيم»[1].

ثم يقول ﷺ: «فشرائط النقشبندية: الاعتقاد الصحيح والتوبة الصادقة والانحلال من أرباب الحقوق ورد المظالم واسترضاء الخصوم والتحقق بآداب السنة في الأمور كلها والدقة والتحقيق على العمل بأصح الشريعة، والاهتمام على المجانبة من كل المنكرات والمبتدعات، والغيرة على التباعد من الهوى والمذمومات»[2].

وأما عن مبني الطريق: فيقول شيخ شيخنا قدس الله سرهما: «فإذا سئلت: على أي شيء بني الطريق؟ «فالجواب»: على ستة أشياء: التوبة والعزلة، والزهد، والتقوى، والقناعة، والتسليم، ثم يضيف عليه الرضوان: «وإذا سئلت عن أركان الطريق: «فالجواب» ستة: العلم، والحلم، والصبر، والرضا، والإخلاص، والأخلاق الحسنة والصبر على الأمر المقضي.

---

١ ، ٢ - انظر جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين ص١٠.

وإذا سئلت عن أحكام الطريق «فالجواب» ستة: المعرفة، واليقين، والسخاء، والصدق، والشكر، والتفكر في مصنوعاته تعالى[1].

واجبات الطريقة وماهيتها

يقول شيخ شيخنا عليهما الرضوان : وإذا سئلت عن واجب الطريق: «فالجواب» ستة: ذكر رب العالمين، وترك الهوى والدنيا، واتباع الدين، والإحسان إلى المخلوقات وفعل الخيرات. وإذا قيل لك: ابن من أنت؟ فقل: ابن الطريق. فإن قيل: الطريق ابن من؟ فقل: ابن سيدنا محمد المصطفى وسيدنا الصديق الأعظم وسيدنا علي الرضيّ»[2].

وأما عن ماهية طريق النقشبندية: فيقول شيخ شيخنا قدس الله سرهما: «أما ماهيته فدوام العبودية بأشرف الطاعات، أعني: ذكر الله على الإطلاق باتفاق أهل الطريق والحقيقة وأرباب السلوك وأهل التصوف إذ شرفه على قدر شرف مذكوره عز وجل، فيستعين بالله ويعرض عمن تولى عن ذكر الله ويفر من دواعي النفس وما تريده من الشهوات والحظوظات وأهل الدنيا وأفعالهم منيبا إلى الله تعالى فإنه المنتهى، ويقصر الرغبة عليه ويذكره ويقول «الله» ثم يذر الخلق ويترك ما سواه مستقيما مستديما عليه على وجه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[3] وإذا عرض نسيان أو ذهول عن الله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[4] فدم واستغرق فيه إلى أن تنسى ما سوى المذكور ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[5]»[6].

وأما عن كيفية طريقتنا فيقول سيدي أحمد ضياء الدين عليه الرضوان: «وأما كيفية الطريقة النقشبندية: فإنه قد اشتهر وتحقق بالتجربة والعيان لدى

١، ٢ – نفس المصدر المبارك ص٨٠ . ٣- سورة النور / ٣٦ .

٤- سورة الكهف / ٢٤ . ٥- سورة المزمل / ٨ . ٦- جامع الأصول / ٨٠ .

أساطين العلم والكشف والشهود: أن الطريقة النقشبندية أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد، لأن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة المقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته ﷺ في قوله «ما صب الله في صدري شيئا إلا وصببته في صدر أبي بكر»[1] ﷺ، وهو واسطة هذا العقد ومؤسس هذا المجد على اتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتحلي بمحاسن الأخلاق والفضائل.

فنخلص من هذا كله: أن الجذب في هذه الطريقة مقدم على السلوك، ومن تلبس بهذا الحال فلاشك يكون أقرب وصولا من المتلبس بالعكس، كما أنه شتان ما بين المجذوب السالك، والسالك المجذوب، ومبنى بقية الطرق على تقديم السلوك على الجذب في الأغلب ولذا قالوا: بداية الطريقة النقشبندية نهاية سائر الطرق إلا من كان له قدم المحبوبية والمرادية كبعض الأولياء الذين تقدم فتحهم على السلوك»[2].

ثم يضيف الإمام الكمشخانوي تحفظاً هاماً لا نبغي أن يعزب عن أذهاننا ونحن بصدد التعرف على حقيقة الطريقة، فيقول ﷺ «لا يظن من هذا البحث تفضيل الأولياء النقشبندية عموما على أولياء بقية الطرق عموما إذ البحث في بيان أقربية الطرق للوصول من حيث هي هي، ولا يلزم من ذلك تفضيل سالكيها على سالكي غيرها مطلقا بل العموم والخصوص

---

١ - لم أجد هذا الحديث بلفظه فيما رجعت إليه من كتب السنة. بيد أني وجدته بمعناه وبعض ألفاظه في كتاب «الصلاة الهامعة بمحبة الخلفاء» لسيدي مصطفى البكري ﷺ «ص/ ٤٠ ط/ الحلبي» مخرجا عن الرياض النضرة للمحب الطبري ولفظه فيه: «.. ما أُوحيَ إليّ شيء إلا صببته في صدر أبي بكر»: رياض بمعناه ا. هـ وأقول إن المراد بالمصبوب ما سوى ما اختص به ﷺ.

٢ - انظر جامع أصول الأولياء لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ص٧٩.

من وجه»[1]. أي أن موضوعية البحث فقط هي تفرض إبراز ميزة الطريق دون نظر إلى تفضيله على آخر.

آداب الطريقة النقشبندية:

يقول إمام الطريقة النقشبندية القطب الغوث الفرد الجامع سيدي محمد بهاء الدين الأويسي البخاري قدس الله سره: «لهذه الطريقة ثلاثة آداب: أدب مع الله سبحانه وتعالى وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضا عن سواه بالكلية.

وأدب مع رسول ﷺ وهو: أن يستغرق القلب في مقام ﴿**فَٱتَّبِعُونِى**﴾ ويراعى ذلك في جميع الأحوال وجوبا ويعلم أنه ﷺ واسطة بين الحق والخلق وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالي.

وأدب مع المشايخ وهو لازم للطالبين لأنهم سبب من متابعته ﷺ، ووصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق، فينبغي للمريد حضورا أو غيبة أن يكون مراعيا لأحوالهم مقتديا بهم متمسكاً بأذيالهم»[2].

وتتجلى بوضوح ثمرة الانتساب إلى الطريق والانتماء إلى شيوخه المحققين في قول القطب البهاء قدس سره: «**كل من مال إلينا أو انتسب لمحبتنا بعيدا كان أو قريبا لابد أن نلحظ نسبته كل يوم وليلة ونمده من منبع عين الشفقة والتربية بالإمداد الدائم إن كان حافظاً لأحواله مُنَقِّياً لطريق الإمداد من أدناس التعلقات وأوساخه**»[3].

ولقد احتلت الطريقة النقشبندية في الوسط الصوفي مكانة شامخة يشهد بها أقطاب التصوف المحققين فيقول مولانا أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه - فيما

---

١ - انظر جامع أصول الأولياء لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ص٧٩.

٢، ٣- انظر الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية لسيدي عبد المجيد محمد الخاني: «ص١٣٣ نشر الدروبي بدمشق».

أسنده إليه صاحب جامع الأصول قُدسَّ سرُه «لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين طريق النقشبندية وهي سلطان الطرق»[1].

ومن نظر إلى رجال سلسلة الطريق النقشبندي وجد فيها أساطين الأئمة وخيار الأمة كالصديق الأعظم ونخبة آل البيت الأطهار وسيد الطائفة الجنيد ورأس الخواجكان «أي الشيوخ والسادة» سيدي عبد الخالق الغجدواني الذي تلقن عن مولانا الخضر عليه السلام وروح الطريقة سيدي محمد بهاء الدين وسيدي أحمد الفاروقي مجدد الألف الثاني الذي يفضل مجدد المائة بنفس النسبة بين المائة والألف بل وتزيد، وكان الإمام الفاروقي ﷺ تربية روحانية أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه لذلك كان شأنه عظيما.

ولقد قال الإمام الفاروقي قدس الله سره «أطلعني الله على أسماء من يدخلون سلسلتنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة، وإن نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي إلى يوم القيامة حتى أن الإمام المهدي سيكون على هذه النسبة الشريفة»[2].

رضي الله عن سادتنا النقشبندية وجعلنا ببركتهم في ديوانهم في الدنيا والآخرة بجاه سيد الوجود ورحمة العالمين سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه والتابعين.

---

١ - نقله سيدي أحمد ضياء الدين ﷺ في جامع الأصول ص٨٣. وأقول: لعل هذا القول المسند إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ كان من قبيل الكشف بأحوال وأصول منهج طريقتنا العلية، حتى لا يعترض على هذا القول بعدم المعاصرة بين القطبين الشاذلي والبهاء النقشبندي رضي الله عنهما.

٢ - انظر الحدائق الوردية للإمام الخاني: ص١٨١ - ١٨٢.

الباب الثاني

أذكار وأوراد الطريقة النقشبندية العلية

الذكر معراج الوصول إلى الله عز وجل

تمهيـد

إن المقصود الأعظم للمؤمن إنما هو الوصـول إلى الحـق تبـارك وتعـالى والفوز برضوانه ومعرفته والقرب من جنابـه الأقـدس والاسـتغراق في محـيط الربانية النوراني. ولهذا الوصول وسائل بيَّنها علماء الحقيقـة أدلاء الحـق تبـارك وتعالى.

يقول سيدي أحمد ضياء الدين النقـشبندي قـدس الله سره: «فـاعلم أن الله تعالى جعل أسـبابا بعـدد أنفـاس الخلائـق يـصل بهـا إلى حـضرة الربانيـة، ويعتكف بها في معتكف الحضرات الرحمانية، وتلك الأسباب باطنة وظاهرة.

فالباطنه: نحو مراقبة الحق واستحضار العبد في جميع أوقاته أو غالبها- في جميع الكائنات أنه بين يدي الله تعالى مطلع عليه وناظر إليه ومحيط بكل شيء في جميع الكائنات فيحمله ذلك على ترك المعصية وحفظ الباطن مـن الأخـلاق الرذيلة.

والظاهرة: كدوام الطاعات، من الجمعة والجماعـة والزكـاة والـصدقة وسائر الخيرات والعبادات خصوصا الأذكار»[1].

١- انظر جامع أصول الأولياء / ص١٣.

الفصل الأول

أنواع الذكر عند السادة النقشبندية

وللسادة النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية -ثلاثة أنواع من الذكر وكلها وردت معنعنة- أي متصلة الإسناد إلى سيدنا رسول الله ﷺ:

فالنوع الأول: هو الذكر الخفي القلبي باسم الذات الأقدس – أي لفظ الجلالة «الله»، جل جلاله بالقلب، وسيأتي مفصلا بآدابه وهيئاته[1].

والنوع الثاني: هو الذكر الخفي القلبي بالنفي والإثبات، أي: بجملة «لا إله إلا الله» قلبيا بعد رسوخ اللطائف كما بينه الإمام أحمد ضياء الدين رضي الله عنه[2].

والنوع الثالث: فهو الذكر بالنفي والإثبات -بدون حبس النفس- مع التحقق بكامل الآداب والشروط بعدد أقله خمسة آلاف مرة كما بينه شيخ شيخنا رضي الله عنه[3]. وهذا تفصيل النوع الأول:

«مجلس الذكر الخفي النقشبندي»

تقدم في أصول الطريقة وشرائطها: الاعتقاد الصحيح والتوبة الصادقة واتباع السنة واجتناب البدعة دائما أبدا، ونذكر هنا كيفية عمل مجلس الذكر النقشبندي وينبني على ما يأتي:

١- الطهارة الكاملة من البدن والثوب لتكون سلاحا على الأعداء والشياطين.

٢- التوجه للقبلة في مكان خال لدفع الشغل ولتصفية القلب للمراقبة.

١، ٢، ٣- انظر جامع أصول الأولياء / ص١٤٨.

٣- الجلوس على عكس التورك لاستراحة البدن واتباع الصحابة رضي الله عنهم.

٤- الاستغفار عدد (٥) أو عدد (١٥) أو عدد (٢٥) للتطهر من الذنوب.

٥- قراءة الفاتحة مرة بالتعوذ والبسملة، والإخلاص ثلاثا، ويهدي ثوابهما إلى روح سيدنا محمد ﷺ وإلى أرواح أهل الطريقة النقشبندية الخالدية الجودية ليكون وسيلة للاستمداد منهم.

٦- الاستمداد من روحانيتهم للنجاة من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان.

٧- غمض العينين ولو أعمى لدفع الخواطر.

٨- رابطة الموت وهي تفكر الموت وأحواله والقبر والسؤال والحساب، وأهوال القيامة لتذليل النفس وانكسارها.

٩- رابطة المرشد واستحضار روحانية مولانا الشيخ خالد ضياء الدين البغدادي بين حاجبيك بواسطة شيخك الذي هو في الحياة وتجعل قلبك مقابلا لقلبه وتستفيض منه كأن قلبه يُعلِّم قلبك ذكر اسم الذات.

١٠- رابطة الحضور وهي أن تستحضر في قلبك وفكرك أن الله حاضر مطلع عليك محيط بك وبجميع العوالم منزه عن المكان والجهة والنقائص كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وكلما خطر ببالك فالله منزه عن ذلك، للوصول إلى درجة الفناء في الله والقطع عما سواه.

١١- الوقوف القلبي وهو أن تنظر إلى قلبك الصنوبري الشكل الذي تحت ثديك الأيسر بقدر إصبعين بعين الخيال وتطهره عما سوي الله تعالى لقطع العلائق.

١٢- الوقوف الذكري وهو أن ترى كأنه مكتوب على قلبك بقلم النور «الله» ويجري الذكر فيه وملاحظة معناه وهو تعالى ذات بلا مثيل.

١٣- الوقوف العددي وهو ضبط العدد الذي ذكرته «أقله خمسة آلاف مـرة» في اليوم والليلة الواحدة، ولا حد لأكثره.

١٤- أن تقول على رأس كل مائة أو خمسمائة «**إلهي أنت مقـصودى ورضـاك مطلوبي**» اما بالقلب وإما باللسان.

١٥- معرفة تأثير الذكر في القلب وسائر اللطائف.

١٦- معرفة تأثير الرابطة بين قلب الشيخ وقلب مريده.

١٧- اتباع الشريعة

١٨- اتباع الطريقة

١٩- اتباع الحقيقة

٢٠- اتباع المعرفة

وهو القصد والمطلب الأعلى والمقصد الأقصى[1].

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أمين.

١- انظر مزيداً من تفصيل كيفية هذا الذكر في جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي النقـشبندي ﷺ ص: ١٤٧.

الفصل الثاني
وظائف المريد النقشبندي في الذكر

أولاً: الأساس

من وظائف المريد النقشبندي الأساسية اليومية أن يذكر الأساس الخاص بالطريقة النقشبندية[1] وبيانه كالآتي:

١ - أستغفر الله العظيم (٢٥٨) مرة.

٢ - اللهم صلِّ على سيدنا محمد النور وآله (٢٥٨) مرة.

٣ - لا إله إلا الله (٢٥٨) مرة.

٤ - يا ذا الجلال والإكرام (٢٥٨) مرة.

٥ - يا رحيم (٢٥٨) مرة.

وهذا التقيد بالعدد واجب سلوكي باعتبار أن شيخ الطريقة يعرف خاصيته وأثرها في تهذيب النفس الإنسانية، مع ملاحظة أن العدد (٢٥٨) هو وفق الاسم الإلهي «رحيم».

---

١ - سألت شيخنا مولانا عيسى جودة رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما في الدارين آمين عن سند تلقي الأساس في الطريقة النقشبندية، وكان سؤالي له في أسبوع الاحتفال بمولد سيدتنا السيدة زينب رضي الله تعالى عنها مساء الاثنين ٢٠ من رجب ١٤٠٩ بمنزل الشيخ عبد العزيز إمام بالسيدة زينب فأجابني ﷺ: بأن سيدنا الشيخ جودة إبراهيم عليه رضوان الله قد تلقى هذا الأساس من سيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي عن ساداتنا النقشبندية رضوان الله عليهم أجمعين. ومن قبل: أخبرني السيد حسن المسلمي النقشبندي ﷺ أن سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله قد تلقى هذا الأساس عن الشيخ محمد الأشموني ﷺ. أقول: ولا يمنع من تعدد التلقي عن القطب الضياء والعارف الأشموني رضي الله عن الجميع.

ثانياً، وفق الاسم

ولابد للمريد أساساً أن يذكر وِفْقَ اسْمِهِ من أسماء الله الحسنى عقب كل فريضة ثم يذكر بعد اسم الموافقة «يا عزيز» (٩٤) مرة، فإن لذلك خاصية روحية في الاستمداد من أنوار الاسم الإلهي، والصدق فيه يحقق الإجابة المرجوة. كما صرح سيدي محي الدين بن عربي في «الفتوحات المكية» بأن من أراد الفتوح وسعادة الدارين فليستخرج عدد اسمه بحساب الجمّل ويتخذ من أسماء الله تعالى ما يوافق هذا العدد وليذكرها جميعاً بعدد اسمه.

وفق الاسم وحساب أسماء الله الحسنى

لكي تعرف عدد الاسم الذي تذكر به يجب أن تعرف أن لكل حرف من الحروف عدداً، وبيانه في الجدول الآتي:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠
ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ		
٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠		

وها هي تلك أسماء الله الحسنى

وقرين كل اسم عدده لتستخرج منها ما يوافق عدد اسمك

بيان أسماء الله الحسنى وعدد كل اسم بالجُمَّل[1]

الرقم المسلسل	الاسم	مجموع أعداد حروف الاسم	الرقم المسلسل	الاسم	مجموع أعداد حروف الاسم
١	الله	٦٦	١٤	مصور	٣٣٦
٢	رحمن	٢٩٨	١٥	غفار	٢٨١
٣	رحيم	٢٥٨	١٦	قهار	٣٠٦
٤	ملك	٩٠	١٧	وهاب	١٤
٥	قدوس	١٧٠	١٨	رزاق	٣٠٨
٦	سلام	١٣١	١٩	فتاح	٤٨٩
٧	مؤمن	١٣٦	٢٠	عليم	١٥٠
٨	مهيمن	١٤٥	٢١	قابض	٩٠٣
٩	عزيز	٩٤	٢٢	باسط	٧٢
١٠	جبار	٢٠٦	٢٣	خافض	١٤٨١
١١	متكبر	٦٦٢	٢٤	رافع	٣٥١
١٢	خالق	٧٣١	٢٥	معز	١١٧
١٣	بارئ	٢١٣	٢٦	مذل	٧٧٠

١- قال بن منظور في لسان العرب (١٣/ ١٣٥): وحساب الجُمَّل - بتشديد الميم - الحروف على أبجد، قال ابن دريد: لا أحسبه عربيا: وقال بعضهم هو حساب الجمل بالتخفيف. وأقول: وقد ذكر الطبري في تفسيره (١/ ٨٨) ورود الرواية به عن الربيع بن أنس.

٢٧	سميع	١٨٠	٤٨	ودود	٢٠
٢٨	بصير	٣٠٢	٤٩	مجيد	٥٧
٢٩	حكم	٦٨	٥٠	باعث	٥٧٣
٣٠	عدل	١٠٤	٥١	شهيد	٣١٩
٣١	لطيف	١٢٩	٥٢	حق	١٠٨
٣٢	خبير	٨١٢	٥٣	وكيل	٦٦
٣٣	حليم	٨٨	٥٤	قوي	١١٦
٣٤	عظيم	١٠٢٠	٥٥	متين	٥٠٠
٣٥	غفور	١٢٨٦	٥٦	ولي	٤٦
٣٦	شكور	٥٢٦	٥٧	حميد	٦٢
٣٧	علي	١١٠	٥٨	محصي	١٤٨
٣٨	كبير	٣٣٢	٥٩	مبدئ	٥٦
٣٩	حفيظ	٩٩٨	٦٠	معيد	١٢٤
٤٠	مقيت	٥٥٠	٦١	محيي	٦٨
٤١	حسيب	٨٠	٦٢	مميت	٤٩٠
٤٢	جليل	٧٣	٦٣	حي	١٨
٤٣	كريم	٢٧٠	٦٤	قيوم	١٥٦
٤٤	رقيب	٣١٢	٦٥	واجد	١٤
٤٥	مجيب	٥٥	٦٦	ماجد	٤٨
٤٦	واسع	١٣٧	٦٧	واحد	١٩
٤٧	حكيم	٧٨	٦٨	أحد	١٣

٦٩	فرد	٢٨٤	٨٦	مالك الملك	٢١٢
٧٠	صمد	١٣٤	٨٧	ذو الجلال والإكرام	١٠٩٥
٧١	قادر	٣٠٥	٨٨	مقسط	٢٠٩
٧٢	مقتدر	٧٤٤	٨٩	جامع	١١٤
٧٣	مقدم	١٨٤	٩٠	غني	١٠٦٠
٧٤	مؤخر	٨٤٦	٩١	مغني	١١٠٠
٧٥	أول	٣٧	٩٢	مانع	١٦١
٧٦	آخر	٨٠١	٩٣	ضار	١٠٠١
٧٧	ظاهر	١١٠٦	٩٤	نافع	٢٠١
٧٨	باطن	٦٢	٩٥	نور	٢٥٦
٧٩	وال	٣٧	٩٦	هادي	٢٠
٨٠	متعال	٥٤١	٩٧	بديع	٨٦
٨١	بر	٢٠٢	٩٨	باقي	١١٣
٨٢	تواب	٤٠٩	٩٩	وراث	٧٠٧
٨٣	منتقم	٦٣٠	١٠٠	رشيد	٥١٤
٨٤	عفو	١٥٦	١٠١	صبور	٢٩٨
٨٥	رؤوف	٢٨٦			

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النور وآله وصحبه وسلم

ثالثاً: اعتصام الورد النقشبندي الشريف

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا حَبِيبَ الفُقَراءِ ويا أَنِيسَ الغُرَباءِ ويا مُعِينَ الضُّعَفاءِ ويا عَظِيمَ الرَّجاءِ ويا دَلِيلَ المُسْتَجِيرِينَ ويا غِيَاثَ المُسْتَغِيثِينَ يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ يا اللهُ يا مُسَبِّبَ الأَسْبابِ يا مُفَتِّحَ الأبوابِ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ والأَبْصارِ يا ذا الجلالِ والإكْرامِ فاغْفِرْ لي وارْحَمْني واعْفُ عَني بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم. إلهي كَيْفَ أَدْعُوكَ وأَنا أَنا؟ وكَيْفَ أَقْطَعُ رَجَائِي عَنْكَ وأَنْتَ أَنْت؟ إلهي إِنْ لَمْ أَدْعُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي فَمَنِ الذي أَدْعُوه فَيَسْتَجِيبُ لِي؟ إلهي إِنْ لَمْ أَسْأَلكَ فتُعطِيَني فَمن الذي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي؟ إلهي إِنْ لَمْ أَتَضَرَّعْ إِلَيْكَ فَمَنْ الذي أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فَيَرْحَمُني؟

إلهي كَمَا فَلَقْتَ البَحْرَ لِمُوسَى وجَعَلْتَ النَّارَ بَرْداً وسَلاَماً عَلَى إِبْـرَاهِيمَ فَنَجَّيْتَهُمَا مِنْ ذَلِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنَجِّيَنِي مِمَا أنا فِيهِ وَأَنْ تَجْعَلَ لِي فَرَجاً ومَخْرَجاً مِمَا أَنَا فِيهِ. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لا إِلَهَ إِلا اللهُ سَيِّدُنا مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ الله حَقـاً، وَصَلِّ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَمَلَكٍ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ جَمِيعِ ما كَرِهَ اللهُ قَوْلاً وفِعْلاً وَخاطِرَاً وناظِرَاً وأَتُوبُ إِليه وأَسْأَلُهُ التَّوبةَ والمَغْفِرَةَ والهِدايةَ إِنَّهُ هُـوَ التَّـوَّابُ الـرَّحيم، واعْفُ عَنا يا كَرِيمُ واغْفِرْ لنا يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ يا مَلِكُ يا قُدُّوسُ يا ذا الجَـلالِ والإِكْرامِ بِرحمتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الـرَّحيم. اللهُـمَ بـالحَقِّ أَنْزَلْتَهُ وبالحَقِّ نَزَلَ. اللهُمَّ عَظِّـمْ فيـه رَغْبَتـي واجْعَلـهُ نُـوراً لِبَـصَري وشِـفاءً لِصَدْرِي. اللَّهُمَّ زَيِّنْ بِهِ لِسَانِي، وجَمِّلْ بِهِ وَجْهِي وقَـوِّ بِـهِ جَسَدِي وارْزُقنـي تِلاَوتَهُ عَلَـى طَاعَتِـك آناءَ الليلِ وأَطْرافَ النهـارِ واحْـشُرني مـعَ النَّبِـي وآلِـهِ الأَخْيَارِ بِرحمتِكَ (يا أَرْحَمَ الراحمين) [ثلاثا]. (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم. لا إِلَهَ إِلا الله). [مائة مرة].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم.

اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيدِنا مُحَمَّدٍ بعَددِ أَنْفاسِ المخْلُوقاتِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عـلى سَيدِنا مُحَمَّدٍ بعَددِ أَشْعارِ الموجُوداتِ، وصَلِّ على سَيدِنا مُحَمَّـدٍ بعـددِ حُـرُوفِ اللَّـوْحِ والدَعَواتِ، وصَلِّ على سَيدِنا مُحَمَّـدٍ بعـددِ سَـوَاكِنِ الـسَّبْعِ أراضِـينَ والسَمَواتِ، وصَلِّ على سَيدِنا مُحَمَّدٍ بعددِ ما خُلِقَ مـن البِـدَاياتِ والنِهَايـاتِ ومن المَعْلُوماتِ والمَوجُوداتِ والمَجْهُولاتِ إلى أَبَدِ الآبادِ، وصَلِّ عـلى سَـيدِنا مُحَمَّدٍ النبيِّ المختار بِعَدَدِ مَنْ صَلَّى عليهِ مِنَ الأَخْيَارِ وعددِ من لَمْ يُصَلِّ عَلَيهِ من الأَشْرارِ وعددِ قطراتِ الأمطارِ وعددِ أَمْوَاجِ البِحارِ وعددِ الرِّمـالِ في القِفـارِ وعددِ أَوْرَاقِ الأَشْجَارِ وعددِ أَنْفَاسِ المُسْتَغْفِرينَ بالأَسْحَارِ وعددِ ما كانَ وما يكونُ إلى يَوْمِ الحَشْرِ والقرارِ، وصَلِّ عليهِ ما تعاقَبَ الليلُ والنَّهارُ، وصلِّ عليهِ

عددَ ما اختَلَفَ المَلَوانِ وتَعاقَبَ العَصْرانِ وكَـرَّ الجَدِيدانِ واسْتُقْبِلَ الفَرْقَدانِ، وبَلِّغْ رُوْحَهُ وأَرْواحَ أَهْلِ بيتِهِ مِنَّا التَحيَّةَ والسَلامَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحمدٍ صَلاةً تُنَجِّينا بها من جَمِيعِ الأَهْوَالِ والآفاتِ وتَقْضِي لَنـا بِهـا جَمِيـعَ الحاجـاتِ وتُطَهِرُنا بها مِن جَمِيعِ السَّـيِّئاتِ وتَرْفَعُنا بِها أَعْلَى الدَّرَجاتِ وتُبَلِّغُنابِهـا أَقْـصَى الغَاياتِ مِن جَمِيعِ الخَيراتِ فِي الحياةِ وبَعدَ المَماتِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا ونَبِيِّنا ورَسُولِنا وطَبِيبِ قُلوبِنـا وشَـفِيعِ ذُنُوبِنـا ومُرْشِدِنا وهادِينا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وحَبِيبِـكَ ورَسُـولِكَ النَّبِـي الأُمِّـيِّ وعَـلَى آلِـهِ الأَخْيارِ وصَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ وعَلى جَمِيعِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلِينَ والمُؤْمِنينَ والمُؤْمِنَـاتِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً بِعَدَدِ ما عَلِمَ اللهُ. سُبْحَانَ رَبِّكَ ربِّ العِزَّةِ عَـمَّا يَـصِفُونَ وسَـلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ والحمدُ لله ربِّ العَالمينَ وبِهِ الحَولُ والقُوَّةُ. (ربِّ سَهِّلْ ويَسِّرْ ولا تُعَسِّرْ عَلَينا، يا مُيَسِّرَ كُلِّ عَسِير) [ثلاثا].

وينوى لمقصودِه ويرفع يديه ويقرأ فاتحة الكتاب المقصودة ثم يمسحها على وجهه، ويشرع في قراءة الورد الشريف بجمع الهمة وإخلاص الطوية:

رابعاً، الورد النقشبندي لسيدي محمد بهاء الدين الحسيني الأويسي النقشبندي

للشيخ الأكبر السيد محمد بـهاء الدين الحسني الحسيني الأويسي البخاري النقشبندي[1] ﷺ ويُقرأ صباحاً ومساءً*

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ الحَيُّ القَيُّومُ، الحَقُّ المُبِينُ، الَّـذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ، أَنْـتَ رَبِّي خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِـكَ مِـن شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ [2] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُـوءُ بِذَنبِي فَـاغْفِرْ لِي ذُنُـوبِي فَإِنَّـهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُـوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَـلَى كُـلِّ شَـيءٍ قَـدِيرٌ سُـبْحَانَكَ يـا عَظِـيمُ، سُبْحَانَكَ يا مُعَظَّمُ، سُبْحَانَكَ يا مُقْتَـدِرُ، سُـبْحَانَكَ يـا عَـالِمَ الـسِّرِ وَالخَفِيَّـاتِ، سُبْحَانَكَ يا بَاعِثَ مَنْ فِي الجَدَالَةِ [3] وَالمَسْمُوكَاتِ [4]، سُبْحَانَكَ يـا مُـسْتَعْبِدَ جَمِيـعِ الخَلاَئِقِ، سُبْحَانَكَ يَا مُقَدِّرَ الوُجْدِ [5] والصَّوافِقِ [6]، سُبْحَانَكَ يَا مَنْ لا تَطْرَأُ عَلَيْهِ الآفَاتُ، سُبْحَانَكَ يَا مُكَوِّنَ الأَزْمِنَةِ وَالأَوْقَاتِ، عَلاَ قَدْرُكَ، وَتَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُـولُ

١- ونسبه ﷺ ينتهي إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه على ما ذكره العلامة محمد زاهد الكوثري نقلاً عن الشيخ كمال الدين الحريري في تبيان الوسائل نقلاً عن روضة السلام، حيث قال هو السيد محمد بهاء الدين بـن السيد محمد البخاري بن السيد جلال بن السيد برهان الدين بن السيد عبد الله بـن الـسيد زيـن العابـدين بـن السيد قاسم بن السيد شعبان بن السيد برهان الدين بن السيد محمود بن السيد بلاق بن السيد تقي بـن الإمـام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن الإمام علي بـن أبي طالـب رضي الله عـنهم أجمعـين. ومولـده سـنة ٧١٨هـ وتـوفيَ في الثلاث من ربيع أول سنة ٧٩١ هجري.

* إتماماً للفائدة وضعنا خطوطاً تحت مواضع التحصن في الورد الشريف.

٢- أبوء: أعترف ٣- الجدالة: في الأرض الصلبة. ٤- المسموكات: السموات.

٥- الوجد: الغنى. ٦- الصوافق: الأرباح في البيوعات.

الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيراً، سُبْحَانَكَ يَا مُعتِقَ الرِّقَابِ. سُبْحَانَكَ يَا مُسَبِّبَ الأَسْبَابِ سُبْحَانَكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لا يَمُوتُ، سُبْحَانَكَ يا إِلهِي وَإِلَهَ النَّاسُوتِ. خَلَقْتَنَا رَبَّنَا بِيَدِكَ وَفَضَّلْتَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ تَفْضِيلاً، فَلَكَ الحَمدُ وَالنَّعْمَاءُ، ولَكَ الطَّوْلُ وَالآلاَءُ، رَبَّنَا تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ. أَنْتَ الأَوَّلُ فَلاَ شَيءَ قَبْلَكَ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلاَ شَيءَ بَعْدَكَ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلاَ شَيءَ يُشْبِهُكَ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلاَ شَيءَ يَرَاكَ وَأَنْتَ الوَاحِدُ بِلاَ كَثِيرٍ وَأَنْتَ القَادِرُ بِلاَ وَزِيرٍ، وَأَنْتَ الْمُدَبِّرُ بِلاَ مُشِيرٍ، ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[1] يا رَحْمنُ فِي الدُّنْيَا، وَرَحِيمُ فِي الآخِرةِ، سُبْحَانَكَ يَا مَنْ احْتَجَبَ فِي الأُولَى عَنْ جَمِيعِ الوَرَى، سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَرَدَّى بِالوَقَارِ وَالكِبْرِيَاءِ، سُبْحَانَكَ يَا مَالِكَ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَعَزَّزَ بِالقُدْرَةِ وَالعَلاَءِ يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّوَاحِي وَالحِسَا[2] يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا يَتَلَجْلَجُ[3] فِي الصُّدُورِ وَالحَشَا[4]، يَا مَنْ شَرَّفَ العَرُوضَ[5] عَلَى الْمُدُنِ وَالقُرَى، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الحِبَبِ[6] وَالثَّرَى، سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تَعَالَى وَلَطُفَ عَنْ أَنْ يُرَى، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، لاَ رَبَّ وَلاَ قَاهِرَ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ الشَّكُورُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَرَبُّ كُلِّ شَيءٍ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَلِيُّ الكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿طسم﴾ ﴿طس﴾

١- سورة آل عمران / ٢٦، ٢٧.

٢- الحساء: السهل من الأرض.

٣- يتلجلج: يتردد.

٤- الحشا: ما انضمت عليه الضلوع.

٥- العروض: مكة والمدينة وما حولها من القرى.

٦- الحبب: بذور الصحراء مما ليس بقوت.

﴿ مَرَجَ[1] ٱلْبَحْرَيْنِ[2] يَلْتَقِيَانِ[3] ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ[4] لَّا يَبْغِيَانِ[5] ﴾ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ حم حم حم حم حم حم حم[6] «حُمَّ[7] الأَمْرُ وَجَاءَ النَّصْرُ فَعَلَيْنَا لاَ يُنْصَرُونَ»: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[8] يَفْعَلُ مَا يَشاءُ بِقُدْرَتِهِ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ بِعِزَّتِهِ وَلاَ مُنَازِعَ لَهُ في جَبَرُوتِهِ ولا شَرِيكَ لَهُ في مُلكِهِ سُبْحانَ الله وَبِحَمْدِهِ لا قُوَّةَ إلاَّ بِالله مَا شَاءَ اللهُ كانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلماً. اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلاَ تُهْلِكْنَا بِإمْلائِكَ وَعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلكَ سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ سُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ وَالعَظَمَةِ وَالقُدْرَةِ وَالقُوَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ المَلِكِ الحَقِّ الحَيِّ الَّذِي لاَ يَنَامُ، ولاَ يَمُوتُ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ[9] رَبُّنَا وَرَبُّ الملائكةِ والرُّوحِ. اللَّهُمَّ عَلِّمْنا مِن عِلْمِكَ وَفَهِّمْنا عَنْكَ وَقَلِّدْنا بِصَمْصَامِ[10] نَصْرِكَ اللهُمَّ اجْعَلْنِي شَاكِراً لَك ذَاكِراً لَك راهِباً لَك مِطْوَاعاً لَك واجْعَلْنِي هَيِّناً مُخْبِتاً[11] إلَيْك أَوَّاهاً[12] مُنيباً اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا[13] وَسَدِّدْ مَقَاوِلَنَا وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنا[14] وَأَذْهِبْ الدَّخَلَ[15] والرَّانَ[16]

---

١ - مرج: أرسل.　٢ - البحرين: الملح والعذب.　٣ - يلتقيان: متجاورين.

٤ - برزخ: ما جز من الأرض بقدرة الله.　٥ - لا يبغيان: لا متجاوزان حديهما.

٦ - حم سبع مرات قال بعضهم هو اسم الله الأعظم ومعناه الحي القيوم.

٧ - حم الأمر «بضم الحاء وفتح الميم المشددة»: تم الأمر وقدر.　٨ - سورة غافر / ١ .

٩ - سبوح قدوس: منزه مطهر .　١٠ - بصمصام نصرك: ألبسنا سيف نصرك أي معونتك على الأعداء.

١١ - مخبتاً: خاشعاً.　١٢ - أواها: كثير الدعاء .　١٣ - حوبتنا: إثمنا.

١٤ - واسلل سخيمة صدورنا: انزع الحقد من صدورنا　١٥ - وأذهب الدخل: المكر والخديعة　١٦ - الران: الحجاب

وَالأَجْبنَةَ مِن قُلُوبِنا. اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن جُدَاعِ[1] الفَجْأَةِ، وَمِنْ حِرَاق المَأْرُوشَةِ[2] وَمِنَ الإلْحَادِ والغِرَّةِ[3] وَمِنَ الجَمِّ[4] وَالعَنَتِ وَمِنَ الأُمُورِ المُطَمِّرَاتِ[5] اللَّهُمَّ اقْسِمْ لنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعاصِيكَ وَمِن طاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ وَمِنَ اليَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنا مَصَائِبَ الدُّنيا وَمَتِّعْنا بِأَسْمَاعِنا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وانْصُرنَا عَلَى مَنْ عَادَانا وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنا وَلاَ تَجْعَلْ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنا وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنا يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا رُوعَنَا وَتَلُمُّ بِها شَعَثَنَا وَتَجْمَعُ بِها شَمْلَنَا وَتَشْفِى بِها مَرْضَانَا وَتُزَكِّي بِها أَعْمَالَنَا وَأَقْوَالَنَا وَتُلْهِمُنَا بِها رُشْدَنَا. اللَّهُمَّ إنَّا نَسأَلُكَ بِصَمَدَانِيَّتِك وَبِوَاحْدَانِيَّتِك وَبِفَرْدَانِيَّتِك وَبِعِزَّتِكَ البَاهِرَةِ وَبِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ أَنْ تَجْعَلَ لَنا نُوراً في مَسَامِعِنا وَنُوراً في أَعْيُنِنَا وَنُوراً في أَحْدَاقِنا وَنُوراً في قُلُوبِنا وَنُوراً في حَوَاسِّنا وَنُوراً في نَسَمِنا[6] وَنُوراً مِن بَيْنِ أَيْدِينَا. اللَّهُمَّ زِدْنَا عِلْمَاً وَنُوراً وَحِلْمَاً وَآتِنا نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَنِعْمَةً باطِنَةً ارزقنا عيشا بِلاَ بَلاَءٍ ودِيناً بلا هَوَاءٍ وعملا بلا رياءٍ وجنة بلا حسابٍ وَرُؤيةً بلا عَذَابٍ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ حَسْبُنا اللهُ لِدِينِنَا، حَسْبُنا اللهُ لِدُنْيَانَا، حَسْبُنا اللهُ لما أَهَمَّنَا حَسْبُنا اللهُ الحَلِيمُ القَوِيُّ لِمَنْ بَغَى عَلَيْنَا حَسْبُنا اللهُ الرحيمُ عِنْدَ السَّام[7] حَسْبُنا اللهُ الرَءُوفُ عِنْدَ المَسْأَلَةِ[8] في الحَدَثِ[9]، حَسبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم «سَبْعا» مَرْحَباً مَرْحَباً بالصَّبَاحِ وَاليَوْمِ الجَدِيدَيْنِ «أو بالمسَاءِ وَاللَّيْلِ

١- جداع: موت . ٢- المأروشة: مفسدي الخلق أو الأرض. ٣- الغرة: الغفلة.
٤- الجم: جمع المال مع الحرص عليه. ٥- المطمرات: المهلكات. ٦- نسمنا: أرواحنا.
٧- السام: الموت. ٨- المسألة: سؤال منكر ونكير. ٩- الحدث: القبر.

الجَدِيدَيْنِ» وَبالإبَّانِ[1] وَالفَيْئَةِ[2] السَّعِيدَيْنِ وَبِالسَّافِرِ[3] الشَّهِيدِ اكْتُبْ لَنَا ما نَقُولُ بِسْمِ الله الحَميدِ الفَعَّالِ في خَلْقِهِ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ. أَصْبَحْتُ بِالله مُؤْمِناً وَبِلِقَائِهِ مُصَدِّقاً وَبِحُجَّتِهِ مُعْتَرِفاً وَبِسِوَى الله في الأُلوهِيَّةِ جَاحِداً وَعَلَى الله مُتَوَكِّلاً نُشْهِدُ اللهَ وَنُشْهِدُ مَلائِكَتَهُ وَأَنْبِياءَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ وَجَمِيعَ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ هُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ وَبِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ الحَوْضَ حَقٌّ وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ السُّؤَالَ حَقٌّ، وَأَنَّ مُنْكَراً ونَكِيراً حَقٌّ، وَأَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ عَلَى ذَلِكَ نَحْيَا وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ غَداً لاَ نَرَى عَذَاباً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فَاغْفِرْ لَنَا أَوْزَارَنَا الكَبَائِرَ وَاللَّمَمَ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاهْدِنَا لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ نَسْتَغفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ آمَنَّا وَصَدَّقْنَا اللَّهُمَّ بِمَا أَرْسَلْتَ مِنْ رَسُولٍ وآمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابٍ. اللَّهُمَّ امْلأْ وُجُوهَنَا مِنْكَ حَيَاءً وَقُلُوبَنَا مِنْكَ حُبُوراً[4] اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لُهُمُوماً[5] ظَلَفاً[6] وَلا تَجْعَلْنِي ضَنِيناً[7] وَعَمِيناً[8] وَنَمِيماً[9] وَنفَّاجاً[10] وَدَاحِساً[11]. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَبْرَمَةِ[12]، وَمِنَ الْجَأْوَةِ[13]، وَمِنَ العُتُوِّ[14]، وَمِنَ الْخَطْرَبَةِ[15]، وَالْخَيْلُولَةِ[16]، وَالفَيْهَجِ[17]، وَالرَّثَعِ[18]، وَالعَتْلِ[19]، وَالرَّمَاءِ[20]، وَالفِتْنَةِ الدَّهْمَاءِ[21]،

---

١ - الإبان: الحين. ٢ - الفيئة: الرجوع إلى الصباح والمساء كل يوم وليلة.

٣- السافر: الملك الذي ينزل في النهار لحفظ العبد من آفاته وفي الليل لحفظه من طوارقه.

٤ - حبورا: سرورا ٥ - لهموما «بضم اللام»: جوادا. ٦ - ظلفا: شريف النفس.

٧ - ضنينا: بخيلا. ٨ - عمينا: مقيما على المعاصي. ٩ - نميما: ينم على الناس.

١٠ - نفاجا: متكبرا. ١١ - داحسا: مفسدا بين الناس. ١٢ - الهبرمة: كثرة الأكل والكلام.

١٣ - الجأوة: احتراق الفؤاد من شدة الحزن. ١٤ - العتو: الكبر. ١٥ - الخطربة: الضيق في المعيشة.

١٦ - الخيلولة: سوء الظن. ١٧ - الفيهج: الخمر. ١٨ - الرثع: الطمع والحرص الشديد.

١٩ - العتل: الجفاء وغلظ الطبع. ٢٠ - الرماء: الباطل ٢١ - الدهماء: المظلة.

وَالمَعِيشَةِ الضَّنْكَى[1]. اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنا «وَإِنْ كانَ فِي المَسَاءِ قَالَ أَوَّلَ لَيْلِنـا» هَذا صَلاحاً وَأَوْسَطَهُ فَلاحاً وَآخِرَهُ نَجَاحاً اللَّهُمَّ اجْعَـلْ أَوَّلَـهُ رَحْمَـةً وأَوْسَـطَهُ زَهَادَةً وَآخِرَهُ تكْرِمَةً. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنَ العَيْشِ أَرْغَدَهُ وَمِنَ العُمُـرِ أَسْـعَدَهُ وَمِـنَ الرِّزْقِ أَوْسَعَهُ وَأَنْفَعَهُ اللَّهُمَّ اعْفُ عَنَّا بِعَفوِكَ وَاحْلُمْ عَلَيْنَـا بِفَـضْلِكَ سُـبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ عَـلَى نَفْـسِكَ عَـزَّ جَـارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلا يُهْزَمُ جُنْدُكَ وَلاَ يُخْلَـفُ وَعْـدُكَ وَلا إِلَـهَ غَـيْرُكَ سُـبْحَانَكَ مَـا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ يا مَعْبُودُ سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَـقَّ مَعْرِفَتِـكَ يَـا مَعْـرُوفُ سُبْحَانَكَ مَا ذَكَرْنَاكَ حَقَّ ذِكْرِكَ يَا مَذْكُورُ سُبْحَانَكَ مَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُـكْرِكَ يَـا مَشْكُورُ اللَّهُمَّ أَوْزِعْنَا[2] شُكرَ مَا أَنْعَمْتَ بِه عَلَيْنا فَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّـذِي ارْتَفَعَـتْ عَنْ صِفَةِ الجِبِلِّ[3] صِفاتُ قُدْرَتِكَ وَلا ضِدَّ شَهِدَكَ حِينَ فَطَـرْتَ[4] المَأْرُوشَـاتِ[5] وَلانِدَّ[6] حَجَزَكَ حِينَ بَرَأْتَ الحَوْبَاوَاتِ[7] اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَحْمَةٍ[8] لا تَدْمَعُ وَمِن جَنَانٍ[9] لا يَخْشَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لا تشبع وَمِنْ عِوازٍ[10] المَـاعُونِ اللَّهُمَّ فَهِّمْنا أَسْرَارَكَ وَأَلبِسْنَـا مَلابِـسَ أَنْـوَارِكَ وَاغْمِـسْنا فِي رَامُـوزِ[11] اللَّطَـائِفِ وَأَفِض عَلَيْنَا مِنْ عَوَارِفِ المَعَارِفِ يَا نُورَ الأَنْوارِ يَا لَطِيفُ يَا سَتَّارُ نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنا مُحمدٍ نِبْرَاسِ[12] الأَنْبِياءِ ونَيِّرِ[13] الأَولياءِ وَزِبْرِقانِ[14] الأَصْـفِياءِ وَيُـوحِ[15] الثَّقَلَيْنِ[16] وَضِياءِ الخَافِقَيْنِ[17] وَأَنْ تَرْفَعَ وُجُودَنا إِلى فَلَكِ العِرْفَانِ وَتُـثَبِّتَ شُـهُودَنَا فِي مَقَامِ الإِحْسَانِ يا اللهُ يـا نُـورُ يـا مَـن الـسَّماءُ بِـأَمْرِهِ مَبْنِيَّـةٌ وَالغَـبْرَاءُ[18] بِقُدْرَتِـهِ

١- الضنكى: الضيقة. ٢- أوزعنا: ألهمنا. ٣- الجبل: الطبيعة البشرية.
٤- فطرت: أوجدت. ٥- المأروشات: المخلوقات. ٦- ولا ند: ولا ضد.
٧- الحوباوات: النفوس. ٨- الجحمة: العين. ٩- جنان: العقل أو القلب.
١٠- العواز: الاحتياج بلا قدرة. ١١- راموز: بحر عظيم. ١٢- نبراس: سراج.
١٣- ونير: منه يستمد النور. ١٤- وزبرقان: قمر. ١٥- يوح: شمس.
١٦- الثقلين: الجن والإنس. ١٧- الخافقين: المشرق والمغرب. ١٨- الغبراء: الأرض.

مَدْحِيَّةٌ[1] والشَّوَاهِقُ[2] بِحِكْمَتِهِ مَرْسِيَّةٌ[3] وَأنْوارُ القَمَرَيْنِ بِفَضْلِهِ مُضِيئَةٌ نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَرَقْرَقَتْ[4] بِهِ الخُنَّسُ[5] وَالأزْهَرَانِ[6] وَتَبَلَّجَتْ[7] مِنْهُ العَنَانُ[8] حِرْزاً مَانِعاً وَنُوراً سَاطِعاً خَاشِعاً يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ «طس» «طسم» وَنَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ مِنَ المَعَازِفِ[9] وَالعَضَهِ[10] والمَحظُورِ[11] وَالمُمَاحَلَةِ[12] وَالْغِمَارِ[13] وَمِنْ كَيْدِ الفُجَّارِ وَحَوَادِثِ العَصْرَيْنِ[14] وَمِنْ شَرِّ الأَجْرَيْنِ[15] يا حَفِيظُ احْفَظْنَا يَا وَالِي يَا عَلِيُّ يَا عَالِي يَا مَنْ لا إله إلا هُوَ لا يَعْلَمُ أحْدٌ كَيْفَ هُوَ إلا هُوَ، يَا اللهُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا حَقُّ يَا وَكِيلُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا فَرْدُ يا صَمَدُ يَا وَهَّابُ يَا فَتَاحُ يَا مُحْيِي يَا مُمِيتُ سَلَمٌ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
هُوَ اللهُ الذِي لا إلَهَ إلا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المتكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخَافِضُ الرَّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العدْلُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحليمُ العظِيمُ الغَفُورُ الشُّكُورُ العَلِيُّ الكبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ الوَاسِعُ الحكِيمُ الوَدُودُ المجِيدُ البَاعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوكِيلُ القويُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحمِيدُ المحْصِي المُبدِئُ المُعِيدُ المُحْيِي المُمِيتُ الحيُّ القيُّومُ الوَاجِدُ المَاجِدُ الوَاحِدُ الأحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ الأولُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَالِي المُتَعَالِ البَرُّ التَّوَّابُ المُنْتَقِمُ العفُوُّ الرَّؤُوفُ مَالِكُ المُلْكِ ذو الجَلالِ وَالإكرَامِ المُقسِطُ الجَامِعُ

١- مدحية: مبسوطة. ٢- الشواهق: الجبال العالية. ٣- مرسية: مثبتة علي وجه الأرض.
٤- ترقرقت: لمعت واستنارت ٥- الخنس: نجوم خمس، زحل، والمشترى، والمريخ، والزهراء وعطارد.
٦- الأزهران: الشمس والقمر (النيران) ٧- تبلجت: ابيضت ٨- العنان: صفائح السماء.
٩- المعازف: الملاهي والشواغل. ١٠- العضه: الكذب والبهتان. ١١- المحظور: الحرام.
١٢- المماحلة: المكر والخديعة. ١٣- الغمار: غلبة الرجال. ١٤- العصرين: ما يحدث بالليل والنهار من الفتن.
١٥- الأجرين: الجزائين.

الغَنيُّ المُغْنِي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الهَادِي البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ. حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ، يَا دَائِماً بِلا فَنَاءٍ وَيَا بَاقِياً بِلا زَوَالٍ وَيَا مُدَبِّراً بِلا وَزِيرٍ سَهِّلْ عَلَيْنَا وَعَلى أَبَوَيْنا كُلَّ عَسِيرٍ، اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلا رَادَّ لما قَضَيْتَ وَلا مُبَدِّلَ لما حَكَمْتَ وَلا هَادِيَ لما أَضْلَلْتَ وَلا مُضِلَّ لما هَدَيْتَ وَلا مُيَسِّرَ لما عَسَّرْتَ وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ[1] مِنكَ الجَدُّ، سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ الحَسِيبِ الحَكَمِ العَدْلِ الرَّقِيبِ البَاذِخِ الشَّامِخِ المُجِيبِ الغَنِيِّ الرَّشِيدِ الصَّبُورِ الجَلِيلِ المُقْسِطِ المُعْطي المانِعِ لا إله إلا اللهُ الوكيلُ الشَّهِيدُ لا إله إلا اللهُ المَتِينُ المَجِيدُ، لا إلـه إلا اللهُ الوَاجِدُ الوَالِي لا إلـه إلا اللهُ المَاجِدُ المُتعالِ، أَعْدَدْنَا لكُلِّ هَوْلٍ لا إله إلا اللهُ، وَلِكُلِّ رَغْسٍ[2] الحَمْدُ للهِ وَلِكُلِّ أُعْجُوبَةٍ[3] سُبْحَانَ اللهِ وَلِكُلِّ لَزَنٍ[4] حسْبِيَ اللهُ وَلِكُلِّ شَجْوٍ[5] مَا شَاءَ اللهُ وَلِكُلِّ قَضَاءٍ وَقَدَرٍ تَوكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَلِكُلِّ مُصِيبةٍ إِنَّا للهِ وَلِكُلِّ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ لا حَوْلَ وَلا قُوةَ إلا باللهِ وَلِكُلِّ شَجَبٍ[6] اسْتَعَنْتُ باللهِ «اللَّهُمَّ إِنَّا أَصْبَحْنَا – وفي المَسَاءِ أَمْسَيْنا» نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ مَلائكَتَكَ وَأَنْبياءَكَ وَرُسُلَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ بِأَنَّنا نَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ «أَرْبَعاً» وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العظيمِ يَا رَحْمنَ الدُّنيا وَرَحِيمَ الآخِرَةِ فَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الراحِمِينَ بِسْمِ اللهِ الشَّافِي هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ الكَافِي هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ المُعَافِي هُوَ اللهُ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ وَلا في السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ «ثلاثاً» ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

١- الجد: العمل إذ لا ينفع صاحب العمل عمله إذا لم يقبل منه.

٢- رغس: نعمة

٣- أعجوبة: إصابة عين.

٤- لزن: ضيق وشدة أو حاجة.

٥- شجو: هم وحزن.

٦- شجب: حاجة.

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1] ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[2] ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[3] نِعْمَ الحَافِظُ اللهُ يا حفيظُ احْفَظْنَا ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[4] ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[5]. ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[6] ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[7] ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[8] ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[9] ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي

١- سورة البروج / ٢٠-٢٢. ٢- سورة البقرة / ٢٣٨. ٣- سورة الطارق / ٤.
٤- سورة آل عمران / ١٥٤. ٥- سورة آل عمران / ١٥-١٩. ٦- سورة الروم / ١٧-١٩.
٧- سورة هود / ٥٦. ٨- سورة إبراهيم / ١٢. ٩- سورة التوبة / ٥١.

كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[4] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[5] «كهيعص» «حم عسق» اكْفِنَا وَارْحَمْنَا هُوَ اللهُ القَادِرُ القَاهِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الفَاطِرُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ. ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٣) يَا بَدِيعَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرامِ نَسْأَلُكَ بِعِظَمِ اللاَّهُوتِيَّةِ أَنْ تَنْقُلَ طِبَاعَنَا مِنَ الطِّبَاعِ البَشَرِيَّةِ وَأَنْ تَرْفَعَ مُهَجَنَا مَعَ مَلائِكَتِكَ العُلْوِيَّةِ «يَا مُحَوِّلَ الحَوْلِ وَالأَحْوالِ حَوِّلْ حَالَنَا إِلى أَحْسَنِ حَالٍ» «ثلاثاً» سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لا إِله إلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ صَلاةً مُنْجِيَةً فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ السَّابِقِ إِلى الأَنَامِ نُورُهُ الرَّحْمَةِ لِلعَالَمِينَ ظُهُورُهُ عَدَدَ مَنْ مَضَى مِنَ البَرِيَّةِ وَمَنْ بَقِيَ وَمَن سَعِدَ مِنْهُمْ وَمَنْ شَقِيَ صَلاَةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وَتُحِيطُ بِالحَدِّ لا غَايَةَ لَهَا وَلا انْتِهاءَ وَلا أَمَدَ، صَلاتَكَ التي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ صَلاَةً دَائِمَةً وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وأَسْرَتِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً مِثْلَ ذَلِكَ والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

١- سورة هود/ ٦ . ٢- سورة العنكبوت/ ٦٠ . ٣- سورة فاطر/ ٢ .
٤- سورة الزمر/ ٣٨ . ٥- سورة آل عمران/ ١٢٦.

خامساً: أختام الطريقة النقشبندية وكيفية حضرات الذكر

لرجال الطريقة النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية عدة أختام «وهى الحضرات التى تُخْتَمُ بهـا العبـادات والأذكـار» يجـب عـلى المريـد النقـشبندي ملازمتها والمواظبة عليها فإنها من أعظم المقربات إلى الله عز وجل متى عملـت بشروطها وآدابها الآتي بيانها:

أولاً: (ختم الخواجكان): وهـو منـسوب إلى الإمـام الربـاني سـيدي عبـد الخـالق الغجدواني[1] رأس الطريقة قدس الله سره. وله آداب وأركان:

شروطه وآدابه:

أولاً: الإذن بالطريقة من الشيخ المرشد.

ثانياً: الطهارة القلبية من أمراض القلـوب مـا أمكـن والظاهريـة مـن الحـدثين الأصغر والأكبر.

ثالثـاً: خلو المكان من غير المشتغلين بالختم.

رابعـاً: إغلاق الباب عليهم.

خامساً: الجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة.

سادساً: تغميض العينين إلى آخر الختم.

سابعاً : الخشوع والحضور التامَّيْن.

١- هو الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الخالق بن سيدي عبد الجميل الغجدواني نسبة إلى غجدوان قرية من قرى بخارى وقد اشتهر بلقب رئيس الخواجكان جمع خواجة - والواو فيه لا تنطق كواو الحيوة - ويطلق عـلى الحـاكم والوالي وكل صاحب جمعية، وقد اشتهر به مشايخ ما وراء النهر. فهو قدوة أصحاب الطريقة، وقد خلـف شـيخه الهمداني قدس الله سره في رئاستها وكانت وفاته ﷺ سنة ٥٧٥هـ «انظر إرغام المريد في شرح توسـل المريـد للـشيخ محمد زاهد الحنفي» ص٥١ - ٥٢.

ويستحب أن يدعو قبل الشروع في الختم بهذا الدعاء المأثور:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم يا مُفَتِّحَ الأبواب، ويا مُسَبِّبَ الأسباب، ويا مُقَلِّبَ القلوب والأبصار، ويا خالق الليل والنهار، ويا دليل المتَحَيِّرين، ويا غِيَاثَ المستغيثين، «أغثني» [ثلاثاً] توكلت عليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأُفوضُ أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد، يا فتاح يا رزَّاق يا وهاب يا باسط، وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أركانـه:

١. الاستغفار [٢٥ مرة] للطهارة من الذنوب ولتفريج الهم والضيق. أو خمس مرات على الأقل.

٢. الرابطة الشريفة: والمقصود منها استحضار رُوحانية السادة الخواجكان «وهم شيوخ النقشبندية جمع خواجة بالفارسية وتنطق بدون واو ومعناه الشيخ أو السيد». فيستحضر المريد رُوحانياتهم من الشيخ المرشد إلى حضرة النبي ﷺ للاستفاضة من أرواحهم الطاهرة واستمداد المدد الصوفي من ذواتهم المباركة.

٣. قراءة الفاتحة الشريفة [سبعاً].

٤. الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ [١٠٠مرة]. بصيغة اللهم صلِّ على سيدنا محمد النور وآله. أو بأي صيغة أخرى.

٥. قراءة سورة ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ [٧٩مرة] بعدد شُعَب الإيمان.

٦. قراءة سورة «الإخلاص» [١٠٠١مرة].

٧. قراءة الفاتحة الشريفة [سبعاً].

٨. الصلاة على سيدنا رسول الله [١٠٠ مرة].

٩. قراءة ما تيسر من القرآن الكريم.

١٠. أن يهدي ثواب ذلك إلى صحيفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين ومن بعده إلى أرواح كل من آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه الأطهار وسائر الأولياء خاصة أرواح السادة النقشبندية الخواجكان لاسيما صاحب الختم وسيدي محمد بهاء الدين والإمام الفاروقي ومولانا الشيخ جودة ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ويصلي على النبي ﷺ[1].

من أسرار ختم الخواجكان

ذكر العارف الرباني سيدي محمد أسعد العثماني الخالدي قدس الله سره في كتابه «الفيوضات الخالدية» طرفا من أسرار هذا الذكر الشريف والورد المنيف المسمي بختم الخواجكان فقال عليه الرضوان:

«**وصل تفصيل**» أما قراءة الفاتحة سبعا: فلاستفاضة رقائق حروفها المطروحة من وجه الرحمة والاستحجاب عنها من وجه النقمة، ومن هذا: تليت سبعاً «مرتين»، على أنه كذلك موافقة للنزول المكي والمدني، وهو للمراد في مقام مكة «كان الله ولم يكن معه شيء ثان» ومقام المدينة «وهو الآن على ما عليه كان» ولا لصاحب أحد الوجهين، فإن له ما صاحب.

١- انظر جامع أصول الأولياء لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ص١٤٨.

ومن هذا: رأى البعض سبعيتها لاحتظاء إمدادات تلك الحروف فجعل كل آية نقطة حرف، وكل حرف حياة نفس، والبعض رأي سبعيتها للاحتجاب من بطش وصلاتها بما شهد عليها من الوصلات الانتقامية لحضيرة حظيرة الجهنمية ولو نظر بما فيها لعلم أن الرحمة من فيافيها.

مثلاً: لو نظرنا إلى التاء لرأيناها وحدة ذاتية، وتزن الباء في الوحدة لولا بطون الواحدية فيها بنقطتها وهذه بنقطتها.

ولو نظرنا في الزاي لوجدناها أقرب من الثاء في بعض تجلياتها لولا النقطة، مع أنها في البعض الآخر كهي والبعض الآخر أدنى منها للوحدة، ولأن رقائق السبعة: اللطائف الخمسة والنفس الناطقة ولسان الجمع تتلو بألسنة إنسانيتها معنى الفاتحة، إلا أنها تستنشق إجابة البشرية في مطلوبها، فبتلاوتها سبعا تكون كل مرة إجابة بواحدة، وثم أسرار لا يسعها مجال الأقلام من فيض العليم العلام!!

وأما الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة: فلما ورد من أن من صلى عليه ﷺ مائة مرة: يعطي مائة حاجة: ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة، على أن الصلاة مائة إجابة، لكل لطيفة عشر مرات، والعشرة إن نظرت إلى صورتها فهي واحدية أحدية، وإن نظرت إلى رتبتها فكذلك، فتكون كل لطيفة جامعة للواحدية والأحدية، وبهذا تم له الإنسانية الكاملة، إذ هما جناحان لا طيران للمرء بدونها.

وأما «الانشراح» تسعا وسبعين مرة: فَلِمَا ورد أن القلب كلما فعل حسنة انشرح وانفسح، وكلما فعل سيئة اصطك وانقبض، وأمهات الحسنات بضع وسبعون مرة، والبضع تسع، فكل مرة شرح للقلب بالتخلق بصفة من صفات الإيمان.

وأما «الإخلاص» ألفاً وواحداً - ألفاً للمريدين مع الشيخ وواحدة له:
فلأن الألف مجمع الأعداد الأربعة التي هي: الآحاد والعشرات والمئات والألوف، السارية أحكامها في الأشياء كلها، وهذه الأعداد الأربعة يقابلها حضرات أسمائية منها حضرات الإخلاص الأربعة كل حضرة لعدد الهوية للوحدة في الآحاد، والجامعية الأحدية للواحدية في العشرات، فإنها بالجامعية كانت واحدة والجامعية الصمدية في المئات، ولهذا ظهرت في التنزل الثالث الذي منه الكيان الملكي. والتنزيهية المحصنة في الألوف، ولهذا ظهر في التنزل الرابع الذي منه الكيان الإنساني. والألف: هو النقطة الوحدة الممدة لكل مكون، ولهذا كانت أول الحروف النورانية لا يكون معها شيء وهي معنى الوحدة القائم في رتبة الواحد حقا[1].

ثانياً: صيغة ختم سيدي محمد بهاء الدين قدس الله سره[2]:

ولها من الشروط والآداب ما مر في الختم الخواجكاني وأما أركانه فهي فيما يلي:

١) الاستغفار [١٥مرة].

٢) الرابطة الشريفة.

٣) الصلوات المنيفة [١٠مرات].

٤) أن تقول يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي [٥٠٠مرة].

---

١ - انظر كتاب الفيوضات الخالدية والمناقب الصاحبية للعارف بالله تعالى سيدي محمد أسعد صاحب زاده الخالدي العثماني بهامش كتابه نور الهداية والعرفان: ٢٠ - ٢٢.

٢ - هو الإمام القطب الغوث الأعظم شيح الطريقة النقشبندية ومجددها سيدي محمد بن محمد بن محمد بهاء الدين شاه نقشبند الأويسي البخاري المولود في قصرها العارفان - من قرى بخارى - سنة ٧١٧هـ والمنتقل إلى جوار الرفيق الأعلى جل جلاله سنة ٧٩١هـ وهو درة عقد هذا الطريق قدس الله سره.

٥) الصلوات على النبي ﷺ [١٠٠مرة].

٦) قراءة ما تيسر من القرآن العظيم.

ثالثاً: صيغة سيدي محمد الباقي بالله قدس الله سره:

وهو بعد الشروط والآداب المتقدمة:

١) الاستغفار [٢٥مرة]. ٢) الفاتحة [سبعاً].

٣) الصلاة على النبي ﷺ [١٠٠مرة]. ٤) يا باقي أنت الباقي [٥٠٠مرة].

٥) الفاتحة الشريفة [سبعاً]. ٦) الصلوات المنيفة [١٠٠مرة].

٧) قراءة عشر من القرآن العظيم.

رابعاً: صيغة ختم الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدي أحمد الفاروقي قدس الله سره: وهو بعد الآداب والشروط:

١-الاستغفار [١٥مرة].

٢-الرابطة الشريفة.

٣-أن تقول «صلى الله على النبي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[١٠٠مرة].

٤-لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [٥٠٠مرة] وتمام رأس كل مائة يقرؤها رئيس الختم.

٥-الصلاة على النبي ﷺ بالصيغة المذكورة آنفاً [١٠٠مرة].

٦-عَشْر قرآني شريف.

خامساً: ختم الإمام محمد المعصوم قدس الله سره

وهي بعد الآداب والشروط:

١) الاستغفار [١٥مرة].

٢) الرابطة الشريفة.

٣) الصلوات المحمدية بأي صيغة [١٠٠مرة].

٤) تلاوة قوله تعالى ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[٥٠٠مرة]

٥) الصلوات الشريفة [١٠٠مرة].

٦) قراءة عشر آيات من القرآن العظيم.

سادساً: صيغة ختم سيدي أحمد النامقي الجامي قدس الله سره

وهو بعد الآداب والشروط:

١) الاستغفار [٢٥مرة].

٢) الرابطة المنيفة.

٣) الصلوات الشريفة [١٠٠مرة].

٤) ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [١٠٠٠مرة].

٥) الصلوات الشريفة [١٠٠مرة].

٧) عشر قرآني عظيم.

سابعاً: (ختم الخواجكان الصغير)

١) الاستغفار [ثلاثاً].

٢) الفاتحة الشريفة [مرة].

٣) الإخلاص [ثلاثاً].

٤) ثم الفاتحة [مرة].

٥) صلاة شريفة [مرة].

٦) عشر قرآني كريم.

سادساً: صلوات مأثورة وأدعية مبرورة عن مولانا ضياء الدين خالد النقشبندي مجدد الطريقة قدس الله سره

الصيغة الأولى:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بعدد كل داء ودواء وبارك وسلم عليه وعليهم كثيراً «ثلاث مرات» وعند الأخيرة يقول «كثيراً كثيراً»، ثم يقول: صل وسلم على جميع الأنبياء المرسلين وآل كلٍ وصحب كلٍ أجمعين والحمد لله رب العالمين. على أفضل العالمين سيدنا محمد الصلوات. على أكمل العالمين سيدنا محمد الصلوات، على أشرف العالمين سيدنا محمد الصلوات.

الصيغة الثانية:

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسول النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وكما يليق بعظيم شأنه وشرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائماً أبداً عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضاء نفسك وزنة عرشك أفضلَ صلاةٍ وأكملَها وأتمَّها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليما كذلك وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم والتابعين وعلى أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الصيغة الثالثة:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك وعدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك «عشراً صباحاً وعشراً مساء».

الصيغة الرابعة:

أن يقول كل يوم بعد صلاة العصر: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله.

الصيغة الخامسة:

أن يقول قبل صلاة الجمعة مائة مرة «صلوات الله وملائكته وأنبيائه وجميع خلقه على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته».

الصيغة السادسة:

أن يتلو «يوميا» سبعا وعشرين مرة: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. وأفاد ﷺ: أن ذلك من أعظم مكفرات الغيبة والنميمة.

الصيغة السابعة:

أن يقول «يا صمد» أربعين مرة. وأخبر قدس الله سره: أن ذلك أمان من داء الجوع.

ثم ختام هذه التوصيات الخالدية: قراءة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى مطلع الشمس، فإذا طلعت: اقرءوا ختم الخواجكان الكبير[1].

١- انظر الفيوضات الخالدية والمناقب الصاحبية لمولانا محمد أسعد صاحب زاده الخالدي العثماني النقشبندي: بهامش نور الهداية والعرفان له أيضاً ٣٧ - ٣٩.

سابعاً : المنظومات النقشبندية المتضمنة لسلاسل الطريقة

(١)

الإشراقات المحمدية في التوسل برجال السلسلة النقشبندية

للشيخ حامد جاد «النقشبندى»

أقصد باب المولى تلج واذكر بفؤاد منك شجى

والهج بالذكر تنل قربا فضياء القلب من اللهج

وأبذل روحا وأبذل مهجا لتنال الوصل فتبتهج

فبروض الحضرة راح رضا ومدام الجذب لمن يَعجِ

ورياض القرب بدائعها تجلى لمحب منتهج

وبحضرته فالزم أدبا كيما تسمو أعلا الدرج

فهناك الأنس ولذته ومقام يفدى بالمهج

رَوِّحْ بالرَّاحِ الرّوُحَ ومِلْ طربا لبلوغك ذا النهج

واشرب صرفا فالخمرة إن تمزج بمياه لا تهج

وأرشف لرحيق مختوم بلطائف أنسك ممتزج

واشطح لا تخش الشطح ولا تك عند القرب بمنزعج

واعمد للختم ونفحته فسحاب الخير إليه زجي

واحسرة قلبي أبغي القر ب وأسعى في طريق العوج

فعملت ذنوبك تعلمها وأتيت بذا الوجه السمج

مولاي أتيتك معتذراً والقلب بخوفك ذو خلج

وأتيت ملحا في طلبي والدمع بعيني كاللجج

مولاي دعوتك مرتجيا أن تفتح لي باب الفرج

بالذات بأسرار همعت ... بالفَيْضِ القدس المبتهج
وبكل نبي منك أتى ... وبحق الرسل وكل نجي
وبخاتمهم وبسيدهم ... طه الراقي أعلى الدرج
بأبي بكر الصديق كذا ... ك بسلمان عجل فرج
وبقاسم البكري هو الـ ... مهدي الهادي عليا النهج
بالصادق والبسطام هما ... سفن تنجي وسط اللجج
بأبي الحسن الخرقان كذا ... بالفارمدي وكل شجي
وبالهمداني ونفحته ... أكرم مثواي مدي الحجج
وبعبد الخالق فانفعني ... وارفعني من صف الهمج
بالعارف ثم بمحمود ... يسر أمري وأقم حججي
بعلي ثم السماسيِّ ... بأمير كلال ذي البلج
ببهاء الدين محمد رو ... ح طريقتنا الله نجي
صافى المولى حتى انتقشت ... أسماء الذات على المهج
بعلاء الدين ويعقوب ... وعبيد الله المبتهج
بالزاهد مع درويش وال ... أمكنكي أصحاب الفلج
بالباقي مولاي اقبلني ... بالفاروقيِّ همو سرجي
وبمعصوم مع سيف الدينِ ... احْيِ قلبي وأقم عِوَجِي
بالبدواني محمدنا اشرح ... صدري وأزل حرجي
بحبيب الله أقل زللي ... ولتسليم هيئ مهجي
وبعبد الله ارفع ذكري ... وبخالدنا النور البهج
هو واسطة للعقد وتا ... ج طريقتنا ذات الأرج
وبأحمدنا الأوراد كذا ... بضياء الدين انصر حُجَجي
وبقدوتنا وكرامته ... بدر الإرشاد المنبلج

شـمس ظهـرت النـاس محـت ظلـــمات البعـــد لمنــــتهج

شيخي ومـلاذي «جـودة» مـن هــو بــاب الفــتح لمــن يلــج

وطريــــق الله وحجتـــــه في الأرض ومفتــاح الفــرج

فبـــه انفعنـــا وبـــه اجبرنـــا وبــه ارفعنــا أعــلى الــدرج

عظمــت في الـسكون فـضائله وجميــع الخــير لديــه رجــي

وبقطـــب للعليـــا قـــصدا بحــر الإنعــام لكــل شــجي

قـد خُـصَّ بفـضل مـع كـرم ينجــي الحــيران مــن اللجــج

هو أسـتاذي «عيـسى» ارزقنـي بمحبتــه مــع كــل شــجي

فـــضلاً مـــع توفيقـــا ربي لأنـــال الوصـــل وابـــتهج

واغفـــر يـــا رب لوالـــده وأقــم قلبــي مــن ذا العــوج

طَهِّـــرْ بالحـــب سرائرنـــا وبنــور الفــتح أضــئ سُرُجِـي

ولـــسامعها ولحاضرهـــا عجـــل بـــالفتح وبـــالفرج

وصـــلاةً مـــع تـــسليماتٍ لختـــام الرســـل المنـــتهج

والآل مــع الأصــحاب كــذا مـــن يتـــبعهم في ذا الـــنهج

مـــا هـــلَّ هـــلال أو طلعـــت شـــمس الخـضراء عـلى المـرج

أو قـــال عبيـــد ذو شـــغف أقـــصد بـــاب المـــولي تلـــج

** *** **

(٢)

الرَّوْحَ والرَّيحان في نظم أهل سلسلة الخواجكان
للشيخ حفني مسعود «النقشبندي» ببركة السبع

إن رمت نيل العلا فاجعل له سببا ... واسلك سبيل الهدي في السر والعلن

وسر إلى الله واستمسك بسلسلة ... في سرها سائر الخيرات والمنن

فيها الكرام كأقمار الدجي طلعوا ... تضيء أنوارها فينا مدى الزمن

ريحانها طيب في كل آونة ... وروْحُها راحة للروح والبدن

وفضل أشياخها يزهو برفعته ... بين الأفاضل في الأقطار والمدن

صاح توسل بهم واعمل بشرعتهم ... يعز جاهك بين الأهل والوطن

فبدرها المصطفي صدِّيقُهُ وكذا ... سلمانُ قاسمٌ حامي بيضة السنن

وجعفر ثم طيفور أبو الحسن ... أبو على كذا الهمداني ذو الفطن

والغجدواني من عمت فضائله ... وعارف فغنوي قيم السنن

راميتني وسماسي كلال كذا ... محمد النقشبندي كاشف المحن

قطب كرامته بين الوري كثرت ... ومثله في سبيل الله لم يكن

ثم الهمام علاء الدين عمدتنا ... كذاك جرخي عبيد الله ذو منن

محمد ثم درويش وأمكنكي ... قطب السلوك مبيد الهم والحزن

محمد وكذا الفاروق يتبعه المعصو ... م في هذه الدنيا من الفتن

محمد ثم بدواني قدوتنا ... ومظهر دهلوي مصدر السنن

محمد خالد جلت مناقبه ... قدراً ولم يك في الدنيا بمفتتن

وأحمد وضياء الدين ملجؤنا ... في لذة القرب ضَحَّى لذةَ الوسن

يتلـوه «جـودة» مولانـا وسـيدنا أنعـم بـه مـن ولي فاضـل فطـن

بـدر منـير مـن العَزِّيَـةِ انبعثـت أنـواره وزهـت في زيهـا الحـسن

ثـم الهـمام الـذي قـد فـاز قاصـده حقـا فأصـبح في الخـيرات والمـنن

يُسْمَى «بعيسى» الذي قد ساد في زمن قطبا هماماً فنرجـو الحفـظ مـن فـتن

واليوم صار بمنيـا القمـح فـافتخرت بـه عـلى سـائر البلـدان والمـدن

وفي سـماء العـلا شـمس لهـا مـدد من نـور طـه أبـو اليزيـد ذو الفطـن

فهـؤلاء هـم الأقطـاب سـادتنا وهم غياث الوري من سالف الزمن

يـا ربنـا انفـع بهـم وانـشر طـريقتهم واحفـظ مريـدهَمُ في الـسر والعلـن

ثـم الـصلاة عـلى المختـار سـيدنا محمـد صـاحب الآيـات والـسنن

والآل والـصحب ثـم التـابعين ومـن يتلوهمـو مـا شـدا طـير عـلى فـنن

** *** **

(٣)

منظومة أسماء الله الحسنى

(للشيخ على سالم من العلماء النقشبندية)

إلهــي توجهنــا إليــكَ فَــدُلَّنا ... على الخيرِ يا اللهُ يا مَن لـك الثَنا

بِـذاتِكَ يـا رحمـنُ فـامْنُنْ بِرحمـةٍ ... تَفـيضُ علينـا يـا رحـيمُ تَحَنُّنـا

ويـا مَلِـكٌ هَبْنـا سُرورا وحكمـةً ... ويـا ربُ يـا قُـدوسُ طهـر قلوبنـا

سـلامٌ فـسلِّمْنا مـن الكِـبرِ والرِيـا ... ويـا مـؤمنٌ آمـنْ بفـضلكَ خَوفَنـا

وأَعْطِـفْ علينـا يـا مهـيمنُ بالعطـا ... وبـالعزِ حقـاً يـا عزيـزُ أعِزَّنـا

ويـا ربُ يـا جبـارُ يـا متكـبرٌ ... بِكِـبْرِكَ كَـبِّرْ يـا إلهـي شـئونَنا

ويا خالقَ الأكوانِ يا بـارئَ الـوَرَى ... بفـضلك فَـرِّجْ يـا مُـصَوِّرُ كربنـا

ويا ربُ يـا غفـارُ فـاغفِرْ لنَـا الخَطَـا ... ولِلـضِّدِّ يـا قهـارُ صُـدَّ وأَحْمِنـا

ويـا ربُ يـا وهـابُ هَبْنَـا مَعَارِفَـاً ... وللـرزقِ يـا رزاَّقُ وَسِّـعْ وُجْـدَ لنـا

وللبـابِ يـا فتـاحُ فَـافْتَحْ تَكَرُمَـاً ... وبـالعلمِ فَـانْفِ يـا علـيمُ لجهلنـا

ويا قابضُ اقبضْ رُوحَ كلِ مُعَـارِضٍ ... ويا باسطَ الإحسانِ بـالفَيْضِ عُمَّنَـا

ويا خافضُ اخفضْ قدرَ كـلِّ مُعَانِـدٍ ... ويا رافـعُ ارْفـعْ في الحـضَائِرِ ذِكْرَنـا

مُعِـزٌّ فَعَزِّزْنَـا بِزُهْـدٍ وعِفَّـةٍ ... مُـذلُّ فَـذَلِّلْ كـلَّ ضـيقٍ يُهِمُّنـا

سـميعٌ فَـافْرِغْ سـمعَنا لِمَـواعِظٍ ... بـصيرٌ فَبَـصِّرْنا ورَقِّـقْ حِجابَنَـا

ويا حكمٌ يا عدلُ خْـذُلْ مَـنِ افْـتَرَى ... لطيـفٌ خبـيرٌ عـالِمٌ بأمورِنـا

حلـيمٌ عظـيمُ العفـوِ عـن كـلِّ زَلَّـةٍ ... غفورٌ شكورٌ هَـبْ لنـا الـشكرَ رَبَّنـا

عليٌّ كبيرٌ جَلَّ عـنْ وصـفِ واصـفٍ ... حفـيظٌ مُقِيْـتٌ بـالحلالِ فَأَغْنِنَـا

حـسيبٌ جليـلٌ جُـدْ لنـا بِرِعَايَـةٍ ... كـريمٌ رقيـبٌ فَـاعْفُ عنَّـا وعَافِنَـا

مُجيبٌ أغِثْنَا بِالإجابةِ عَاجِلاً   ويا واسعٌ وَسِّعْ بفضلِكَ رزقَنَا
حكيمٌ فَحَكِّمْنَا بأنفعِ حِكْمَةٍ   ودودٌ فَأَلْقِ الوُدَّ والحُبَّ بيننَا
مَجيدٌ أَنِلْنَا منكَ مجداً ورِفعةً   ويا باعثٌ في البعثِ سَهِّلْ حِسَابَنَا
شهيدٌ فأشهِدنا عُلاكَ تَفَضُلاً   ويا حقُّ حَقِّقْنا لِيُرفَعَ قَدْرُنا
وكيلٌ قويٌ مُدَّنا مِنْكَ بالقُوى   متينٌ فَأَيِّدْنا وسَدِّدْ مَقالَنا
وليٌّ حميدٌ هبْ لَنَا الحمدَ دائماً   ويا محصي يا مبدي العَطَا أنتَ ذَخرُنا
معيدٌ فألبِسنا لَدَى العَوْدِ حُلَّةً   مِنَ النورِ يا مُحيي الأنامِ مِنَ الفَنا
مُميتٌ أَمِتْ مِنَّا النفوسَ عن الهوى   ويا حيُ يا قيومُ قَوِّمْ طريقَنا
ويا واجدٌ أوجِدْ لنا كلَ بُغْيَةٍ   ويا ماجدٌ فارفَعْ بفضلِك مجدَنا
ويا واحدٌ كن للكروبِ مُفَرِّجاً   ويا أحدٌ فَامْنُنْ وَزِحْ غَيْمَ غَمِّنَا
ويا قادرٌ صُدَّ البُغاةَ بكيدِهِم   ومقتدرٌ فاجْبُرْ بفضلِك كَسْرَنا
مُقَدِّمُ قَدِّمْنا إلى رَتْبَةِ العُلا   مؤخرُ أَخِّرْ عنْ مَعالِيكَ خَصْمَنا
ويا أَوَّلُ اجعلنا بِأولِ زُمرَةٍ   تَسِيرُ إلى الجناتِ في يومِ حَشْرِنا
ويا آخرُ تَمِّمْ بخيرٍ وَجُدْ بِهِ   ويا ظاهرٌ يا باطنُ أنتَ حَسبُنا
ويا والياً لَسْنَا لِغيرِكَ نَنْتَمِي   ويا متَعالٍ أَعْلِ بِالنصرِ دِينَنا
ويا بَرُّ يا توابُ فَاسمَحْ بِتوبَةٍ   ومنتقمٌ ربِ انتقمْ مِنْ عَدوِّنا
عفوٌ رؤوفٌ هَبْ لنَا منكَ رَأفَةً   ويا مالِكَ الملكِ العظيمِ تولَنا
وأفرغْ علينا ذا الجلالِ جَلالَةً   ويا مقسطٌ ثَبِّتْ على القِسطِ أمرَنا
ويا جامعُ اجْمَعنا جَميعاً على الهدى   غنيٌ ومُغْنٍ أَغْنِ بالجودِ فَقرنا
ويا مانعُ امنَعنا من الضُّرِ والبَلا   ويا ضارُ ضُرَّ المعتَدِينَ ونَجِّنا
ويا نافعُ انفَعْنا بِأَعظمِ مِنحَةٍ   ويا نورُ يا هادي إلى الرشدِ فاهدِنا
بديعٌ فأتحِفنا بأبدعِ تُحفَةٍ   ويا باقِ بعدَ الموتِ سَهِّلْ حسابَنا
ويا وارثٌ وَرِّثْنا عِلماً وحَكمَةً   رشيدٌ صبورٌ وَفِّ بالصبرِ أجرَنا

بأسمائِكَ الحسنى دَعَوناكَ فاستجبْ … ولا تجعلِ الحرمانَ منك جزاءَنا
وسَبِّبْ لنا الأسبابَ يا واهبَ العَطا … وبلِّغْ لِما نَرجُوهُ منكَ مُرادَنا
وأصلِحْ لنا الأحوالَ وامْنُنْ بنظرةٍ … إلينا وبالألطافِ يا ربِ حُفَّنَا
وسامحْ لنا بالعفوِ عَن كلِ هَفْوَةٍ … ومِن مَرَضِ الأغيارِ فاسمَحْ ودَاوِنَا
وسَهِّلْ علينا الأمرَ في كلِّ ما يَكُنْ … فَبِالمصطفى المختارِ قُدْوَةِ دينِنَا
وبالآلِ والأصحابِ ثم تَبيْعِهِمْ … ولاسيما الصديقَ مَنْ فازَ بِالْمُنَا
وبالصاحبِ المَدْعُوِّ سَلْمانَ فارسٍ … وبالقاسمِ البكريِّ نسلِ صِدِّيقِنَا
وبالصادقِ المعروفِ حقاً بجعفرٍ … سألناكَ يا اللهُ حُسْنَ خِتامِنا
كذاكَ بِطَيْفُورٍ تَوَلَّ أُمُورَنَا … وبإمدادِ خَرْقَانِيٍّ يا ربِ حُفَّنَا
ويا ربِ بالفَارْمَادِ ثُمَ بِيُوسُفٍ … أجِرْنَا منَ النيرانِ واكشِفْ كُرُوبَنا
وبالغُجْدَوَانِيِّ كَذَاكَ بِعَارِفٍ … ومحمودِنا يا حَقُّ حَقِّقْ طريقَنا
وسَهِّلْ لنا الأسبابَ في كلِّ لحظةٍ … بحقِّ عليٍّ يا الهي ونَجِّنَا
بِبَابَا السَّمَاسِيِّ كُلالِ محمدٍ … بهاءِ لدينٍ يا لطيفُ تَوَلَّنَا
بِعِرْقٍ مِنَ العَطَّارِ طَهِّرْ قلوبَنا … ويعقوبٍ الجَرْخِيِّ قدوةِ دينِنا
ويا ربِ بالأحرارِ ثمَّ بِزاهِدٍ … تَكَرَّمْ علينا بالمَسَرَّةِ والهَنَا
وَوَفِّقْ بدرويشٍ جميعَ أحبَتي … إلى فعلِ ما يُرضيكَ وأغفرْ ذنوبَنا
وبالخُوجَكِي والباقيْ يا نِعْمَ خالقٌ … وأحمدِنا الفاروقيْ سَهِّلْ أمورَنا
ويا ربِ بالمعصومِ ثمَّ بِنَجْلِهِ … المُسْمَى بِسَيْفِ الدينِ مَحْواً لِجُرْمِنَا
بنُورٍ ومَظْهَرٍ سألناكَ رحمةً … وعفواً وإحساناً ونوراً يَعُمُّنَا
كذاكَ بِعبدِالله ثمَّ بخالدٍ … وأحمدِنا الأروادِ قَوِّمْ طريقَنَا
ومُنَّ علينا يا إلهي بِجَذْبَةٍ … بها نَلْحَقُ الأقوامَ مَنْ سارُوا قَبْلَنا
كَذا بضياءِ الدينِ قُرْباً ووَصْلَةً … وفي الحَشْرْ يا اللهُ سَهِّلْ حِسَابَنا
كذاكَ الذي قَدْ أرشَدَ الناسَ للهُدَى … وبَيَّنَ أسبابَ النجاةِ وأعْلَنَا

هـو الـشيخُ جُـودَا مَـنْ تَـوَلاَّهُ رَبُّـهُ ... وصارَتْ مزاياهُ مِـنَ الـشمسِ أَبْيَنَـا

فيـا ربِ متِّعنـا جميعـاً بِـسِرِّهِ ... وَهَيِّـئْ لنـا مِـنْ أمرِنـا مـا يَـسُرُّنَا

وللوالـدِ أغفـرْ يـا إلهـي تَكَرُّمـاً ... وأنجالِهِ احفظْهُمْ من الزَيْغِ والعَنَـا

ولاسِـيَّما عيـسى الهُـمَامَ إمامَنَـا ... وعَوْنَـا لنـا في كـلِّ أمـرٍ يُهِمُّنـا

هـو القُطْـبُ حقـاً فاقْـصِدْنَه فإنَّـهُ ... يُـرَبِّي مُرِيدِيـهِ ويَكْفِـيْهِمُ العَنَـا

بـهِ فتمـسَّكْ يـا خليـلُ ولا تَكُـنْ ... نَؤُوماً لدى الخيراتِ تَحْظَى بِقُرْبِنَا

فنـسأْلُكَ اللهـم يـا بـارئَ الـوَرَى ... صيانةَ فـرعٍ مـعْ كمالٍ لـشيخِنا

وأتباعِـهِ والـسالكينَ طريقَـهُ ... وفي مقعـدِ الـصدقِ المَنيـعِ أحِلَّنَـا

وللنـاظِمِ اغفـرْ يـا الهـي وَجُـدْ لَـهُ ... بخـيرٍ وإحـسانٍ وأحْـسِنْ ختامَنـا

ووَفِّقْـهُ للخـيراتِ في كـلِّ لحظـةٍ ... وسـامحْهُ يـا اللهُ يـومَ حـسابِنا

وصلِّ وسـلِّمْ يـا إلهـي مـدى المـدى ... عـلى المـصطفى خـيرِ الأنـامِ نبيِّنـا

وصلِّ على الأملاكِ والرُّسْلِ كُلِّهِمْ ... كذا الآلِ والأصحابِ جمعَاً وفَرْدَنَـا

وسـلِّمْ علـيهمْ كُلَّمَا قـالَ قائـلُ ... إلهـي تَوَجَّهْنَـا إليـكَ فَـدُلَّنَا

** ** **

(٤)

الاســـتغاثة

لسيدي أحمد البدوي ﷺ

«وهي مما تواصي السادة النقشبندية بقراءتها»

إلهــي أنــت للإحــسان أهــل ... ومنك الجـود والفـضل الجزيـل
إلهــي بــات قلبــي في همــوم ... وحــالي لا يــسر بــه خليــل
إلهي تـب وجـد وأرحـم عبيـدا ... مــن الأوزار مدمعـــه يـــسيل
إلهــي ثــوب جــسمي دنــسته ... ذنــوب حملهــا أبــدا ثقيــل
إلهــي جــد بعفــوك لي فــأني ... عـلى الأبــواب منكــسر ذليــل
إلهــي حفنــي بــاللطف يــا مــن ... لــه الغفــران والفـضل الجزيـل
إلهــي خــانني صـبري وجلـدي ... وجاء الشيب واقـترب الرحيـل
إلهـــي دواني بـــدواء عفـــو ... بــه يُــشفى فــؤادي والعليــل
إلهـي ذاب قلبــي مــن ذنــوبي ... ومـن فعـل القبـيح أنـا القتيـل
إلهـــي ردني بـــرداء أنـــس ... وألبــسني المهابــة يــا جليــل
إلهـي زحـزح الأسـواء عنـي ... وكـن لي نـاصرا نعـم الكفيـل
إلهـي سـيدي سـندي وجـاهي ... فـما لي غـير عفـوك لي مقبـل
إلهي شَـتِّتْ جـيشَ اصـطباري ... همـومٌ شرحهـا أبـداء يطـول
إلهي صرت من وجـدي أنـادي ... أنا العـاصي المسيء أنـا الـذليل
إلهـي ضـاع عمـري في غـرور ... وفي لهـــو وفي لعـــب يطـــول
إلهـــي طالمـــا أنعمـــت مَنَّـــاً ... بجـود منـك فـضلا يـستطيل
إلهـــي ظـــاهراً أدعـــوك ربي ... كـذاك باطنـا وهـو الجميـل

إلهـي عـافني مـن كـل داء ... بحـق محمـد نعـم الخليـل
إلهـي غـافر الـزلات ربي ... تعـالى مـا لـه أبـدا مثيـل
إلهـي فـاز مـن نـاداك ربي ... أتـاه الخـير حقـا والقبـول
إلهـي قلـت ادعـوني أجـبكم ... فهنـاك العبـد يـدعو يـا وكيـل
إلهـي كيـف حـالي يـوم حشر ... إذا مـا ضـاق بالعـاصي مقيـل
إلهـي لا إلـه سـواك ربي ... تعـالى لا تمثلـه العقـول
إلهـي مـسني ضر فأضـحي ... بـه جـسمي يبلبلـه النحـول
إلهـي نجنـي مـن كـل كـرب ... ويـسر لي أمـوري يـا كفيـل
إلهـي هـذه الأوقـات تمـضي ... بـأعمار لنـا وبهـا نـزول
إلهـي ولنـي خـيرا وأحـسن ... ختـامي عنـدما يـأتي الرسـول
إلهـي يـا سـميع أجـب دعـائي ... بطـه مـن تـسير لـه الحمـول
فـصل عليـه ربي كـل وقـت ... صـلاة لا تحـول ولا تـزول
وآل والـصحابة ذي المعـالي ... وفي طـي الكـلام هـم للفحـول

** *** **

الباب الثالث

في مناقب مولانا الشيخ جودة إبراهيم الحسني الحسيني قدس الله سره الكريم

قطب دائرة العارفين المحققين ودرة إكليل الصفوة الواصلين وكعبة أسرار الصديقين المقربين وزير الحضرة المحمدية ومجمع كمالات الولاية الاصطفائية ومحيط أبكار العلوم اللدنية فرد عصره وغوث دهره وهدية الله للعالم بأسره عالم الأولياء وولي العلماء وشمس سماء صفوة الأصفياء، فرع الدوحة النبوية ومفخرة أقطاب الصوفية وإمام الطريقة النقشبندية رضي الله تعالى عنه وعنا به وأمدنا بمدده الأعلى في الدنيا ويوم الدين.

إمام جلت مناقبه عن أن يحيط بها جنان واصف أو يحلق في سمائها من هو في قيود الحس راسف. وكيف يسطر القلم ما يعجز عن تحمله الجنان ولا يقوى على النطق به لسان؟؟ كيف يدرك العقل مقام من اصطنعه الحق تعالى لنفسه واستأثر به في حظائر قدسه؟؟

وكيف ينال التصور حال من سار في ميدان التوحيد حتى وصل إلى دار التفريد فأسكن دار الفردانية؟؟ وكيف يدرك الوهم حال من استغرق في المشاهدة وفني في الله ثم بقي بالله بعد أن تلاشت إِنِّيَّتُهُ في محراب العبودية وسبحت روحه إلى الأبد في محيط الربانية؟؟

وكيف يتسنى الوقوف على حقيقة من لا يغيب عن بصر قلبه حضرة النبي ﷺ طرفة عين ولا أقل منها؟؟

إنه الوارث المحمدي، والقطب الصمداني محل نظر الله من خلقه في عصره المتربع على عرش الغوثية والفردانية، المضنون بمعرفة قدره في قرار

محيط الخصوصية، إنه شيخنا وقدوتنا إلى الله عز وجل سيدي ومـولاي الإمـام العارف بالله تعالى الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره ورفع في العـالمين ذكـره وأغدق علينا دائماً أبداً مدده وبره وحشرنا تحت لوائه المحمدي يوم يُدعي كـل أناس بإمامهم ، وأفاض علينا من فيوضاته وبركاته ومُدام محبته وإمداداته دنيـا وأخرى بلا سلب بعد عطاء بجاه سيد الأولين والآخرين. اللهم آمين.

الفصل الأول

مولده الشريف ونشأته المباركة

وُلِدَ قدس الله سره ببلدة العزيزية بمركز منيا القمح في إقليم الشرقية وكان مولده المبارك في الثلاثين من شعبان سنة أربع وستين ومائتين وألف هجرية. فأشرقت الدنيا بميلاده وهنأت السماء الأرض بمقدمه، وكيف لا، وهو شريف النسبتين محمدي الجهتين.

فوالده سيدي إبراهيم بن السيد مصطفي جودة ﷺ، ينتهي نسبه إلى أول الأقطاب حضرة مولانا الإمام الحسن بن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنهما وعنا بهما في الدراين آمين.

ووالدته الكريمة السيدة شامة يتصل نسبها بمولانا الإمام الحسين سبط سيد العالمين ﷺ وآله وصحبه أجمعين وقد أخبر مولانا الشيخ جودة قدس الله سره بشرف هذا النسب في حياته الأولى[1].

وقبيل أن يبزغ فجر ميلاده الشريف طوفت بُشْريات قدومه بالآفاق وحلقت بالأرجاء فبشر العارفون بمولده الأغر، ورأى والده الكريم في منامه -قبيل حمل أمه به- أن بإصبعه خاتماً أنار فصه الدنيا بأسرها ففسرها له أهل الكشف والعرفان بأنه سيولد له إمام تغمر أنواره الأكوان وينهل من راحته أولياء الزمان[2].

ونشأ شيخنا قدس الله سره نشأة أولي الاصطفاء والخصوصية فاستهل حياته النورانية بحفظ كتاب الله تعالى، وكانت شواهد الفتوح والتحقيق بادية

---

١ ، ٢- عن لسان حضرة نجله وخليفته مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وانظر الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية للشيخ يس إبراهيم السنهوتي.

على جبينه الأغر وفي محياه الشريف يقرؤها كل ذي بصيرة نيرة، ولقد بشر بفتوحه وعرفانه أقطاب الولاية في الشام وبلاد الترك وهو لا يزال في المهد صبيا، فذات يوم وبينما هو يقرأ القرآن العظيم على شيخه في الكُتَّاب، وإذ بشيوخ من الشوام والأتراك جاءوا إليه في قريته «العزيزية» يتبركون به ويستحثون شيخه علي تمام العناية به لأن له في ديوان الولاية مقاماً سامياً ينتظره!

ولقد كان شيخه البكري الذي يُحَفِظُهُ القرآن الكريم في حيرة ودهشة من أمر هذا الفتى الكريم الذي عُرِفَ بخرقه للعوائد، فيذكر مولانا الشيخ عيسي جوده نجل الشيخ قدس سره أن شيخنا ﷺ كان يسبق أستاذه في القراءة وهو يحفظه القرآن الكريم فكان إذا حفظه آية يتلو له ما بعدها ، تلك عناية الله لخواصه.

الفصل الثاني
في مكانته العلمية

وما إن أتم مولانا الشيخ جوده عليه الرضوان حفظ القرآن الكريم حتى التحق بالأزهر الشريف لينضم إلى صفوف العلماء بل ليتقدم صفوف الراسخين في العلم وليجمع بين علمي الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة، فتبحر في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتفقه على مذهب مولانا الإمام الشافعي ﷺ فكان حجة في المذهب وبحراً لا يدرك له قرار وتلقي عن أساطين علماء الأزهر وشيوخه من أمثال الشيخ محمد الأشموني «المتوفى سنة ١٣٢١ هـ» العلامة في المعقول والمنقول، والشيخ محمد الخضري الدمياطي «المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ»، والشيخ إبراهيم السقا «المتوفى سنة ١٢٩٨هـ» وغيرهم، ونزف ما عندهم من ذخائر العلم ومناهج البحث وشهدوا له بالرسوخ والتبحر كل في تخصصه.

وكان شيخنا ﷺ آية الآيات في معرفة طرق الأحاديث والجرح والتعديل وتخريج الأحاديث من الكتب الستة وغيرها كما ينبىء عنه تضلعه ورسوخه في علوم الحديث على ما سنبينه بعد.

وكذلك كان شيخنا الشيخ جودة ﷺ حجة لا يبارى في علوم العربية من لغة ونحو وتصريف ومعاني وبيان وبديع وشعر وأمثال إلى غير ذلك كما كان حجة في العلوم العقلية من علم الكلام والمنطق وآراء أهل الفرق، وقد تفرد بتحصيل المطولات والمشكلات في كل علم درسه.

مكانة الشيخ في علم الحديث

ومما يؤكد مكانة شيخنا الشيخ جودة ﷺ وعلو مرتبته العلمية ما نص عليه الشيخ محمد زاهد الكوثري من إدراكه للإسناد العالي في علم الحديث بأخذه عن محدث العصر سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي صاحب كتاب «راموز الأحاديث» وشرحه «لوامع العقول» والمؤلفات التي تزيد على خمسين مصنفاً إذ قال الشيخ الكوثري في كتابة «التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز»:

«وتخرج به طبقتان من أهل العلم وشارك حرب روسيا مع إخوانه ثم حج ثانية سنة ١٢٩٤ هـ وأقام بعد الحج بمصر ثلاث سنوات. وختم في خلالها «راموز الأحاديث» في جامع سيدنا الحسين سبع مرات. ومن جملة من أخذ عنه الإجازة بالحديث: الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية ومحمد بن سالم طموم المنوفي والعارف الشيخ جودة والسيد محمد بن عبد الرحيم الطنطاوي والشيخ مصطفى بن يوسف الصعيدي وغيرهم..»[1].

وقد نَوَّهَ الشيخ الكوثري بعلو هذا السند إذ ذكر في نفس المصدر أنه قد أخذ الإجازة عن القسطموني تلميذ الكمشخانوي ثم قال وبذلك علا سندي ولله الحمد[2].

لمحات عن مكانته في العلوم الصوفية

وأما في علم التصوف فدونك البحر الذي لا ساحل له!! لقد شرب مصنفات القوم شرباً وغرق في محيط إشاراتهم وعلومهم، وقد أعدته العناية ليكون منهم بل ومن أكابر أئمتهم. وقد أدرك عليه الرضوان بثاقب بصيرته أن الطريق سلوك وتحقق فسارع إلى رحاب القوم ليترجم العلم إلى عمل والنظر

١، ٢- انظر التحرير الوجيز للشيخ محمد زاهد الكوثري ص٢٦، ٢٧، ٣٤.

إلى بصر، والظاهر إلى باطن، ووضع نصب عيني قلبه غاية لا يغيب عنها طرفة عين، إنها الوصول إلى الله عز وجل، إنها الولاية لله الحق. إنه الطريق الذي ذابت فيه مهج العاشقين وتحرقت فيه أكباد العارفين، ولقد كانت تلك الغاية تريده كما كان يريدها، لأنه ما خلق إلا لها، فمضى إليها في ركب النور، ووضع قدمه في الطريق إلى الله عز وجل وقلبه مشرق بوهج المحبة وروحه متعطشة للنور المطلق، فاتصل سيدي الشيخ جودة ﵁ بأكابر صوفية عصره، ونهل من منابعهم الروحية حتى انتهت إليه أسانيد سلاسل أكثر من أربعين طريقة عن أساطين شيوخ وقته، وكان كل منهم يسلمه مفتاح طريقته ليكون مرجعا للسلوك فيها، ولنتعرف فيما يلي على الطرق الصوفية التي سلكها ﵁:

الفصل الثالث

الطرق الصوفية التي سلكها مولانا الشيخ جودة ﷺ

١. تلقى ﷺ الطريقة الخلوتية المسلمية عن سيدي عبد الله بن السيد سليم «المسلمي» عن الشيخ الشرقاوي عن القطب الحفني ﷺ.

٢. وتلقى ﷺ الطرق الأحمدية والبرهامية والقادرية والرفاعية والجشتية عن الشيخ الترمذي عن الشيخ أبي رباح عن الشيخ الصاوي عن الإمام الدردير عن القطب الحفني ﷺ.

كما تلقى شيخنا هذه الطرق مرة أخرى عن العارف الشيخ محمد الأشموني عن الترمذي رضي الله عنهما.

٣. وتلقى مولانا الشيخ جودة ﷺ الطريقة الشاذلية أيضا عن سيدي عبدالقادر الفاسي عن سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني عن سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي الفاسي عن سيدي علي الجمل العمراني الخصاصي عن سيدي عبد الرحمن الفاسي عن سيدي والد سيدي أحمد المتقدم عن سيدي يوسف الفاسي عن سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي أحمد ابن عقبة الحضرمي الصنهاجي عن سيدي يحيى القادري عن سيدي علي وفا عن سيدي محمد وفا عن سيدي داود الباخلي عن سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري عن سيدي الإمام أبي العباس المرسي عن مولانا الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وعنا به.

٤. ثم التقى سيدي الشيخ جودة ﷺ وعنا به بقطب الواصلين وإمام المحققين سيدي أحمد ضياء الدين بن مصطفي بن عبد الرحمن الكمشخانوي المتوفى بتركيا سنة ١٣١١هـ.

وكان ﵁ إماماً في الشريعة والطريقة والحقيقة جامعاً لأصول الولاية وباباً من أبواب الحق تبارك وتعالى. فشاءت الإرادة العلية أن يلتقي بمن أعدته العناية ليكون مركزاً للهداية ورأساً للأولياء.

وكانت قصة اللقاء آية تشهد بعظمة المنصب وجلالة المقام، فبينما كان سيدي أحمد ضياء الدين بالقسطنطينية إذ رأى ذات ليلة في منامه أشرف الخلق مولانا رسول الله ﷺ يأمره بالذهاب إلى مصر ليلتقي بسيدي الشيخ جودة ﵁ ويلقنه الطريقة ويعطيه البيعة الروحية.

وفي نفس الليلة يرى مولانا الشيخ جودة ﵁ مولانا رسول الله الأعظم ﷺ يأمره بالحضور إلى حجرة المخلفات النبوية الشريفة بحرم مولانا الإمام الحسين ﵁ ليأخذ العهد عن سيدي أحمد عليه رضوان الله دائماً أبداً، ويتبايعان في الطريق ويأخذ مولانا الشيخ جودة ﵁ العهد المحمدي ويتلقى من سيدي أحمد ضياء الدين ﵁ وعنا به أصول اثنين وأربعين طريقة انتهت إليه بأسانيدها وهذه الطرق هي:

١ - النقشبندية ٢ - القادرية ٣-الأحمدية
٤-الرفاعية ٥-الدسوقية ٦-الشاذلية
٧-الأكبرية «نسبة للشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس الله سره»
٨-المولوية ٩-الكبروية ١٠-السهروردية
١١-الخلوتية ١٢-الجلوتية ١٣-الغزالية
١٤-السعدية ١٥-الجشتية ١٦-البكرية
١٧-العمرية ١٨-العثمانية ١٩-العلوية
٢٠-الخضرية ٢١-الشطارية ٢٢-البيومية

٢٣-الملامية ٢٤-العيدروسية ٢٥-المتبولية

٢٦-الكلنشية ٢٧-الحمزوية ٢٨-البيرامية

٢٩-العشاقية ٣٠- المغربية ٣١- البحورية

٣٢ - الحدادية ٣٣- الغيبية ٣٤- العباسية

٣٥- الزينبية ٣٦- العيسوية ٣٧- البكداشية

٣٨- الرومية ٣٩- الشعبانية ٤٠ - السنبلية

٤١ - الأويسية

وهذه الطرق مسطرة في الأنوار القدسية ومذكورة بأصولها في كتاب «جامع أصول الأولياء» لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي[١] وقد لقن سيدي أحمد ضياء الدين قدس الله سره مولانا الشيخ جودة هذه الطرق بأصولها ولقنه سبعة أسماء ساطعة وقال له: «هذه لأصول الطرق جامعة ما عدا النقشبندية السابقة والشاذلية اللاحقة» وأَذِنَ له بتلقين الذكر وإعطاء العهود في جميع تلك الطرق المذكورة.

وأشرقت أنوار الفتح والعرفان في قلب مولانا الشيخ جودة ﷺ، وقطع مرحلة سلوكية لا يقوى عليها إلا الفحول من الرجال، فوقته كله كان لربه منذ نشأته فكان وهو بالأزهر الشريف يقضي سحابة نهاره في العلم والتحصيل ثم إذا جن الليل انقطع لربه كأن لم تكن له صلة بدنيا الناس، وآوى إلى الخلوات يتعبد لمولاه ويترجم ما حصله من العلم في نهاره إلى عمل تفتح له أبواب السماء في ليله، وكان يتحنث لربه في خلوات مسجد سيدي الدمرداش

١ - انظر جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين ص٢ ، ٣ تجد هذه الطرق جميعا بمراجعها وأنظرها أيضا في الأنوار القدسية للشيخ يس إبراهيم ص٢٦٧.

المحمدي ومسجد سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنهما وبعد حصوله علي درجة العالمية من الأزهر الشريف تفرد للعبادة وانقطع إلى الله. لقد انتهى من الوسائل وشرع في الغايات فاشتغل بالذكر الخفي الذي عرف به أقطاب الطريقة النقشبندية ولازم المراقبة لله عز وجل والسهر الدائم صافا قدميه لله سبحانه في حندس الليل، وشمس الحقيقة دائمة السطوح في قلبه.

وكان ﷺ آخذاً بالعزائم في أموره كلها محاسباً نفسه أشد المحاسبة، حتى لقد سمعت من أحد مريديه الصادقين[1] أنه كان يصل الليل بالنهار بلا نوم ويتحرز من النوم بعد الفجر حتى مطلع الشمس، فغلبته عيناه ذات يوم فأغفى قبل طلوع الشمس إغفاءة خفيفة، وكان هذا الوقت مخصصاً لبعض أذكاره فقام بعدها فزعاً وآلي على نفسه أن يصوم سنة كاملة بلا انقطاع!!

إنه جهاد المقربين وعزم الراسخين. وكان ﷺ ملازماً لمودة سادتنا أهل بيت سيدنا رسول الله ﷺ وكان يزورهم وأولياء مصر جميعاً سيراً علي قدميه الشريفتين ولا يركب إليهم أدباً مع مقامهم السامي.

وكان يمكث أطول مدة في زيارته عند مولانا الإمام الشعراني ﷺ وعنا به، فإذا سُئِل في ذلك قال عليه الرضوان «إن كتبه هي التي ربتنا»!!

وليت شعري كيف يجهل تراث الإمام الشعراني حتى الآن فلا ينشر منه إلا القليل، وحتى القليل يعاني من هجوم أعداء الصوفية بينما هو مدرسة صوفية رفيعة تربى في أحضانها أفذاذ الصوفية وأساطين المعرفة ، لقد كانت

---

١ - حدثني بذلك زوج كريمة مولانا الشيخ جودة ﷺ صهري الحاج السيد أحمد عفيفي وذكر لي أن الشيخ محمد أبو عزب الولي المدفون بالسويس كوشف بهذه الواقعة فقدم إلى الشيخ ليتحايل لإفطاره شفقة عليه رضي الله عنهما.

كتب الإمام الشعراني الموجودة في حياة مولانا الشيخ جودة ﷺ تدرس في مجلسه ليقتات من أنوارها مريدوه ومحبوه[1].

ولقد كان مولانا الشيخ جودة ﷺ دائماً في حضور مع الله تعالى، في مراقبة ومشاهدة ومؤانسة ومنادمة، لقد وصل في القرب إلى درجة الفناء الكامل في الله: وفي مقام الفناء يشهد العارف الحقيقة المطلقة ويشهد الجمال القدسي ويكون بلا هو في الحضرة الإلهية حيث لا يشهد سوى الله تعالى ثم يتحقق بمقام البقاء بعد الفناء، فبعد أن يفنى في الله يبقى بالله ويعمر دائرة المُلك كما عمَّر دائرة الملكوت.

لقد تحقق سيدي الشيخ جودة ﷺ بأرفع المقامات التي تحقق بها ولي لله تعالى، ومهما تحدثت أو وصفت فلن أفي بحق مقامه، فالعين كليلة عن أن ترنو إلى القمة التي تربع عليها الشيخ، وهي أيضا لا تقوى علي التحقيق في جوهر الشمس لكي تتعرف حقيقتها، وقصارى ما أملكه أن أصف مبلغي من العلم وأن أستنطق شواهد الحقيقة كما نطق بها العارفون والأثبات الواصلون.

حياته اليومية ﷺ

ولقد سألت شيخنا الشيخ عيسى جودة ﷺ عن نظام الحياة اليومية لمولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى فكان الجواب ما يلي: كان سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه يقوم في خلوته الخاصة قبل الفجر بساعتين فيجدد وضوءه ويأخذ في التهجد في الثلث الأخير من الليل حيث تنصب المواكب الإلهية كما ذكر الإمام الشعراني رضوان الله عليه، ثم يصلي الفجر ويشرع في قراءة القرآن الكريم حيث كان ورده منه يوميا ثلث القرآن الكريم علي الأقل، كما يقرأ الأذكار والأوراد النقشبندية وغيرها.

---

١ - وامتداداً لهذا المنهج الجودي وحفاظاً على تراث سيدي الإمام الشعراني، شرعت الدار الجودية في العمل على تحقيق تراث هذا الإمام وإخراجه كي تنتفع به الأمة إن شاء الله تعالى.

ثم في الضحى يتوضأ ثانية ويدخل الخلوة ويستقبل بها خواص أحبابه، وأتباعه -بالإذن الخاص منه- في آذان الظهر.

ثم من بعد صلاة الظهر إلى العصر يكون في المضيفة العامة للقاء مريديه جمهور أتباعه وزائريه، وكان مجلسه الشريف مجلس قرآن وعلم، فكان يطالع أمامه أحد خواص مريديه في أمهات كتب التفسير والحديث والفقه والتصوف، وكان القارئ غالبا الشيخ محمد أبو قنديل أو الشيخ فضل أبو مقلد أو والدي سيدي محمد أبو يزيد الذي تلا أمام مولانا الشيح جودة ﷺ القرآن الكريم كاملاً عن ظهر قلب دون خطأ واحد. فلما أتمه قال له سيدنا الشيخ جودة قدس الله سره «فتح الله عليك»، فكان الفتح الإلهي. كما قرأ لشيخنا رضي الله عنهما في كتاب «المواهب اللدنية» للإمام القسطلاني.

ولقد كان سيدنا الشيخ جودة عليه الرضوان يُسأل أثناء قراءة المراجع العلمية أمامه عن دقائق العلوم التي تطالع أمامه فيجيب بما يبهر العقول، وكان يفتي على المذاهب الأربعة ويحل مشكلات عبارات القوم المغلقة، بل قد تعن المسألة لأحد مريديه أثناء القراءة في خاطره فيوقف القارئ ويجيب المريد عما أكنه في صدره من فتح الله الذي لا يحد.

وكان مولانا الشيخ جودة لا يتحدث في أمور الدنيا قط، ولا يقدر أحد في مجلسه على التلفظ بكلمة واحدة دنيوية. لقد كان مجلساً ربانياً تحفه الملائكة، وتباهي به الأرض السماء. أليس مجلس إمام أهل التحقيق في عصره؟؟ ومن ثم كان يتوافد على الحضرة الجودية أئمة العلماء ومشايخ الإسلام ويتزاحم في ساحته طلاب الشريعة والحقيقة.

ثم كان سيدنا الشيخ جودة عقب صلاة العصر يدخل الخلوة، فلا يدخل إليه أحد حتى العشاء إلا بإذن، ومن بعد العشاء يمنع الدخول إليه

نهائيا فيكون التفرد التام والتبتل الكامل للعبادة والقيام والسبح الروحي الفريد في عالم الوصول إلى ملك الملوك:

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وظل إمامنا وشيخنا الشيخ جودة رفع الله ذكره في العالمين منارة هدى وشمس معرفة ودليل القرب من رب العالمين طيلة حياته الدنيا على مدى ثلاثة وثمانين عاماً، حتى لقي ربه الكريم في السابع عشر من شوال سنة ١٣٤٦هـ فكانت أعوام حياته الدنيوية هي تفصيل حساب ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر!!

أجل كانت حياته ليلة قدر محمدية تدلى فيها إلى الدنيا فرع للدوحة النبوية، كانت ليلة جود جاد فيها الجواد الأكرام على أمة خير الأنام بسيدي الشيخ جودة ﷺ وجزاه عن الأمة المحمدية خير ما يجزي به وارث محمدي وقطب رباني وغوث صمداني عبد ربه حتى أتاه اليقين.

الفصل الرابع

إشارات إلى مقام سيدنا الشيخ جودة في الولاية

١- في علياء المقام القادري:

روى صاحب «الأنوار القدسية» في ترجمة شيخنا ﷺ أن العارف الترمذي وهو من جملة شيوخ شيخنا في الطريق كما أسلفنا قد قال لسيدي الشيخ جودة ﷺ يوماً: «إن أحد الأكابر رآك وسيدي عبد القادر -أي الجيلاني ﷺ- في مقام واحد لا فرق في ذلك بينكما وأنا وراءكما من خلفكما فهذه أمانة أسلمها إليك ولا فضل لي في ذلك يا قرة عيني عليك»!!

وبالوقوف على عبارة الشيخ الترمذي والتأمل فيها ندرك أن مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان قد وصل إلى مقام سيدي عبد القادر الجيلاني أحد أركان الولاية، ووقف على تلك القمة الشامخة التي وقف عليها القطب الجيلاني متقلداً سيادة الأولياء في عصره حتى قال بلسان الصدق والتحقق «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»!! وما قالها إلا بأمر من الحضرة العلية. إنها مرتبة غوث الزمان وقطب الأوان!!

٢- رتبة الوزارة المحمدية:

ولقد اشتهر مولانا الشيخ جودة ﷺ في حال حياته وبعد انتقاله بلقب «وزير النبي» ﷺ كما اشتهر سيدي أحمد البدوي ﷺ وعنا به بلقب «باب النبي» ﷺ ولم يلقَ هذا اللقب من كبار أولياء عصره أدنى اعتراض، بل لقي كل الإذعان، وكيف لا وهو الوراث المحمدي إنسان عين الولاية في عصره، وعُرِفَ سيدي الشيخ جودة ﷺ بهذا اللقب حتى لدى محبيه في بعض الأقطار

الإسلامية كبلاد الشام وتركيا الذين يفدون لزياراته ويخبرونه باشتهاره عندهم بوزير المصطفى ﷺ بإقرار العارفين في بلادهم إياهم على ذلك!!

وقد وفقني الله تعالى لتأصيل هذه الحقيقة علمياً من التراث الصوفي الأصيل، إذ نقل البحاثة الصوفي الأستاذ عبد القادر عطا عن سيدي عبد الغني النابلسي وصول السلك النقشبندي إلى مقام الوزارة المحمدية فقال «وفي الطريقة النقشبندية يتحدث النابلسي عن المراقبة فيقول: «ومن بركة المراقبة أن يحصل المراقب على رتبة الوزارة والنيابة عن «سيدنا» محمد ﷺ بمعنى الخلافة عن صاحب المراقبة في الظهور والتصرف في عالم الملك والملكوت، فيكون هو صاحب الوقت الذي بخواطره تتصرف الملوك في ممالكها والرعية في أملاكها. وصاحب المراقبة إذا نظر غيره من أهل الحجاب والغفلة وسرى ذلك النظر بقبول ذلك الغير استحال ذلك الغير إلى ما صار عليه صاحب المراقبة من الكمال»[1].

٣- قرة عين أولياء عصره:

ومن شواهد سمو مقام سيدي الشيخ جودة أيضاً أن الشيخ محمد الأشموني - وكان من أكابر الواصلين - قد جلس إليه أحد مريديه ليتعرف منه على مراتب أولياء عصره، فأخذ يسرد عليه أسماءهم واحداً تلو الآخر والشيخ الأشموني يعطي كل واحد مرتبته قائلاً: هذا ولي وذاك عارف وذلك مُدَّعٍ إلى غير ذلك.. إلى أن ذكر المريد اسم مولانا الشيخ جودة فأمسك الشيخ بيده وقال: «جودة طيب قوي قوي قوي - وظل يكرر كلمة قوي بكثرة مذهلة - ثم قال: نفع الله به المسلمين»!!

---

١ - انظر التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس «في عصر النابلسي» للأستاذ عبد القادر أحمد عطا: ص٢٤٣ نشر دار الجيل ببيروت وانظر مفتاح المعية في شرح الطريقة النقشبندية لسيدي عبد الغني النابلسي: ورقة ٢٤ بمخطوطة الظاهرية.

لقد سما شيخنا ﷺ إلى قمة مراتب الصديقين المقربين وارتفع عن الغوثية إلى الفردانية، فكان من الأفراد الذين هم خارج دائرة القطب مهيمون في جلال الله وجماله وثمة على ذلك شواهد يضيق عنها نطاق المقام.

٤ – مولانا الشيخ جودة امتداد النسبة الضيائية بالديار المصرية:

ولقد سجل أساطين علماء العصر لسيدنا الشيخ جودة – عليه رضوان الله تعالى – مكانته المتفردة في عصره كإمام صوفي وباب من أبواب الحق تبارك وتعالى، فها هو ذا العلامة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري الذي تولى وكالة المشيخة الإسلامية في تركيا يذكر –رضوان الله عليه– في إجازته الحديثية أن مولانا الشيخ جودة ﷺ هو الامتداد الحي للنسبة الضيائية بمصر – أي النسبة الصوفية إلى ضياء الدين سيدي الكمشخانوي رضوان الله عليه، الذي تلقى عنه إسناده العالي في الحديث النبوي الشريف –كما قدمنا من قبل– فيقول الشيخ الكوثري: ودامت النسبة الضيائية في الديار المصرية بواسطة العارف المغفور له الشيخ جودة في منيا القمح – من أجَلِّ أصحاب الكمشخانوي – وبواسطة نجله وتلاميذه رحمه الله تعالى[1].

أي أن سيدنا الشيخ جودة رضوان الله تعالى عليه كان يمثل المدرسة النقشبندية الممتدة إلى عصره متفرعة عن العارف الضياء الكمشخانوي عليه رضوان الله تعالى، باعتباره من أجل أصحابه وأكملهم معرفة وتحققاً ثم إن هذه النسبة قد قدر لها الامتداد من بعد مولانا الشيخ جودة قدس الله سره بواسطة نجله وخليفته الأمجد مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله تعالى عنهما وأمدنا بنورهما.

---

١ – التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز للشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ص٣٤ ط: الأنوار سنة ١٣٦٠هـ وانظر ترجمة الكوثري بالإعلام للزركلي ٦/ ١٢٩ وبمعجم المؤلفين لعمر كحالة ١٠/ ٤.

كما حقق لها الامتداد أيضاً بواسطة من تتلمذ على يد مولانا الشيخ جودة من نجباء مريديه وأبناء قلبه لتمتد فروع الشجرة المباركة في آفاق الكنانة العزيزة وارفة الظلال طيبة الأعراق مباركة الثمار تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها!!

٥- امتداد النسبة الأكبرية بمصر:

وكذلك كان سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه يمثل الامتداد الأكبري في عصره حيث انتهت إليه النسبة الأكبرية - من نسب الطرق الصوفية الإحدى والأربعين التي أوردناها من قبل - وهي نسبة طريق الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه التي تلقاها عن شيخه الضياء الكمشخانوي عن شيخه سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الذي ألف في آداب الطريقة الأكبرية رسالة سماها: النور المظهر في طريقة سيدي الشيخ الأكبر[1].

إذ يقول الدكتور أبو الوفا التفتازني شيخ مشايخ الطرق الصوفية[2]: «وقد أعطى الكمشخانوي الطريقة الأكبرية بمصر في أواخر القرن الماضي، فكان له خلفاء كثيرون، وأعظم من سرى إليه سر نسبته الشيخ جودة إبراهيم، أحد الصوفية المصريين الذين عاشوا في أواخر القرن الماضي، وإلى منتصف هذا القرن، ولد سنة ١٢٦٤هـ بالعزيزية إحدى قرى مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، ودرس بالأزهر الشريف، وتلقى طرقاً صوفية كالخلوتية والشاذلية عن شيوخ عصره».

---

١ - انظر الكتاب التذكاري: محي الدين بن عربي الفصل الثاني عشر: الطريقة الأكبرية للدكتور أبو الوفا التفتازاني ص٣٤٨-٣٤٩ نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٢ - يشغل حاليا منصب رئيس المجلس الصوفي الأعلى بمصر، ونائب رئيس جامعة القاهرة.

ولما وفد الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي إلى مصر تلقى عنه الشيخ جودة فيما تلقى من طرق: الطريقة الأكبرية «على عادة بعض المتأخرين من الصوفية في تلقي أكثر من طريقة صوفية واحدة في وقت واحد ثم أذن له بتلقين الذكر، وإعطاء العهود في جميع الطرق التي تلقاها عنه ومنها الأكبرية».

وقد توفي الشيخ جودة بعد سنة ١٣٤٤هـ. وقد لقي كاتب هذه السطور بعض تلاميذه من الصوفية وعلماء الأزهر، ويقوم على طريقته الآن نجله الشيخ عيسى جودة ولطريقته أتباع كثيرون إلى الآن خصوصاً في الشرقية.

فإذا تبين ذلك: عرفنا أن طريقة ابن عربي الأكبرية قد كتب لها الاستمرار في الوجود إلى العصر الحاضر[1].

٦- عيسوي المقام:

لقد اشتهر شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به بأنه كان عيسوي المقام وأكد ذلك خليفته ونجله المبارك مولانا الشيخ عيسى ﷺ – وفي تسمية نجله الكريم بهذا الاسم إشارة إلى تحقق شيخنا الأكبر رضوان الله عليه بالمقام العيسوي – كما أخبرني والدي وشيخي سيدي محمد أبي اليزيد ﷺ بأن مولانا الشيخ جودة قدس الله سره كان في بعض أوقات خلوته ينادي بصوت عالٍ: «يا عيسوي المقام» يقصد حبيبه الذي شاركه في المشرب وهو سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وأمدنا بمدده في الدارين آمين.

فما حقيقة هذا المقام في عالم الولاية المحمدية؟ وما دلالته؟؟

---

١ – نفس المصر السابق: ص/ ٣٥٠ – ٣٥١ وانظر جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ص٢ ، ١٠٨ «والأنوار القدسية» للشيخ يس بن إبراهيم السهنوتي ص/ ٢٦٧.

لنستمع إلى بيان الأولياء:-

يقول الإمام الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه: «اعلم - أيدك الله - أنه لما كان شرع محمد ﷺ تضمن جميع الشرائع المتقدمة، وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمدية، فبتقريرها ثبتت، فتعبدنا بها نفوسَنا، من حيث أن محمداً ﷺ قررها لا من حيث أن النبي المخصوص بها في وقته قررها، فلذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم!!

فإذا عمل المحمدي – وجميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي، ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوى هذا الشرع المحمدي-[1] فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة أن يصادف في عمله فيما يفتح له منه في قلبه وطريقه، ويتحقق به: طريقة من طرق نبي من الأنبياء المتقدمين مما تضمنته هذه الشريعة، وقررت طريقته، فصحبتها نتيجته.

فإذا فتح له في ذلك: فإنه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة[2]. فيقال فيه عيسوي، أو موسوي، أو إبراهيمي، وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف، وظهر له من المقام جملة ما هو داخل تحت حيطة شريعة محمد ﷺ»[3].

وارتباط هذا البيان بمنهج الطريقة النقشبندية العلية: أن العروج في مراتب الولاية في هذه الطريقة العظمى يبدأ من عالم الأمر وينتهي بعالم الخلق،

---

١ - ما بين الشرطتين: كلام معترض بين الشرط وجوابه لتأكد انفراد الشرع المحمدي بالحقية والمشروعية بعد مبعث سيدنا محمد ﷺ ودفع أي توهم قاصر يزعم خروج الولي عن دائرة الشريعة المحمدية وإن كانت له نسبة عيسوية أو موسوية أو إبراهيمية فكل ذلك من باطن التبعية المحمدية.

٢ - أي نسبة اسمية للاشتراك في عين المشرب المستمد أصلا من النسبة المحمدية. فليتدبر.

٣ - الفتوحات المكية لسيدي الإمام محي الدين بن عربي ﷺ بتحقيق د/ عثمان يحيى: ٣/ ٣٥٦ - ٣٥٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ومن ثم كانت بداية هذه الطريقة نهاية كل طريق[1]. ودرجات الولاية في عالم الأمر خمس، وكل منها لها مرتبة تحت قدم نبي من الأنبياء أولي العزم وهي مرتبطة باللطائف الخمس المودعة في الإنسان الذي هو العالم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر!!

فالدرجة الأولى: مقام مرتبة القلب وهو تحت الثدي الأيسر بمقدار إصبعين وهو تحت قدم أبينا آدم علي نبينا وعليه السلام، وهو من منشأ صفة التكوين التي هي منشأ صدور الأفعال، فلهذه الدرجة مناسبة بتجلي صفات الأفعال.

والدرجة الثانية: مقام الروح ومحله تحت الثدي الأيمن وهو تحت قدم سيدنا إبراهيم الخليل ويشاركه في هذا المقام سيدنا نوح علي نبينا الأعظم وعليهما الصلاة والسلام، وهو من منشأ صفة العلم التي هي أجمع الصفات الذاتية لكن بتفصيله لا بإجماله ولهذه الدرجة مناسبة بتجلي الصفات الإلهية الثبوتية.

والدرجة الثالثة: مقام السر ومحله فوق الثدي الأيسر، وهو تحت قدم سيدنا موسي علي نبينا وعليه الصلاة والسلام ومنشؤه من مقامات الشئونات: شأن الكلام، وله مناسبة بتجلي الشئون والاعتبارات الذاتية.

والدرجة الرابعة: مقام الخفي ومحله فوق الثدي الأيمن بمقدار إصبعين وهو تحت قدم سيدنا عيسى علي نبينا الأعظم وعليه السلام ومنشأ هذا المقام من الصفات السلبية لا من الثبوتية، فإنها موطن التقديس والتنزيه وأكثر الملائكة الكرام يشاركون سيدنا عيسى علي نبينا وعليه السلام في هذا المقام المناسب لتجلي الصفات السلبية.

---

١ - نقل الشيخ محمد أسعد صاحب زاده في كتابه «نور الهداية والعرفان» ص٣٤ عن الامام سيد محمد بهاء الدين النقشبندي أنه قال: «طريقتنا أقرب الطرق». وقال أيضاً: «معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي قدس الله سره».

والدرجة الخامسة: مقام الأخفى، ومحله: وسط الصدر، وهو تحت قدم سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، ومحتده صفة العلم، الجامع شأنها لجميع الكمالات، وهذا المقام مظهر تجليات الذات العلية، والمراد بالعلم هنا باعتبار إجماله الذي هو مركز الدائرة ومبدأ تعيينه ﷺ.

فإذا وصل الولي إلى مقام الأخفى: تكون جميع لطائفه حقيقة واحدة في الأصل، لكنها بحسب المراتب والأطوار تكون متعددة، وهذه اللطائف الخمس حقائقها تعد من عالم الأمر -أي من فوق العرش- لأن عالم الأمر حقيقته عبارة عن الموجودات الخارجية عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز فلا تدخل تحت المساحة والتقدير، وقد خلقها الله تعالى بأمر «كن» أي «بمجرد التجليات الإرادية من غير مادة عنصرية سوى التجليات المذكورة» وركبها -بتشديد الكاف- سبحانه مع لطائف عالم الخلق الخمس التي هي: النفس الناطقة والعناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب على طريق التعشق والمحبة حتى كانت لطائف عالم الأمر بسبب ذلك التعشق مقهورة — تحت حكم لطائف عالم الخلق.

وعند نهاية عروج الولي إلى تمام اللطائف الأمرية الخمس التي هي نهاية دائرة الأسماء والشئون يترقى بفضل الله ومنته إلى السير في دائرة أصول هذه الأسماء بعد أن كان سيره في ظلالها ويكون عروجه إلى اللطائف الخلقية -التي هي من عالم الخلق- ويحصل كمالات الاسم الباطن فيضع قدمه في الولاية العلياء كشأن الملأ الأعلى[1]. **فكل ولي لله تعالى**، ولايته ناشئة من أحد هذه المقامات وقد يجمع له أكثر من مقام كما حدث لمولانا الشيخ جودة ﷺ.

---

١ - انظر مكتوبات الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدي أحمد الفاروقي السرهندي ﷺ «١/ ٢٤٠ – ٢٤٧» وانظر الهديات وكشف البدايات والنهايات له أيضاً ص٢٠ . وانظر الهداية والعرفان لسيدي محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي ص٨٢ – ٨٥ .

وقد قرر أئمة العارفين أن صاحب الولاية تحت قدم نبي تلك الولاية دائما أيا كانت، وقد استنبط العارفون هذا المفاد من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[1][2].

وبمقتضي ذلك: يظهر علي يد هذا الولي من الكرامات نظير ما ظهر على يد ذلك النبي من المعجزات! وبعد هذا التبيان لمراتب السير في عالم الولاية عند السادة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم وأفاض علينا -مع التأهيل- أنوارهم: نتبين أن شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه كانت ولايته -في مرحلة من سيره- من مقام «الخفي» الذي هو تحت قدم سيدنا عيسي علي نبينا وعليه الصلاة السلام لمناسبته له في عالم الأمر، فاشتهر بعيسوي المقام. وقد قال الإمام الرباني سيدي أحمد الفاروقي قدس الله سره:

«كل عارف مناسبته لعالم الأمر أزيد يكون قدمه في كمالات الولاية أزيد، والذي مناسبته لعالم الخلق أكثر، فقدمه في كمالات النبوة – أي في ظل أنوارها بحكم الوراثة [3] – أوفر.

ومن هنا كان لعيسي عليه السلام قدم أزيد في الولاية، ولموسي عليه السلام قدم أزيد في النبوة فإن جانب الأمر غالب في عيسي عليه السلام ولهذا صار ملحقا بالروحانيين، وجانب الخلق غالب في موسي عليه السلام ولهذا لم يكتف بالمشاهدة، بل طلب رؤية بصر»[4].

---

١ – سورة الصافات ١٧١ – ١٧٣.

٢ – انظر مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٢٤٧.

٣ – هذا التفسير المعترض من كلامي لدفع توهم دخول الأولياء في مقام النبوة فيتصيده خصوم الأولياء.

٤ – مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٢٥٠.

ومن هذا النصح نستوضح أن سيدنا الشيخ جوده ﷺ -وقد تحقق بالمقام العيسوي- كان قدمه في كمالات الولاية على أعلى مستوي ذوقي، عرفاني، تحقيقي. وسيأتي بيان ارتقائه وتحققه رضوان الله عليه بكمالات لطائف عالم الخلق حيث صار محمدي القدم وأصبح من خاصة الورثة المحمديين.

وقد تجسدت في مولانا الشيخ جودة قدس الله سره وهو في المقام العيسوي علامات الأقطاب العيسويين التي نص عليها الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي رضوان الله عليه في فتوحات المكية إذ يقول: «وللعيسويين همة فعالة، ودعاء مقبول، وكلمة مسموعة.

ومن علامات العيسويين إذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم، وشفقة عليه، كان من كان...»

ومن علاماتهم أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه.

وقد تجسدت في مولانا الشيخ جوده قدس الله سره وهو في المقام العيسوي علامات الأقطاب العيسويين التي نص عليها الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي رضوان الله عليه في فتوحات المكية إذ يقول: «وللعيسويين: همة فعالة، ودعاء مقبول، وكلمة مسموعة.

ومن علامات العيسويين إذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم، وشفقة عليه، كان من كان... ومن علاماتهم: أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه، ولا يجرى على ألسنتهم إلا الخير»[1].

أجل: فقد كان مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره: ذاهمة فعالة، فمتى توجهت همته -بإذن الله وقدرته- إلى شيء: انفعل له ذلك الشيء

---

١ - الفتوحات المكية للإمام محي الدين بن عربي بتحقيق عثمان يحيي ٣/ ٣٧٥.

وانقاد لأمره سواء كان إنساناً أم نباتـاً أم حيوانـاً. فجـرت عـلى يديـه خـوارق العادات التي لا تكاد تحصى، وتمثل ذلك في تربيته لأبناء قلبه ومريديـه يـربيهم بنظره العالي، وكانت الجبابرة تفرق من هيبته، وتنصاع لأمره ونهيه، وكـان ذوو الجاه والسلطان إذا دخلوا إلى حضرته أعترتهم الخشية والرهبة فيخرجـون مـن عنده وقد داخلهم الشعور بأنه مـن أسـد الله في مملكتـه مـن لم يلتـزم الأدب في حضرته افترسه، وهو مع شد هيبته وفعالية همته وبأس تصريفه في الجبـارين لا يغضب إلا لله تعالى ولا تنال سطوة غضبه إلا من اجترأ على حدود الحق تبارك وتعالى واستهان بشرعه[1].

ولقد كان إمامنا الشيخ جودة ﷺ مقبول الدعاء عنـد ربـه عـز وجـل، تفتح لدعائه أبواب السماء، فكم من مكروب أتاه، ففرج الله عنه ببركـة دعائـه، وكم من مضطر جاءه لما يعهده فيه من التقى والقرب من الحـق تبـارك وتعـالى فأجاب الله فيه دعاءه وكشف به السوء عنه.

وكم من ذوي ا لحاجات قصدوا رحابه مذعنين لصدق ولايته وتحققـه مستشفعين إلى الله عز وجل فقضيت بدعوته حـوائجهم وحـصلت رغـائبهم، وكيف لا والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وأيـضاً: فقـد كـان شـيخنا الـشيخ جـودة رضـوان الله عليـه ذا كلمـة مسموعة يذعن لها الكبار ويأتمر بها ذوو الجـاه والنفـوذ حتـى مـن لم يـدخل في زمرة القوم ولم يذق رحيق التصوف المختوم لأنه كان مكـسوا بخلعـة الجـلال وعليه من ربه تجليات الأفعال ونعوت الاتصال.

---

١ – سيأتي تدليل على فعالية همة مولانا الشيخ جوده ﷺ وتحققه بسائر علامات الأقطاب العيسويين لدى الحديث عن كراماته رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين آمين.

٢ – سورة المائدة / ٢٧.

ثم: لقد كان مولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى – مع عظيم فعالية همته والانقياد لكلمته يفيض رحمة على خلق الله تعالى وشفقه على عباده، فكان مقصداً للبؤساء والمحرومين ينالون في حضرته بر الأولياء وحَدَبَ الأتقياء الأسخياء، وحُنُوَّ الآباء الكرماء، وحنان الرحماء العطفاء.

وكانت رحمته ﷺ عامة لخلق الله شاملة للإنسان والحيوان وغيرهما بحكم الإرث النبوي فكان من سمو تخلقه بالأخلاق المحمدية يطوع غضبه لرحمته ويستخدم سطوته لرأفته، فلقد سمعت من بعض مريديه رضوان الله عليه أنه رأى في بعض سياحاته أحد غلاظ الطبع من قساة القلوب يمثل بحيوان ضعيف «عنزة» بطريقة بشعة أزهق بها روحها، فصاح مولانا الشيخ جودة ﷺ صيحة غضب لله رحمة بخلقه الضعيف فرؤى ذلك الجبار على أثرها تندلق أمعاؤه من جسده ليفارق الحياة على هذه الحال!! إنها غضبة الرحمة وصيحة الجلال التي منشؤها الشفقة على خلق الله من خلق الله!! شفقة ورحمة تتجاوز الإنسان إلى الحيوان فالكل خلق الله يسبح في ملك الله، ويسبح الله بما شاء الله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

ثم: لقد كان مولانا الشيخ جودة قدس الله سره -كشأن الأقطاب العيسويين- ينظر من كل شيء أحسنه، ولا يجري على لسانه إلا الخير، لأنه كان دائماً ينظر في مرآة الجمال الإلهي في ملك الله وفي ملكوته فكان رضوان الله عليه متخلقاً بقول قائل القوم:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً	رأيت جميع الكائنات ملاحا[2]

١ – سورة الإسراء / ٤٤.

٢ – البيت من شواهد الإمام أحمد بن عجيبة الحسنى ﷺ في: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص: ١٧٧ ط / الحلبي الأولى.

ومن ثم: نقف على حقيقة بعض مقامات مولانا الشيخ جوده قدس الله سره وهو المقام العيسوي مع الأخذ في الاعتبار أن مصطلح العيسويين لدى أقطاب المعرفة الصوفية كالإمام بن عربي ﷺ يطلق إطلاقاً خاصاً على الولي الذي أحيا حقيقته -أي الجانب الخالد في كيانه- وشَفى غيره من علة الحجب، فنشاطه مزدوج: لازم -أي شخص قاصر على نفسه- ومتعد يتعلق بغيره في مقام الإصلاح والتربية[1].

وأخيراً: فالعيسوي من الأولياء: هو من ورث من سيدنا محمد ﷺ ما لو كان سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام موجوداً وتابعاً للنبي ﷺ ما ورث ذلك إلا منه[2].

٧- مولانا الشيخ جودة محمدي القدم:

ثم لقد ترقى العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ جودة إبراهيم عليه رضوان الله تعالى في معاريج الولاية والقرب من الحق تبارك وتعالى، فبعد أن أتم مراتب الولاية في لطائف عالم الأمر الخمس، حصل له التحقق بكمالات النفس المطمئنة والعناصر الأربعة التي هي لطائف عالم الخلق، وحصلت له كمالات الاسم الباطن والتحقق بالولاية العلياء والوراثة المحمدية العظمى فتم له بحمد الله الترقي من القدم العيسوي إلى القدم المحمدي.

ولقد كان في عروجه الروحي قدس الله سره عبر مقامات اللطائف الخلقية متحققاً بالجهاد الأكبر الذي قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**».

ويوضح مولانا الإمام أحمد الفاروقي طبيعة هذا الجهاد في هذه المرحلة بأنه ليس جهاد النفس الأمارة التي هي شر جميع الخلائق، لأنها صارت بعد

١، ٢- انظر الفتوحات المكية بتعليقات د/ عثمان يحيى ٣/ ٣٥٦.

الاطمئنان -أي بلوغها إلى مقام المطمئنة وحصول رضا حضرة الرحمن: رئيس لطائف عالم الأمر-مع كونها من عالم الخلق- ورئيس جميع الأقران.

ومن ثم: فالجهاد حينئذ لا يتصور مع النفس وقد بلغت حد الاطمئنان وصارت راضية مرضية، «وإنما يكون مع اختلاف طبائع العناصر الأربعة التي هي أجزاء القالب الإنساني، وصورة الخلاف والبغي من أجزاء القالب عبارة عن: إرادة ترك الأولى، وارتكاب الأمور المرخصة، وترك العزيمة لا إرادة ارتكاب المحرمات أو ترك الفرائض والواجبات، فإن هذه الأشياء قد صارت في حقها نصيب الأعداء»[1].

ومن هنا كان مولانا الشيخ جودة ﷺ وهو في قمة الوصول لا يترخص في عبادته فكان وهو فوق الثمانين من عمره الشريف يقوم الليل على قدميه ويؤثر العزيمة على الرخصة، ولا يتأول في الأحكام وإنما ملء قلبه وجوانحه شريعة محمدية محضة نقية من الشوائب والتأولات.

ولبلوغ مولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله كمالات مراتب عالم الخلق وتشرفه بالوراثة المحمدية، كان من أهل الصحو والبقاء بعد الفناء، ولم يكن من أهل الشطح أو السكر شأن أولياء عالم الأمر لأنه بلغ درجة الكاملين في الولاية أهل الإرث المحمدي.

يقول مولانا الإمام الفاروقي ﷺ: «أيها الولد إن كمالات العناصر الأربعة - وإن كانت فوق كمالات المطمئنة كما مر- بواسطة مناسبتها لمقام الولاية، وصيرورتها ملحقة بعالم الأمر صاحبة سكر[2] وفي مقام الاستغراق فلا

---

١ - انظر مكتوبات الإمام الرباني سيدي أحمد الفاروقي السرهندى قدس الله سره. المجلد الأول ص٢٥١.

٢ - لفظ السكر بسكون الكاف هنا ليس بمعناه اللغوي المعروف الذي هو حالة تعرض بين المرء وعقله - كما ذكره الراغب في مفرداته ص٢٣٦ - وإنما هو مصطلح في علم التصوف يعرف بأنه غيبة بوارد قوي، وهو لا يكون إلا لأصحاب المواجيد وهو مقابل في عرف الصوفية للصحو، فالعبد في حال سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه يشاهد العلم!! «انظر الرسالة لمولانا أبي القاسم القشيري ﷺ ١/ ٢١٧ - ٢١٩».

جَرَمَ لا يبقى فيها مجال لمخالفة، وحيث كانت مناسبة العناصر لمقام النبوة أزيد: كان الصحو غالباً فيها. فبالضرورة تبقى فيها صورة المخالفة [1] لأجل تحصيل بعض المنافع والفوائد المربوطة بها فافهم»[2].

ولقد حظيَ شيخنا الشيخ جودة ﷺ بأوفر حظ من كمالات الإرث النبوي المحمدي بحكم التبعية الكاملة لأشرف الخلق صلوات الله وسلامه عليه فورث من العلوم المحمدية مالا يمكن تسطيره في كتاب، وورث من المقامات ما يعز إدراكه، ثم تفرد بفردانيته فوق المقامات المعهودة شأن الأفراد المحمديين.

يقول سيدي محي الدين بن عربي قدس الله سره في شأن الورثة المحمديين: ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة إنه «محمدي» إلا لشخصين: إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله، فيقال فيه «محمدي». وإما شخص جَمَعَ المقامات ثم خرج عنها «لا منها» إلى «لا مقام» كأبي يزيد وأمثاله.

فهذا أيضاً يقال فيه: محمدي، وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء: ولهذا ورد في الخبر: «إن العلماء ورثة الأنبياء[3]، ولم يقل ورثة نبي خاص، والمخاطب بهذا: علماء هذه الأمة»[4].

وقد أشار سيدي الإمام أحمد الفاروقي رضوان الله عليه — في مكتوباته إلى أن دولة كمالات الإرث المحمدي التي كانت في أوج ازدهارها

---

١ – يقصد بها: المخالفة المركوزة في طبيعة العناصر السابق تبيانها نحو إرادة الأولى وإيثار الرخص على العزائم.

٢ – مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٢٥١

٣ – خرجه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/ ١٣٠ ط/ البهية المصرية عن أبي داود والترمذي وابن حبان والحاكم – مصححا– من حديث أبي الدرداء ﷺ، وأورده الإمام البخاري في ترجمته لباب «العلم قبل القول والعمل».

٤ – الفتوحات المكية لسيدي محي الدين بن عربي ﷺ ٣/ ٣٥٨–٣٥٩.

علي عهد أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ يتجدد ازدهارها بعد مضي الألف الأول من عهده صلوات الله وسلامه عليه، حيث شرف هو رضوان الله عليه بهذه الدولة وبجلال هذا المنصب وكان مجدداً للألف كما شهد له أئمة الراسخين في العلم والتحقيق، وكأنَّ في هذا تبشيراً بدخول إمامنا الشيخ جودة هذه الدولة العلية حيث إنه من أقطاب ما بعد الألف من الورثة المحمديين يقول سيدي أحمد الفاروقي قدس الله سره:

«ينبغي أن يعلم أن منصب النبوة كان[1] مختوماً بخاتم الرسل عليه وعلي آله الصلاة والسلام، ولكن لأتباعه ﷺ نصيب كامل من كمالات ذلك المنصب بالتبعية، وهذه الكمالات كانت في طبقة الأصحاب أزيد منها في غيرها، وسرت هذه الدولة أيضا علي سبيل القلة إلى التابعين وتبع التابعين، ثم شرعت بعدهم في الاختفاء والاستتار، وانتشرت كمالات الولاية الظلية وغلبت وشاعت، ولكن المرجو أن تتجدد هذه الدولة المستقرة بعد مضي الألف، ويحصل لها الغلبة والشيوع وأن تظهر الكمالات الأصلية، وتستتر الظلية، وأن يكون المهدي عليه الرضوان مُرَوِّجَ هذه النسبة العلية»[2].

وبالوراثة المحمدية تحقق مولانا الشيخ جودة – رضوان الله عليه بالمراقبة العلياء بانطواء جميع المقامات عنده، ونهل منها بقدر قسمت له المشيئة الأزلية، فشرب من جميع الأذواق وتواردت عليه جميع الأحوال التي كانت في حقه -لكمال ولايته- مقامات.

وقد تحدث قطب الواصلين وإمام المحققين سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه وعنا به عن تحققه بهذه الوراثة المحمدية التي لا

---

١ – المراد بلفظ «كان» هنا: الكينونة الدائمة أي كان ولا يزال وسيظل مختوما بسيدنا محمد ﷺ.

٢ – مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٢٥١.

ينالها إلا أكمل الأولياء وبين سر تعدد وراثة الولي لأكثر من قدم لنبي أو رسول فقال عليه الرضوان:

«ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ: أنه جعلني من ورثة شريعة محمد ﷺ، لكونها تجمع مقامات الرسل كلها فلا يخرج عنها مقام، وقَلَّ فقير يُعطى ذلك، إنما يكون أحدهم وارثا لموسي، أو عيسي أو زكريا أو يحيي ونحوهم عليهم الصلاة السلام.. فعلم أن من كان محمدي المقام فقد انطوى عنده جميع مقامات الرسل -بقدر حظه ونصيبه منها- لأنه لا يصح لغير نبي أن يرث مقام نبي علي التمام أبداً!!

وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين إبراهيمي المقام، وسيدي علي الخواص: محمدي المقام، وسيدي إبراهيم المتبولي: محمدي إبراهيمي، فكان تارة يقول: شيخي السيد إبراهيم الخليل وتارة يقول: شيخي رسول الله ﷺ.

قلت: «ويجمع بينهما بأنه كان تلميذاً في بدايته للخليل عليه السلام، ثم صار تلميذاً لرسول الله ﷺ في نهايته»[1].

وأقول: وكذلك كان شيخنا الشيخ جودة إبراهيم رضي الله عنه عيسوي المقام ثم محمدي القدم وقد ظهرت علي يديه من الكرامات من جنس ما ظهر علي يدي مُوَرِّثِه الأول ثم مورثه الثاني الأعظم -صلى الله عليهما وسلم- من المعجزات كما سيأتي في موضعه من الكتاب بمشيئة الفتاح الوهاب.

---

١ - لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق لسيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: ٢/ ٧١ط الميمنية.

الفصل الخامس

في منهج مولانا الشيخ جودة

في تربية أبنائه ومريديه

أجمع المحققون من الأولياء والعارفين الذين عاصروا شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه وعليهم أجمعين أنه كان ذا منهج فذ وطريقة مثلي في تربية أبناء قلبه ومريديه، لأن مشربه يمثل مشرب الكمال المحمدي.

والعارفون المتحققون يبصرون بنور الله من سبقت له العناية ومن يأتي منه في طريق الله ومن لا يأتي، ويكاشفون بمن كتب له أزلا أن يكون من أبنائهم وأتباعهم، ومن ثم كان سيدي الإمام سهل بن عبد الله التستري ﷺ يقول: «أعرف تلامذتي من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1] وأعرف من يفتح له على يدي ممن لا يفتح، وأعرف من كان عن يميني ومن كان عن شمالي»[2].

والعبارة الأولى من هذه المقالة مأثورة أيضاً عن سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله تعالى عنه وعنا به[3]. فمكاشفة الشيخ بدقائق أحوال مريديه من أوليات شروط المشيخة الحقة.

فلقد سأل سيدي عبد الوهاب الشعراني شيخه سيدي عليا الخواص – الولي الأمي– رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما عن شروط الشيخ الصادق الذي يصح الأخذ عنه والنتاج على يديه فقال عليه الرضوان.

---

١ – سورة الأعراف جزء من الآية الكريمة / ١٧٢، وصدرها **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا..﴾** الآية.

٢ – الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية للقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ ملحق بالطبقات الكبرى له / ص٢٧ ط/ الشرفية «الأولى».

٣ – انظر الكتاب السيد إبراهيم الدسوقي للأستاذ أحمد عز الدين خلف الله ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٩٤ نقلاً عن: طبقات الأبرار للشيخ على بن غانم البقاعي الشافعي «مخطوط».

«**شروطه**: أن يكون عنده علم يكشف به الحقائق والدقائق، فارقا بين الحق والحقيقة، والوهم والخيال، يعلم ما جاز وما وجب وما استحال، له سريان في العوالم العلويات والسفليات، عارفا بالفرق بين إلقاء الملك والشيطان، والهمة واللمة، والنفث في الروع والإلهام، وخطرات المريد ونزغاته، له قوة على التلبس في الصور، والتطور في الرتب، والقيام بأوصاف المريدين، ومعرفته بأمراض القلوب والنفوس والأسرار، وتطهير النجاسات النفسانية، وما يدخل من الظلمات على العوالم الروحانية، يعلم مريده من حين كان في عالم الذر قبل وروده وهبوطه إلى أصلاب الآباء وبطون الأمهات إلى غير ذلك مما هو مذكور في رسائل القوم»[1].

ومن منطلق التحقق بتلك النعوت والشروط بفضل الله وسابغ أنعمه على شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أبد الآبدين: كانت تربيته لأبنائه، لأنه كان يصرح بأنه تربى في مدرسة الإمام الشعراني الصوفية وتحقق بآدابها حين كان يسأل عليه الرضوان عن سر إطالته في زيارة الإمام الشعراني فيقول: «ﷺ، إن كتبه هي التي ربتنا»!![2]

وهي إشارة إلى الاتصال الروحي الوثيق بينه وبين ذلك القطب الفريد ﷺ وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء كفاء ما غذاها بنوره المحمدي.

هذا، ويتمثل منهج شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه في تسليك الطريق وتربية أبنائه ومريديه في المعالم التالية:

«**فالمعلم الأول والثاني**» أخذ العهد على المريد: -وهي البيعة في الطريق- وتلقين الذكر، وذلك بعد الاستخارة من الشيخ والمريد أو من

---

١ - لطائف المنن والأخلاق لسيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ ٢/ ٧٤ ط الميمنية «الحلبي».

٢ - نقلاً عن لسان والدي سيدي محمد أبي اليزيد ﷺ.

أحدهما، فتكون الموافقة في القبول أو الصحة من أحدهما دليلاً على الإذن من حضرة علام الغيوب.

ثم يُجلس الشيخ مريده بعد التطهر الكامل من الحدثين، ويلصق ركبته كما فعل سيدنا جبريل مع النبي ﷺ، ثم يأخذ بيده اليمنى يد المريد اليمنى -كالمصافح- ويستتيبه عن جميع المخالفات والمعاصي والقبائح، ويأمره بالاستحلال مع أرباب الحقوق ورد المظالم إلى أهلها.

ثم يأخذ عليه العهد على التقيد بمتابعة السنة ومجانبة البدعة والعمل بالعزيمة واجتناب الرخص ودوام ذكر الله عز وجل مع الإعراض عن جميع القبائح من المنكرات والصفات المذموات، فيقول له: «عاهدتك على اتباع السنة واجتناب البدعة ودوام ذكر الله» فيجيبه المريد بقوله: «قبلت».

ثم يستغفر الشيخ والمريد بهذه الصيغة: «أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي، وأتوب إليه».

ثم يقرأ الشيخ والمريد قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وقوله سبحانه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

ثم يغمض المريد عينيه، والشيخ يذكر بالنفي والإثبات «لا إله إلا الله» -ثلاثا- كما فعل النبي ﷺ مع سيدنا على كرم الله وجهه[3].

---

١ - سورة الأعراف / ١٤٣.

٢ - سورة الأنبياء / ٨٧.

٣ - انظر مبحث سند التلقين الصوفي وتصحيح الحافظين: ابن حجر والسيوطي رضي الله عنهما لهذا السند في كتاب الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للإمام الشعراني بتحقيق الشيخ طه عبد الباقي سرور «١/ ٢٧، ٣٠ط: المكتبة العلمية بالقاهرة».

ثم يقرأ الشيخ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. للتبرك، والإشارة إلى أنه كأنما يبايع الرسول ﷺ.

ثم يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما، ويغمضان أعينهما، ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات «الله» على نية التلقين والتعليم لقلب المريد «ثلاثا» بالمد والحضور كأنه يشاهد الملك الغفور.

ثم يأمره بالاستغفار والفاتحة والإخلاص إلى السلسلة النقشبندية والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد أنه خليفته عليه السلام في الفيض والإمداد وأنه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد.

ثم يدعو الشيخ ويؤمن المريد برفع اليدين ثم يمسحان وجهيهما، وبعده: يقبل المريد يد شيخه أو ركبته، ويقوم من محله، ويستأذن الشيخ ويذهب، ويشتغل بما أمره به الشيخ«ويحفظ نسبة الشيخ في كل حال ووقت، ويوفي العهد، والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت»[2].

«**والمعلم الثالث**»: الصحبة المقترنة بكمال المحبة والمتابعة والتسليم وحفظ الحرمة.

وقد عول ساداتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم على تحقيق المحبة من المريد للشيخ الحقيقي الكامل كطريق أساسي من طرق الوصول الأربعة مشروطا بصحبة الخدمة والانتساب والإقبال وبعدم الاعتراض على الشيخ

---

١ – سور الفتح/ ١٠، ويلاحظ هنا أن شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما يضيف في صيغة أخذ العهد – قبل قراءة آية الفتح المذكورة – قراءة قوله تعالى ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**﴾ الآية / ٩١ من سورة النحل.

٢ – انظر كيفية أخذ العهد وتلقين الذكر للمريد في الطريقة النقشبندية في متممات جامع الأصول للإمام سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي رضي الله عنه: ص٩٢، ٩٥ ط: الحلبي.

لاسيما فيما أراد أن يمتحن به مريده، وبالتسليم لـه بحيث يكـون كالميت بـين يدي مغسله، وهذا كله مع التحقيق الدائم بكمال اتباع النبي الكامل صلوات الله وسلامه عليه[1].

وبالصحبة والمحبة والمتابعة مع أدب التسليم وصل الكثيرون من مريدي شيخنا الشيخ جوده ﷺ وعنا به إلى الفناء في الله تعالى والبقاء به وناهيك بخليفته الأجل شيخنا الشيخ عيسى رضوان الله عليه الذي هو كنز من كنوز الولاية لله عز وجل تحار فيه العقول، وتذهل الألباب لعظم تحققه مع كمال تستره وهو يربي للآن بحمد الله تعالى بمشربه الجودي خُلَّص الأتباع وصفوة المريدين جعلنا الله منهم آمين.

وأما «المعلم الرابع»: من معالم المنهج الجودي في التربية: فهو تحقيق الرابطة، وهي الطريق الثاني من طرق الوصول عند أئمة النقشبندية، وهي كما عرفها ووضحها سيدي أحمد ضياء الدين شيخ شيخنا رضي الله عنهما وعنا بهما في الدارين آمين:

«عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة، المتحقق بالصفات الذاتية، وحفظ صورته بالخيال -ولو بغيبته- فرؤيته بمقتضى، «**الذين إذا رءوا ذكر الله...**»[2]. بها تحصل الفائدة كما تحصل الفائدة من الذكر بموجب «**هم جلساء الله تعالى**»[3].

---

١ – انظر متممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ص١٣٤ وانظر طرق الوصول الأربعة عند سادتنا النقشبندية في الحديقة للندية لسيدي محمد بن سليمان.

٢ – من حديث أخرجه البزار مرفوعا بسنده عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، من أولياء الله؟ قال: [**الذين إذا رءوا ذكر الله**]، ثم قال البزار: وقد روى عن سعيد مرسلا، «انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٣ – ٢١٤ ط: الشعب».

٣ – خرج الشيخ العجلوني في كشف الخفا «١/ ٢٣٢» بمعناه عن الديلي عن السيدة عائشة مرفوعا: حديث [**أنا جليس من ذكرني**] وخرج نحوه عن البيهقي -في الشعب- عن سيدنا أبي بن كعب، ونحوه عند أبي الشيخ -في الثواب- عن كعب، والبيهقي أيضاً من حديث محمد بن النضر وأحاديث أخرى بمعناه.

ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح. والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط إلى قلب المريد المرابط. وإن وجد الفتور في الرابطة بحفظ صورة شيخه في خياله بموجب «**المرء مع من أحب**»[1]. فيحفظ الصورة ويتحقق ويتصف بأوصاف الشيخ وأحواله التي له، وقيل: الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله!!

وإن وجد في إحضار الصورة سكراً أو غيبة: يترك الالتفات إلى الصورة، فيكون متوجهاً إلى ذلك الحال؛ كما نقل في مقامات النقشبندي قدس سره: أنه كان واحد من الصوفية مشغولا بطريق الرابطة، وكان يوما في مجلسه متوجها إلى الصورة، فوجد أثر الغيبة وما التفت إلى الغيبة، فقال نقشبند: خلني وكن متوجها إلى تلك الغيبة، لأن زمان الغيبة عما سوى الله يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم»[2].

وقد رأيت عدداً ممن تحققوا بالرابطة مع سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به فضلا عن نجله وخليفته الأمجد مولانا الشيخ عيسى جوده رضوان الله عليهما، فقد كان والدي سيدي محمد أبي اليزيد ﷺ فانياً في محبة شيخه سيدنا الشيخ جودة قدس الله سره، يرى فيه كل الأولياء بسائر كمالاتهم العرفانية والتحققية، وكان إذا تحدث عنه كأنما يراه بين عينيه، ولِمَ لا، وبه وصل إلى الحق تبارك وتعالى؟؟

«**والمعلم الخامس**»: هو الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار والأوراد ويشمل ذلك: الذكر الخفي باسم الذات[3]. والذكر بالنفي والإثبات -وهو

---

١ - خرجه الإمام النبهاني في الفتح الكبير «٣/ ٢٥٥ ط/ الحلبي» عن الإمام أحمد والشيخين وأصحاب السنن الثلاثة عن سيدنا أنس ﷺ، وعن الشيخين عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ.

٢ - متممات جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ ص١٣٥.

٣ - سبق تبيانه بهذا الكتاب ص٥١ - ٥٢ وانظر تفصيله في متممات جامع الأصول لشيخ شيخنا سيدي أحمد ضياء الدين رضي الله عنهما ص١٤٧.

خفي قلبي أيضاً- وهو بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» قلبيا بعد رسوخ اللطائف، وكيفية آدابه:

أن يلصق لسانه بسقف حلقه، والأسنان بالأسنان والشفة بالشفة، ويحبس النفس تحت السرة، ثم يفعل الوقوف القلبي -الذي هو أقرب الطرق إلى الله تعالى بعد طرق المراقبة- وبه يتوجه المريد إلى حقيقة الروح الإنساني من جهة القلب، فتنكشف له أنوار روحه وكمالات نفسه، وكيفيته: أن يجرد السالك أولا عقله عن جميع الادراكات ثم يعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها ثم ينسلخ بنفسه عن الهيكل الجسماني، وبعد ذلك يتوجه بالبصيرة إلى حقيقة القلب على طريق الاستغراق والاستهلاك ويداوم على ذلك فكلما يزداد توجهه إلى حقيقة القلب تزداد معرفته بربه تعالى.

فتحصل بمعرفة نفسه معرفة ربه. وبعد الوقوف القلبي: يلاحظ المريد خطا من السرة إلى الدماغ من ظاهر الجسد. ثم يلاحظ نقش التهليل «لا إله إلا الله» ويخيل منها: «لا» إلى منتهى الدماغ ومنه: «إله» إلي كتفه الأيمن، ومنه «إلا الله» إلى القلب الصنوبري الشكل ضاربا عليه منفذا إلى قعره بقوة يتأثر بحرارتها جميع البدن وينفي بشق النفي: جميعَ المحدثات وينظر بنظر الفناء؛ ويثبت بشق الإثبات ذاتَ الحق ناظراً بنظر البقاء، فيحيط على مَحَالِّ[1] اللطائف، ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات، ثم يلاحظ معناها بأن: لا مقصود إلا الله، أي: إلا ذات الله البحت بلا مثل، فإنَّ نَفْيَ المقصودية، أي عن غيره تعالى، أبلغُ من نفي المعبودية، لأن كل معبود مقصود، ولا عكس.

والتحقيق: لا معبود في الابتداء، ولا مقصود في التوسط، ولا موجود في الانتهاء إلا الله تعالى. ثم يقول في آخرها بالقلب: «محمد رسول الله» ويريد:

١- مَحَالّ جمع مَحَل

التقييد بالإتباع، ويكررها على قدر قوة النفس، ثم يقول: «إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي».

ثم يطلقه من الفم على الوِتْر المعروف من ثلاثة إلى أحد وعشرين، المُسمى بالوقوف العددي، وإذا استراح: يشرع في نفس آخر، لكن يراعي ما بين النفسين بأن لا يفصل بل يبقي التخيل على حاله لئلا يختل الاستمرار، فإن انتهى العدد إلى أحد وعشرين تظهر النتيجة، وهي نسبتهم المعهودة من الذهول والاستهلاك.

وهذا الذكر: مناسب لمن يناسب استعداده تقدم السلوك على الجذب وهو ذكر اللطائف كلها بينما يناسب الذكر باسم الذات من هو مستعد لتقدم الجذب على السلوك، وهو ذكر القلب[1].

وأما الذكر الثالث: وهو بالنفي والإثبات بلا حبس نفس، وأقله، مع الإتيان بالشروط خمسة آلاف، فإنه إذا جاهد فيه حق المجاهدة وانتفى المنفي وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح المراقبة، وهو بعدد أنواع الأسماء الإلهية والصفات الربانية[2].

ومع الأذكار الثلاثة المبينة آنفا: يلزم شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به مريديه بقراءة ختم الخواجكان وسائر الأختام النقشبندية المبينة قبل[3]، وبقراءة ورد سيدي محمد بهاء الدين قدس الله سره[4]، وذلك بالإضافة إلى ذكر وفق اسم المريد عقب كل فريضة. وذكر الأساس يوميا[5].

---

١ - انظر جامع الأصول بمتمماته لشيخ شيخنا: سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ. ص ١٤٨.

٢ - المصدر السابق.

٣ - انظر ص ٦٤ - ٧٠ من هذا الكتاب.

٤ - انظر ص ٥٤ - ٦٣ من هذا الكتاب.

٥ - انظر ص ٤٦ - ٥٠ من هذا الكتاب.

ثم يدخل في هذا المعلم الرابع من معالم المنهج الجودي في التربية: الذكر بالأسماء السبعة التي تلقنها من شيخه العارف بالله تعالى سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ وعنا به وقال له شيخه المبارك لدى تلقينه إياها: «هذه لأصول الطرق كلها جامعة ماعدا النقشبندية السابقة والشاذلية اللاحقة» وأذن له بتلقين الذكر وإعطاء العهود في جميع الطرق الاثنتين والأربعين التي أوردناها قبل هذا المصنف[1].

وهذه الأذكار السبعة لقطع عقبات النفس السبع لبلوغ مقاماتها وتحقيق مراتبها والتحقق بمعرفة الحق تعالى بعد معرفة النفس وترقيها إلي ذروة المراتب وبيانها كما يلي:

الذكر الأول: «لا إله إلا الله»، وعدده: مائة ألف مرة، وهو للنفس الأمارة – التي تأمر صاحبها بالسوء – ولون نورها: أزرق.

الذكر الثاني: «الله»، وعدده: مائة ألف مرة، وهو للنفس اللوامة –التي تلوم صاحبها بعد وقوع المعصية– ولون نورها: أزرق.

الذكر الثالث: «هو»، وعدده: تسعون ألف مرة، وهو للنفس الملهمة – التي تلهم صاحبها فعل الخيرات– ولون نورها: أحمر.

الذكر الرابع: «حي»، وعدده: سبعون ألف مرة، وهو للنفس المطمئنة –التي أطمأنت وسكنت من اضطرابها وسلمت للأقدار– ولون نورها: أبيض.

الذكر الخامس: «قيوم»، وعدده: تسعون ألف مرة، وهو للنفس الراضية – التي رضيت من الله بكل حال. ولون نورها: أخضر.

---

١ – انظر الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ يس السنهوتي ص ٢٦٧. وانظر بيان الطرق الصوفية التي سلكها مولانا الشيخ جوده ﷺ بهذا الكتاب.

الذكر السادس: «رحمن»، وعدده: خمسة وتسعون ألف مرة، وهو للنفس المرضية - التي صارت مرضية عند الحق والخلق، ولون نورها: أسود[1].

الذكر السابع: «رحيم»، وعدده: مائة ألف مرة، وهو للنفس الكاملة - التي كملت أوصافها وصارت رحيمة لجميع الخلق، فتحب للكافر الإيمان وللعاصي التوبة من العصيان، وللطائع الثبات على طاعة الرحمن، وليس لها نور مخصوص فنورها يتموج بين هذه الأنوار الست، وعالمها الخيرات ومحلها الخفاء لأنها رجعت بحسبه إلى حال العوام، وسبب ذلك أنها أمرت بالرجوع إلى الخلق لأجل تكميلهم، ولابد من حصول النسبة بين المرشد والمسترشد لقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2].

يقول سيدي أحمد ضياء الدين ﷺ وعنا به: ومتى وصلت النفس إلى هذا المقام صارت ريحانة الله في أرضه، محبوبة لله ولخلقه، وبدلت بشريتها ملكية، وعبوديتها سيادة، وعقلها حسا، وغيبها شهادة وباطنها ظاهراً، وانقطعت إلى العلي الأعلى وهو السعادة الكبرى.

وهذه المراتب والأذكار عند جميع الطرق إلا عند النقشبندية والشاذلية فإن عندهما يذكر «الله» في القلب واللطائف، ويذكر «لا إله إلا الله» كذلك، وكثرة التوجيهات والمراقبات، وكثرة الرياضيات والخلوات[3].

---

١ - لا تعجب من كون نور هذه النفس المرضية أسود وتقول كيف يكون النور أسود فإن هذا من أسرار عالم الملكوت الذي لا يقاس بنواميس عالم الملك.

٢ - سورة التوبة / ١٢٨.

٣ - انظر جامع الأصول بمتمماته لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي.

وهكذا كان سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه يجمع لمريديه وأبناء قلبه أصول جميع الطرق في الذكر مع الطريقة النقشبندية العلية باعتبار اتحاد الجوهر وتضافر الكل في التوصل إلى حضرة الجناب الأقدس.

ومن ثم يضرب لنا مولانا الشيخ جودة ﷺ وعنا به المثل الأعلى في وحدة الاتجاه الصوفي وتآخي جميع المناهج والمشارب الصوفية في اتجاه المقصد وهو الوصول إلى الله تعالى، فلا تعصب لطريق على آخر ولا لشيخ على شيخ كما يفعل جهلة أدعياء التصوف لاسيما في زماننا هذا مما جعل الطرق الصوفية في زماننا تبدو للآخرين كأنها شيع وأحزاب متفرقة فتصوب سهام النقد الطائشة إلى جوهر التصوف والصوفية، بينما الجوهر والحقيقة من ذلك براء!!

أجل، لقد ضرب إمامنا الشيخ جوده رضوان الله عليه المثل الأرفع في صدق التحقق ورحابة الأفق الصوفي الوضاء.

فكان يأتيه المريد يبغي الوصول على يديه في الطريقة الشاذلية، فيعطيه العهد الشاذلي ويلقنه أذكار طريق سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وعنا به، ويسلك المريد ويفتح عليه على يدي شيخنا الشيخ جوده ﷺ وتارة أخرى يأتيه من يريد السلوك في الطريقة الأحمدية أو الدسوقية أو الرفاعية فيسلكه الطريق الذي ينشده ويصير من رجاله.

إن تعليل ذلك صوفياً يتمثل في أن شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه كان متحققا بكلمة حبيبه وصفيه سيدي أحمد البدوي ﷺ وعنا به إذ قال: «وعزة ربي: سواقيّ تدور على البحر المحيط، لو نفد ماء سواقي الدنيا كلها لما نفد ماء سواقيّ»[1].

---

١ - الطبقات الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه وعنا به ١/ ١٥٧ / ط الشرفية.

وأما «المعلم السادس» من معالم التربية الصوفية الجودية، فهو الخلوة، يقول سيدي أحمد ضياء الدين شيخ شيخنا رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما: «واعلم أن السير والسلوك في أربعين يوما يشتغل فيها المريد بالخلوة مع الإخلاص التام بما يلقنه المرشد من أسمائه تعالى، لقوله ﷺ «**من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[1].

وأحسنه أن يكون ابتداؤه في ليلة النصف من شعبان، ويكون خروجه في آخر ليلة عيد رمضان، فإذا أراد الدخول فليغسل ثيابه، وخلوته، وبدنه، وينوي بالغسل التوبة من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر، وإذا كان عليه حق لأحد يدفعه له، أو اغتابه يطلب منه السماح والرضا ممن له خلطة معه، وليكن جلوسه في الخلوة مستقبلا للقبلة، على الوضوء في جميع أوقاته، وذلك بعد إتقانه لعلم الحال الذي لابد له من معرفته في الفروض الخمسة، من علم «لا إله إلا الله» وصومه وصلاته وحجه وزكاته، وقد أمر الحق بذلك كله في كتابه: «فاعلم أنه لا إله إلا الله»[2]. فعلمها أن تعلم بالمستحيل والجائز والواجب من صفاته[3].

ولقد كان شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به يربي أبناءه ومريديه حسب مبلغ أهليتهم ودرجات استعداداتهم، فمن وجد أهليته صالحة لدخول الخلوة أمره بها وعرفه بنظامها ولقنه أذكارها، فيدخلها المريد ليخرج منها كالذهب النضار الذي لا شائبة فيه، وقلبه مفتوح عليه، ولسانه يتفجر

---

١ - خرجه العجلوني في كشف الخفا «٢/ ٣١٠» عن الإمام أحمد وغيره عن مكحول مرسلا بلفظ (**من أخلص لله أربعين يوما..**) الحديث. كما خرجه عن أبي نعيم عن سيدنا أبي أيوب بسند ضعيف، وعن آخرين بألفاظ أخرى.

٢ - سورة محمد / ١٩.

٣ - جامع الأصول بمتمماته لسيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي ﷺ ص ١١٧ - ١١٨.

بالحكمة وروحه نورانية تقطر شفافية كأنما أذيب النور فيهـا، وسـلاف المحبـة الإلهية تسري في عروته ولطائفـه الخلقيـة والأمريـة، فلـسان حالـه يـردد قـول سيدي عمر بن الفارض ﷺ وعنا به:

يقولون لي صفها فأنـت بوصـفها	خبـير أجـل عنـدي بأوصـافها علـم
صفاء ولا ماء ولطـف ولا هـوى	ونـور ولا نـار وروح ولا جـسم [1]

ولقد أخبرني شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما في الدارين[2] بنظام الخلوة النقشبندية الجودية وشروطها وأذكارهـا وتوجهاتهـا على النحو التالي:

نظـام الخلـوة وشـروطها:

أولا : مدتها أربعون يوماً كاملة لا انقطاع فيها:

ثانيـا : الإذن من الشيخ للمريد بدخول الخلوة والاشتغال بأذكارها.

ثالثـا : أن يكون المريد دائماً على طهارة من الحدثين الأكبر والأصغر.

رابعـا : الانقطاع من المريد عن كافة الشواغل الدنيوية.

خامسا : عدم اختلاط المريد خلال مدة الخلوة بأحد إلا بإذن من الشيخ.

---

١ - انظر شرح ديوان سيدي عمر بن الفارض ﷺ لجامعة الفاضل رشيد بـن غالـب مـن شرحـي الـشيخ حـسن البوريني وسيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنهم أجمعين. «٢/ ١٤٧ - ١٤٨ ط الشرفية الأولى».

٢ - كان ذلك إبان زيارة شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وعنا بها لمنزلنا الجودي الأحمدي بطنطا في غرة شعبان المكرم ١٤٠٩هـ.

سادسا : الاقتصار في المأكل على ما يأمر به الشيخ وهو الأغذية النباتية إلا إن أذن له بغيرها وذلك ليكون عونا للمريد على السهر للذكر وتلطيفا لكثافته الترابية.

سابعا : الاعتكاف الدائم بالخلوة وعدم الخروج منها بتاتاً إلا لقضاء الحاجة وصلاة الجماعة «وقد أخبرني مولانا الشيخ عيسي جودة رضوان الله عليهما أن مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان كان يصرح لأهل الخلوة بإقامة الجماعات في الفرائض بها».

«نظام الذكر بالخلوة»

أولاً : الذكر في لطيفة «القلب» – الموجود تحت الثدي الأيسر بقدر إصبعين وهو على قدم سيدنا آدم على نبينا وعليه السلام – لمدة ثمانية أيام.

ثانياً : الذكر في لطيفة «الروح» الموجودة تحت الثدي الأيمن بقدر أصبعين وهي على قدم سيدينا نوح وإبراهيم على نبيا وعليهما السلام لمدة يومين.

ثالثاً : الذكر في لطيفة «السر» –الموجودة فوق الثدي الأيسر بقدر أصبعين، وهي على قدم سيدنا موسى على نبينا وعليه السلام– لمدة يومين.

رابعاً : الذكر في لطيفة «الخفي» –الموجودة فوق الثدي الأيمن وهي على قدم سيدنا عيسي على نبينا وعليه السلام– لمدة يومين.

خامساً : الذكر في لطيفة «الأخفى» الموجودة في وسط الصدر وهي تحت قدم نبينا الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلي الله تعالى عليه وآله وصحبه دائما وسلم – لمدة يومين.

سادساً : الذكر في لطيفة النفس وهي في الجبهة – لمدة يومين.

سابعاً : الذكر في العناصر الأربعة، وهي قوام الجسد كله – لمدة يومين.

ثامنـاً : الذكر بحبس النفس بالنفي والإثبات: «لا إله إلا الله » بعدد وتر على قدر اتساع النفس بحيث يتلفظ قبل نهايته بـ«سيدنا محمد رسول الله»: ثلاثة أيام.

تاسعاً : المراقبة: وهي الطريق الرابع من طرق الوصول عند السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم[1] وهي في اصطلاح أهل الحقيقة: استدامة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه في جميع أحواله، وقيل: هي مراعاة السر لملاحظة الحق مع كل خطرة، وقيل هي: تسليط هيبة حضور الحق تعالى ونظره على القلب وسائر الأعضاء في حركاته وسكناتها[2].

والمراقبة كما يقول العارفون: هي أقرب الطرق إلى الله تعالى بالنسبة إلى أهل الجذبة، وهي بعينها -كما يقول القطب الضياء- معنى النفي والإثبات من غير ملاحظة حروف الكلمة الطيبة[3].

فإذا تمكن السالك في مقام المراقبة على الوجه المطلوب يتحقق بدوام العبودية، وبها يترقى إلى رتبة المشاهدة، لأن نتيجة المراقبة مشاهدة من غير حجاب.

ويظل المريد في الخلوة متحققا بمقام المراقبة ثلاثة أيام حسب نظامها الدقيق الذي رسمه مولانا الشيخ جودة ﷺ لأبنائه ومريديه.

---

١ - انظر متمات جامع الأصول لشيخ شيخنا الضياء النقشبندي. قدس الله سرهما ص ١٣٥.

٢- نفس المصدر المبارك: ص ١٦٧.

٣ - نفس المصدر المبارك: ص ١٦٦.

عاشراً : المرور على كل لطيفة من اللطائف الأمرية والخلقية بالذكر باسم الذات «ألفا» وبعد كل ألف من ذكر اللطائف الأمرية يتوجه إلى كل لطيفة منها بالتوجه المناسب لها -كما سيذكر بعد- ومدة هذا المرور في الخلوة: ثلاثة أيام.

حادي عشر: التهليل -أي الذكر بلا إله إلا الله- على قدر سماح نفس الذاكر «لمدة أربعة أيام».

وقد أفادني شيخنا الشيخ عيسى جودة – رضي الله عنهما – أن ذكر اللطائف المذكورة في نظام الخلوة إنما هو باسم الذات حيث يتم المختلي الذاكر به أحد عشر ألفا بعد أن يكون قد ذكر به قبل دخول الخلوة خمسة آلاف، ومن ثم يكون ذكره باسم الذات الأقدس في الخلوة ستة آلاف.

ثم بعد إتمام تطبيق ما مر ذكره من نظام الخلوة يعكف الذاكر المختلي على الذكر الخفي باسم الذات حتى يتم أربعين يوما، بعدد أيام وليالي ميقات الكليم سيدنا موسى -على نبينا الأعظم وعليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات- كما قال ربنا وعز وجل في محكم كتابه العزيز ﴿**وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾[1]

فقد ذكر العارفون في حكمة هذا العدد وسر تخصيصه: أن المواعدة كانت ثلاثين للتخلص من حجاب الأفعال والصفات والذات، كل عشرة للتخلص من حجاب، فكان بلوغ الشهود الذاتي التام في الثلاثين حيث كان الفناء بالكلية في الله تعالى ثم في العشرة الرابعة كان البقاء بالله تعالى بعد الفناء فيه[2] **ومما تجدر ملاحظته في هذا المقام: مبعث نبينا سيدنا محمد ﷺ على رأس الأربعين!!**

---

١ - سورة الأعراف / ١٤٢.

٢ - انظر تفسير الإمام الآلوسي النقشبندي ﷺ: روح المعاني ٩/ ٥٤.

وأما توجهات الخلوة -التي أشرنا إليها بعد ذكر لطائف عالم الأمر الخمسة- فهي كما يلي:

التوجه الأول: -وهو بعد الذكر بلطيفة القلب- فهو أن يقول الذاكر: إلهي بفيض تجلي أفعالك الذي أرسلت من قلب النبي ﷺ إلى قلب سيدنا آدم، ومن قلب سيدنا آدم عليه السلام بواسطة قلوب المشايخ أرسل إلي قلبي.

التوجه الثاني: -وهو بعد ذكر لطيفة الروح- إلهي بفيض تجلي صفاتك الثبوتية الذي أرسلت من روح النبي ﷺ إلى روحي سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام، ومن روحي سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام بواسطة أرواح المشايخ أرسل إلي روحي.

التوجه الثالث: -وهو بعدد ذكر لطيفة السر- إلهي بفيض تجلي شئون ذاتك الذي أرسلت من سر النبي ﷺ إلى سر سيدنا موسى عليه السلام ومن سر سيدنا موسى عليه السلام بواسطة أسرار المشايخ أرسل إلي سري.

التوجه الرابع: -وهو بعد ذكر لطيفة الخفي- إلهي بفيض تجلي صفاتك السالبة الذي أرسلت من خفاء النبي ﷺ إلى خفاء سيدنا عيسى عليه السلام، ومن خفاء سيدنا عيسى عليه السلام بواسطة خفاء المشايخ أرسل إلي خفائي.

التوجه الخامس: -وهو بعد ذكر لطيفة الأخفى- إلهي بفيض تجلي شئون جامعيتك الذي أرسلت إلى إخفاء النبي ﷺ ومن إخفاء النبي ﷺ بواسطة إخفاء المشايخ أرسل إلي إخفائي.

تلك توجهات اللطائف الأمرية الخمس التي لقنها سيدنا الشيخ جودة إبراهيم رضي الله عنه وعنا به لمريديه ليتوجهوا بها إلى الحق تبارك وتعالى ضمن أذكارهم في الخلوة.

ولقد رَبَّى مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه آلاف المريدين بنظام الخلوة الذي يعد مظهراً روحياً وكلياً لذاتية المريد الصادق[1] الرئيسية للمريدين الجوديين بمسجده الجامع بمنيا القمح، وكان موضعها أولاً في حياة مولانا الشيخ جودة ﷺ مكان «ضريحه المقام الآن، ثم أقيمت بنفس المسجد الشريف خلوة بموضع حجرة مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما الكائن بها مقامه الشريف الآن.

ولقد انتشرت في عهد مولانا الشيخ جودة ظاهرة الخلوات النقشبندية فكان أبناؤه ومريدوه القادرون يبنونها في سائر القرى والأمصار، كما فعل الحاج عبد الرحمن نصير والحاج عبد الحميد مندور إذ أقام كل منهما خلوة ببلده، وكذلك فعل أهالي بلدة الشموت مركز بنها وغيرها، كما كان لمولانا الحاج عليوة عطية خلوة ببلدته السنيطة أيضاً يدخلها من يأذن له شيخنا الأكبر رضي الله تعالى عنه وعنا به، وهكذا انتشرت الخلوات النقشبندية في كثير من البلاد.

وننتقل إلى المعلم «السابع» من معالم التربية الصوفية لشيخنا الشيخ جودة ﷺ: ألا وهو: التربية بالنظر والهمة: لقد عُرِفَ عن إمامنا الشيخ جودة ﷺ وعنا به أنه يربي أبناءه ومريديه في طريق الله عز وجل بالنظر ويمدهم بهمته العالية فيقطع بهم عقبات الطريق ويعبر بهم من التصفية إلى التزكية كما هو معروف عن منهج الطريقة النقشبندية، فإن التزكية عند أكثر المشايخ في الطرق الأخرى مقدمة على التصفية فلا يلقنون مريديهم إلا بعد إدخالهم في الخدمات والرياضات الشاقة التي تنكسر بها نفوسهم ويحصل بها التزكية.

---

١ - انظر المزيد من التفصيل عن تأصيل التربية بالخلوة من الشرع المحمدي وشروط وآداب الخلوة في جامع الأصول ومتمماته لشيخ شيخنا الإمام أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ ص١٢٠ - ١٢٢.

أما في الطريقة النقشبندية فعلى العكس من ذلك، إذ يتوجه المريد إلى التصفية والتوجه الحق بالصدق إلى الحق تعالى تحت إشراف شيخه وإمداد همته، فيحصل له من التزكية بإمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة ما لا يحصل لغيره من الرياضات والسياسات في سنين، وذلك بناء على تقديم الجذبة على السلوك عند السادة النقشبندية، فإن سلوكهم مستدير لا مستطيل، وإن أول قدم لهم في الحيرة والفناء كما قال شيخ الطريقة سيدي محمد بهاء الدين قدس الله سره «بدايتنا نهاية الطرق الأخرى»[1].

وقد عرفت التربية بالنظر والهمة عن ثلة من أفذاذ الأقطاب المحمديين الكاملين كسيدي أبي الحسن الشاذلي وخليفته أبي العباس المرسي وسيدي أحمد البدوي وخليفته سيدي عبدالمتعال، وكذا سيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنهم وعنا بهم أجمعين، وفي بيان هذا النوع من التربية يقول مولانا الإمام الشعراني رضوان الله عليه:

«ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ: تربيتي لخواص أصحابي بالنظر من غير لفظ ولا إشارة، فيؤثر نظري إليهم في الخير كما يؤثر عين المعيان في غيره الشر. كل ذلك بجعل الله وإرادته، فله أن يجعل عبداً آلة في الخير وعبداً آخر آلة في الشر».

---

١ - انظر الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية لسيدي محمد ابن سليمان الحنفي البغدادي بهامش كتاب أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد ص / ١١ ط: العلمية بمصر.

واعلم يا أخي أنه ليس لي خصوصية بهذا الخلق، فقد سبقني إلى ذلك سيدي أبو الحسن الشاذلي وسيدي أبو العباس المرسي وسيدي إبراهيم المتبولي[1] وسيدي على الخواص رضي الله تعالى عنهم.

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: «إذا كانت السلحفاة تربي أولادها بالنظر فنحن أولى بذلك»!!

وصورة تربيتها أولادها، أنها تبيض وتبعد عن بيضها وتصير تلحظه بنظرها، فكل بيضة توارت عنها فسدت، وكل بيضة ظهرت لها صلحت وتم نتاجها!! ثم إذا خرج فرخها من البيض تدفنه وتبقي منه رأسه فوق الرمل، فما دامت تراه فهو محفوظ من الآفات.

ولم يزل أصحاب الفقير على أقسام وطبائع، فمنهم اللين الطبع ومنهم اليابس القاسي، فتراهم يربون أصحابهم تارة بالأقوال، وتارة بالأفعال، وتارة بالإيلام، وتارة بالإيمان والإفهام، وتارة بصريح الكلام، وتارة بالرؤيا والمنام، وتارة بالأمراض والأسقام، فإن الشيخ إذا عرف العلة ودواءها، يجب عليه أن يتبعها بالدواء مصلحة للمريد، ولا عليه إن كان ذلك مراً على النفس أو حلواً لها، ومتى أخر الدواء من غير ضرورة فقد خان الله فيما ائتمنه عليه[2].

وقد ذكر العارف الرباني سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي شيخ الإمام أحمد ضياء الدين شيخ مولانا الشيخ جودة رضي الله عنهم وعنا بهم أجمعين: أن لكل طريقة منهجها وأسلوبها في قطع صفات النفس السبعة، وأن الطريقة

١ - كان سيدي إبراهيم المتبولي المتوفى سنة نيف وثمانين وثمانمائة هـ من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية وكان أخاً في الله لسيدي أحمد البدوي ﷺ، ومن كلامه: «وعزة ربي ما رأيت في الأولياء أكبر فتوة من سيدي أحمد البدوي ﷺ ولذلك وآخى بيني وبينه رسول الله ﷺ ولو كان هناك من هو أكبر فتوة منه لآخى بيني وبينه» انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني ٢/ ٧٥.

٢ - لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق للإمام الشعراني ٢/ ٧٧.

النقشبندية الخالدية مشربها في هذا الصدد هو فيض العلم بالمحاذاة: إذ يقول قدس الله سره: «قطع صفات النفس السبعة في بضع الطرق بالتنقل في الأسماء السبعة بتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر.

وفي بعضها: بنظر الشيخ للمريد نظر نخبة كطريقة سيدي أحمد البدوي ﷺ.

وفي بعضها: بفيض العلم بالمحاذاة التامة الصحيحة، كالطريقة الخالدية[1]، فيمتلئ المريد علما بالمحاذاة وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ، كما كان يقع لي وقت حضوري درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين، فكنت استغرق في حضرته لا أسمع ولا أرى، وعند حضوري إلى المدرسة البدرية في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء في الدرس عما قرره الشيخ فأجد ما قاله وزيادة في حافظتي فأقرر له ذلك فيتعجب!!»[2].

ومن ثم كان شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه يقطع بمريديه عقاب النفس السبعة تارة بالتنقل في الأسماء السبعة – كما قدمنا – حسب المشرب الأكبري وتارة أخرى بفيض العلم بالمحاذاة حسب الطريقة الخالدية وتارة ثالثة بنظره لمريده نظر نخبة ومحبة كسيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وعنا به، فوصل بنظره المحمدي العالي قلوبا وأرواحا إلى حضرة الحق تبارك وتعالى.

---

١ – يقصد الطريقة النقشبندية التي جددها مولانا الإمام ضياء الدين خالد بن حسين الشهرزوري العثماني الشافعي الذي جدد الله تعالى به القرن الثالث عشر الهجري وتوفى سنة ١٢٤٢هـ انظر: ترجمته بالأنوار القدسية =للشيخ يس السنهوتي ص٢٢٤ وبالحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان الحنفي بهامش كتاب أصفى الموارد ص٢٩–٥٦.

٢ – الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ يس السنهوتي ص٢٦٤.

وقد ورث عنه نجله وخليفته مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما تربيته بالنظر فهو يربي الآن أبناء قلبه ومريديه بالنظر ويمدهم بمدد الشفقة والرعاية.

إن أهل الجلاء والإشراق من أئمة القوم الصوفية قد مثلوا النفس الإنسانية بعين الماء وشبهوا ما يكون في النفس من الحقائق والعلوم والمعارف التي تجلت لها يوم الميثاق بما يكون في العين من الماء وهذه الحقائق والعلوم تعزب عن النفس كما يغور ماء العين منها باشتغالها عنها بتلك الأوهام والأسباب التي تحجبها عن أنواع الحقائق والعلوم فلا يعود ماء العين إلا بالحفر عليه بفأس من المجاهدة ومسحاة من الرياضة يستأصل بها أدواء النفس فتنكف عن النقائص والغفلات وتطهر من الأهواء الباطلة التي شأنها ضعف اليقين ورقة الديانة وتتحقق لها التقوى مع الاستقامة والتوبة مع الإنابة.

والسبيل إلى ذلك – كما قال شيخ شيخنا عليه الوضوان – إما الإصلاح بالخلوات والتربيات وحفظ الأصول وحفظ الحرمة، وإما بعلو الهمة وقوة العزم والحزم والإلقاء والتلقي.

وقد أفاد أئمة الطريق أن طريق الإصلاح قد أخذ في الانقراض منذ زمن بعيد -منذ نحو سبعة قرون- وأصبح المعول عليه هو الهمة في التربية أو التربية بالحال، إذ قال صاحب المفاخر العلية -رضوان الله عليه- «قال بعض مشايخنا رضي الله عنه: ارتفعت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين

وثمانمائة ولم يبق غير الإفادة بالهمة والحال: فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان، يعني: الجادة مع التزام الصدق، وبالله التوفيق»[1].

من هنا كان شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به يربي أبناءه أصلاً بنظره العالي وقوة همته وعظيم حاله مع تصقيل مرايا نفوسهم بالمجاهدة والرياضة الروحية التي يعينهم عليها أيضا بقوة همته وحاله، ويغذيهم بدءاً واستمراراً بنظر قلبه المحمدي الشريف فيحالفهم التوفيق وتشرق في قلوبهم أنوار الفتح الرباني ويغمرهم المدد العرفاني ويتصل حاضرهم بيوم الميثاق الأول إذ قال تعالى شأنه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[2].

وقد حدثني أبي سيدي محمد أبي اليزيد رضوان الله عليه أنه كان يشهد النظرة الجودية في حضرة شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه فيحس بأثرها على الفور في أعماق قلبه مغذية بالتربية والمعرفة الحقانية، ومن ثم كان سيدنا الشيخ جودة ﷺ قليل الكلام مع مريديه يدرك خواطرهم بكشفه الرباني ويجيب عما تجيش به صدورهم إلقاء في الروع ومخاطبة بالقلب، فإذا ما عَنَّ لأحدهم أن يترجم حديث القلب إلى بيان اللسان قال له مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه قولته المأثورة عنه في مختلف الظروف والأحوال: «العبرة بالقلوب»!!

رضي الله عنك يا شيخنا العظيم يا مربي النفوس والقلوب والأرواح بنظرك الكريم.

---

١ - انظر المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لسيدي أحمد بن عياد الشافعي ص٥٤ ط الحلبي، وانظر جامع الأصول لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ بمتمماته ص ١١٩.

٢ - سورة الأعراف/ ١٧٢.

تلـك أبـرز المعـالم التـي وقفـت عليهـا في المـنهج الجـودي في التربيـة الصوفية، وهو المنهج الذي تُربى به آلاف من جنـود الله في المدرسـة المحمديـة النقشبندية الجوديـة، وتخرجـوا منهـا أنجـما للهدايـة وقـادة روحـين وحكـماء ربانيين، وسنقف على العديد منهم خلال التعريف بالخلافة الجودية والتعـرف على خواص أتباع شيخنا الأكبر وصـفوة مريديـه إن شـاء الله تعـالى، ولنقـصد الآن إلى التعرف على:

الفصل السادس

طائفة من كرامات مولانا الشيط جودة ﷺ

(اثنتان وأربعون كرامة)

أجمع علماء أهل السنة والجماعة على ثبوت الكرامات للأولياء جوازاً ووقوعاً، ومن ثم قال العلامة سيدي إبراهيم اللقاني رضي الله تعالى عنه في جوهرة التوحيد:

وأثبتن للأوليا الكرامة ومن نفاها أنبذن كلامه

وفي شرح هذا البيت: يقول العلامة سيدي عبد السلام اللقاني «ابن المصنف» رضي الله عنهما: «ومراد المصنف: أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد الكرامة، أي حقيتها بمعني جوازها ووقوعها لهم كما ذهب إليه جمهور أهل السنة.

والكرامة: أمر خارق للعادة -غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها- يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم»[1].

وقال إمام الحرمين الجويني في «الإرشاد»: «فالذي صار إليه أهل الحق: جواز انخراق العادات في حق الأولياء»[2].

---

١ - انظر شرح عبد السلام على الجوهرة المسمى إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص١٣ نشر مكتبة القاهرة، وانظر أيضاً تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام سيدي إبراهيم البيجوري ص١٥٣ نشر دار الكتب الحديثة.

٢ - انظر الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني بتحقيق د. محمد يوسف موسى وعلى عبدالمنعم عبد الحميد ص٣١٦ - ٣١٧ نشر الخانجي.

ثم تصدى للرد على من أنكر من أصحابه جواز وقوع الكرامة التي هي من جنس المعجزة فقال: «وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعبانا، ويحيى الموتى كرامة لولي إلى غير ذلك من آيات الأنبياء.

وهذه الطريقة غير سديدة أيضاً والمرضى عندنا: تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات»[1].

وبوسعنا -بحمد الله تعالى وَمَنِّهِ- إيراد العديد من النقول عن جمهرة علماء السلف في إثبات الكرامات لأولياء الله العارفين في مواجهة المنكرين لها من جحافل المتعصبين على التصوف والصوفية والذين لم يستوعبوا مضمون الكرامة وأنها في حقيقتها من خلق الله وصنعه وإظهاره والولي ليس بخالق لها بل مَظْهَر[2] فتجرى على يديه بخلق الله وإذنه سبحانه وتعالى، ومن ثم: فالذين ينكرون الكرامات للأولياء هم منكرون لقدرة الله تعالى على خرق العوائد في مجلى إراده الله وهو الولي.

فإذا ما ذكر عن ولي إنه طويت له الأرض أو كوشف بغيب أو أحيى له الميت، قال المنكرون وهل هذا معقول؟ أهو إله يحيي ويميت ويعلم الغيب وتنصاع لأمره الأكوان؟؟

ونقول لهم: يا قوم رويدكم، إن الخوارق ليست من خلق الولي بل هي من خلق الله الذي بيده ملكوت كل شيء وما الولي إلا مظهر ومجلى لتلك الخوارق. فالمنكر لها منكر لقدرة الله عليها.

---

١ - انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني بتحقيق د. محمد يوسف موسى وعلى عبدالمنعم عبدالحميد ص٣١٦ - ٣١٧ نشر الخانجي.

٢ - ضبط مظهر بوزن «معبد» بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه.

ومن ثم نقول لهؤلاء ولغيرهم:

إن ظهور الكرامات بشتى أنواعها وأصنافها لم ينازع فيه أحد من السلف الصالح ولا من الخلف المنصف، بل لقد أقر به ابن تيمية الذي يعدونه خصم التصوف الأول، مع أنه لم يكن منكرا على الإطلاق للتصوف الصحيح الواضح المعالم ولا لمقامات الأولياء وصفوة الصوفية ومن أراد أن يتحقق من ذلك فليقرأ له المجلد الحادي عشر من «مجموع الفتاوى» الذي يحمل عنوان التصوف، وقد عقد فيه مبحثاً قيماً عنوانه:

«قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات»[1]. وأثبت فيه وقوع الكرامات للأولياء سواء كانت من باب العلم أم من باب القدرة والتأثير بل وأطلق عليها «المعجزات» كما كان يفعل المتقدمون من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فقال في هذا المبحث من فتاويه:

وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب: «الكشف والعلم»، فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى عليه السلام بحال الغلام.

و «**القدرة**» مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض: التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس.

وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله: «فمثل نصر الله لمن ينصره، وإهلاكه لمن يشتمه»[2] ا. هـ.

---

١ - انظر مجموع فتاوى ابن تيمية: المجلد الحادي عشر ص٣١١.

٢ - نفس المصدر: ص ٣١٨.

فهذا ابن تيمية قدوة السلفيين المتأخرين، موقفه من الكرامات موقف التسليم بها من منطلق ثبوتها في القرآن الكريم والسنة المطهرة حيث أثبتت في محكم التنزيل وصحاح الأحاديث كرامات سيدنا الخضر والسيدة مريم والذي عنده علم من الكتاب وأهل الكهف وغير ذلك.

ومن هذا المنطلق: نتناول بالذكر والتعرف كرامات شيخنا جودة إبراهيم قدس الله سره الكريم وأمدنا بالمدد العميم. لقد كان شيخنا ﷺ من الذين لا يبغون الظهور البتة لصفاء معاملاتهم مع الله تعالى، ومع ذلك فقد كانت كراماته ﷺ تظهر كأشعة الشمس لتقود المحجوبين من ظلمة ليل الإنكار إلى وضح النهار وكان الشيخ ﷺ يقول لمن يسأل عن الكرامات «الاستقامة خير من ألف كرامة»!!

ولقد تحقق رضوان الله عليه بمنهج الاستقامة الذي تذوب منه الجبال فسعت إليه الكرامات لتقول للأمة هذا حجة الله على خلقه فاسعوا إليه لتنالوا من بركاته. وأسوق هنا بعض ما اشتهر من كراماته ﷺ على سبيل المثال لا الحصر.

١ - **كرامة إحياء الموتى بإذن الله**: تواترت على ألسنة أتباع الشيخ ومحبيه ﷺ هذه الواقعة، وهي أن رجلا كان ينذر للشيخ رضوان الله عليه مبلغا من المال لينفقه في الخيرات كل عام ويرسله إليه مع ابنه، وبينما هذا الابن قادم ذات مرة للوفاء بنذره اعترضه عند قرية العزيزية رجل كان آنذاك معيناً في قوة الأمن وكان يعلم بأمر هذا الرجل فصمم على أخذ المال منه وتحايل لذلك، فلما لم يفلح دَبَّرَ لقتل هذا الابن إذ دعاه للمبيت عنده فذهب إليه بداية وفي المساء ذبحه ونقل جسده ليلاً فوضعه أمام منزل الشيخ بالعزيزية بعد أخذ ما معه، ولما كان رجال الأمن بصدد التحقيق، وجهت التهمة

لمولانا الشيخ جودة بقتل الرجل فما كان منه إلا أن قال: احضروا القتيل وضموا رأسه إلى جسده فأحضروه أمامه فقال له: قم بسم الله وقل من قتلك!!

وتتحقق الكرامة الكبرى ويتحرك القتيل وينطق باسم قاتله على مرأى ومسمع من رجال الأمن وجمهرة المحتشدين من أتباع الشيخ وعوام الناس، وقد قيدت هذه الواقعة بمحاضر شرطة منيا القمح آنذاك. ولقد كان الشيخ ﷺ آنذاك عيسوي المقام يحيى الموتى بإذن الله، وهذا أمر مصطلح عليه عند السادة الصوفية إذ أنه ما من ولي لله إلا وهو على قدم نبي من الأنبياء وله من الكرامات مثلما لذلك النبي من المعجزات تكريما لسيد النبيين ﷺ كما تقدم بيانه.

٢- **تسليمه باليد الشريفة على حضرة مولانا المصطفى ﷺ:** ذكر الثقاة من أتباع الشيخ ﷺ أنه كان يحج في سنة من السنين وبينما هو في زيادة سيد الوجود عليه أفضل صلوات الله وتسليماته إذا به يقترب من الحجرة النبوية الشريفة ويقرأ السلام على جده المصطفى ﷺ وإذ باليد المحمدية الشريفة تمتد إليه من شباك الحجرة النبوية فيقبلها الشيخ رضوان الله عليه على مرأى من خواص أحبابه، وقد أمرهم بالكتمان، فلم تذع تلك الكرامة للعامة إلا بعد انتقاله ﷺ.

قد حكي لي هذه المنقبة العظمى شيخي في حفظ القرآن الكريم الشيخ حسن محمد عثمان من العزيزية شرقية رواية عن جده الذي شهد الواقعة عيانا. وهذه الكرامة قد ثبت نظيرها لسيدي أحمد الرفاعي رضي عنه الملقب بصاحب مد اليد لتسليمه على مولانا المصطفى ﷺ.

٣- **ومن كراماته** ﷺ أنه كان في يوم عرفة من كل عام يكون فيه موجودا بمصر يأمر بإغلاق باب خلوته عليه وعدم الدخول إليه من مطلع الشمس إلى غروبها، ويأتي الحجاج من مريديه فيقسم بعضهم أنه رأى الشيخ واقفاً بعرفات في ذلك العام ولا يكاد يخلو عام يوجد فيه الشيخ بمصر من أحد يراه إما بجوار الكعبة وإما بعرفات أو نحوها من المشاهد المقدسة.

٤- **ومنها أنه أخبر الشيخ الأحمدي الظواهري** بإعادته إلى معهد طنطا الذي كان شيخا له بعد نقله إلى معهد أسيوط حيث جاء الشيخ الأحمدي إلى سيدنا الشيخ جودة متوسلا به إلى الله تعالى في ذلك فقال له شيخنا رضوان الله عليه، ستعود لمعهد طنطا وستُرَقَّى شيخا للأزهر. فكان الأمر كما قال وكان الشيخ الظواهرى بعد أن صار شيخاً للأزهر يأتي لزيارة الشيخ والتوسل به إلى الله عز وجل والتبرك به وبآثاره.

٥- **ومنها أنه كان يلتقي بسيدي أحمد البدوي** ﷺ في البرزخ ويخاطبه في ضريحه الشريف ويسمع خطاب سيدي أحمد البدوي له. بل ذكر خواص أبناء الشيخ قدس سره، أن سيدي أحمد البدوى جاء إليه يعوده في مرضه ورأى أهل بيت الشيخ القطب البدوي عياناً وهو مع الشيخ بحجرته.

٦- **ومنها أن الشيخ محمد الخضري** من علماء الأزهر ومؤلف كتاب «نور اليقين» — جاء لزيارة الشيخ بصحبة محمد باشا أباظة وحسنين بك مرسي عمدة العزيزية، ولم يكن عنده حسن اعتقاد آنذاك في الشيخ فرأى بمجلس الشيخ أحد المريدين يقرأ في بعض كتب التصوف ويلحن في العربية، وكان الشيخ يتجاوز –تخفيفاً– عن بعض الأخطاء اللغوية طالما ليست في قرآن أو حديث، لكن الشيخ الخضري ظن أن الشيخ لا يعرف خطأ القارئ.

ولم يتفوه بكلمة بل جذب الكتاب من القارئ، دون استئذان الشيخ ليقرأ ويظهر علمه وعندما شرع الشيخ الخضري في القراءة لم يقدر على أن ينطق عبارة واحدة صحيحة، وكان شيخنا ﷺ يصحح له أخطاءه فأقر للشيخ ﷺ بعظم مكانته واعتذر عما أسره في نفسه، وناشد الشيخ قائلاً: لا تكن سبباً في سلب نعمة العلم مني فإنها ثروتي وأخذ عنه الطريق وصار من مريديه.

٧- **ومن كرامات سيدنا ومولانا الشيخ جودة إبراهيم رضي الله تعالى عنه وعنا به:** التي هي من قبيل مكاشفاته بالخواطر القلبية - ما ذكره حضرة نجله وخليفته المكرم مولانا الشيخ عيسى جودة رضوان الله عليهما: أنه في غضون سني نشأته المباركة- وقد شاع ذكر شرف نسبه الحسيني في الآفاق- أراد أن يتحقق من ذلك من حضرة والده الأمجد -رضوان الله عليه- فقصد خلوته المباركة لذلك مضمرا قصده في نفسه، وبينما هو داخل إلى الحضرة الجودية بأداة مولانا الشيخ جودة قدس الله سره بالإجابة قبل السؤال قائلاً: نعم يا عيسى نحن أشراف ومن نسل مولانا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه[1]!!

٨- **وأيضاً من كراماته رضوان الله عليه** -التي تعد من إطلاع الله تعالى له على المغيبات بإذنه وبمشيئته سبحانه- أن حضرة نجله مولانا الشيخ عيسى عليه الرضوان عندما كان بصدد التأهل وإحراز شطر دينه أراد التزوج من إحدى قريباته -من جهة والدته رضي الله عنها- إذ وجد فيها صلاح الدين والدنيا، فلما دخل على حضرة والده الأمجد رضوان الله عليه وأبدى له كمال رغبته في هذه الزيجة وقد قدم أهل العروس المختارة إلى الساحة

---

١ - عن لسان حضرة شيخنا عيسى جودة رضي الله عنهما وعنا بهما آمين.

الجودية ساعين لشرف هذه المصاهرة بمجرد علمهم باختيار مولانا الشيخ عيسى، فما كان من مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه إلا أن أشار إلى نجله المبارك أن اختر غيرها فإنها ليست لك، دون إبداء سبب، فما كان منه بعد إلا التسليم والامتثال لأمر الشيخ قدس الله سره ولم يمض إلا ثلاثة أيام وجاء خبر وفاة تلك الفتاه[1] رحمها الله.

٩- **ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به**، أنه كان يبشر مريديه ببعض ما أطلعه الله عليه من الخيرات المغيبة المستقبلية لهم تثبيتا لهم وتأكيداً لرعايته القلبية وعنايته بشئونهم يقظة ومناماً، فمن ذلك: ما أنقله عن أحدهم من ورقة بخطه عندي نصها: «رأيت خيراً إن شاء الله، رأيت عمي فضيلة المرحوم ولي الله الشيخ جودة في المنام، زارني بزيه المحترم وقال: أبشرك بأنه سيولد لك ولد بعد سبعة عشر يوماً»!! فكان كما قال الشيخ عليه رضوان الله، فرزقني الله بمولود كما قال الشيخ، فسميته محمد كمال، جعله الله من السعداء آمين.

محمد الخضري هلال

المقيم بسمنود بشارع سعد / ٩٨ أمام المحطة المصرية

والشكر لله فلي بشيخي صلة نسب.

١٠- **ومن كرامات شيخنا جودة رضي الله عنه التي تدخل في نطاق** المكاشفات بالحقائق العلمية وتمييز الأصيل من الدخيل في أمهات كتب الصوفية – ما ذكره مريده الشيخ يس بن إبراهيم السنهوتي مصنف كتاب «الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية» من أنه كان يقرأ في كتاب

١- انظر الأنوار القدسية للشيخ يس السنهوتي يس السنهوتي ص ٣٦٩ وقد سمعتها من شيخنا الشيخ عيسى أيضاً بمزيد من التفصيل.

«الإنسان الكامل» لسيدي عبد الكريم الجيلي ﷺ. فلما وصل إلى مسألة: انقطاع العذاب عن أهل النار، حصل في نفسه شيء بالطبع لما في ظاهر ذلك من ظاهر مخالفة الشرع، فذهب على الفور إلى شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به، ليسأله عن مطالعة الكتاب المذكور مضمراً في نفسه السؤال عن تلك المسألة وبالذات -أي التي توقف في قبولها- فلما سأل شيخنا قدس الله سره: أ أقرأ الإنسان الكامل؟؟

ضحك مولانا الشيخ جودة وقال له متعجبا: أ أنت تقرأ بنفسك؟؟ - مشيراً بهذا الاستفهام التعجبي إلى صعوبة الكتاب ومحذراً من الوقوف عند ظاهر عبارته -ثم قال مكاشفا للسائل بما أضمر السؤال عنه- طيب، أعرفه، وقرأته غير أن به مسألة انقطاع العذاب عن أهل النار، ولعل ذلك مدسوس على صاحبه به، ثم أردف قائلا وموجهاً: لا ينبغي الخروج عن ظاهر الشرع!! فقال الشيخ يس لسيدنا الشيخ جودة ﷺ: إن في ذلك الكتاب «قل هو» أي الإنسان «الله أحد»!!

فضحك مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه أكثر من الأول وقال: بل هي كذلك -أي معناها- «قل هو» يا إنسان «الله أحد»[1]!! ففسر شيخنا ﷺ لفظة «أي» بأنها للنداء بمعنى «يا» وليست «تفسيرية» حتى لا يفسر ضمير الهوية المعني به الذات الأقدس جل وعلا بالإنسان!! أرأيت نورانية مكاشفة شيخنا العظيم ورسوخ قدمه المحمدي في التمسك بالشريعة وتنزيهها عن دخيل الرأى وشطط الشطح الذي جلب للتصوف أقاويل المرجفين وتعنت المبطلين؟ رضي الله عنك يا شيخنا الشيخ جودة وأمدنا بمددك العميم.

---

١ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس السنهوتي ص٢٧١.

١١- ومن روائع كرامات شيخنا الشيخ جودة ﷺ المتعلقة بمكاشفاته الغيبية المنامية – أن أحد مريديه وهو الشيخ إسماعيل صقر السنهوتي كان مجاوراً بالأزهر الشريف، وكان تلميذاً للشيخ محمد الأشموني ﷺ في العلم وفي الطريق الصوفي أيضاً ومن أخص أبنائه المقربين لديه، فلما توفي الشيخ الأشموني رحمه الله، قدم إلى مولانا الشيخ جودة ﷺ وأخذ عنه الطريق، ولكن حب شيخه الأول كان ينازع حبه لشيخه الثاني في أوقات معدودة، فكان يعاني من هذا الأمر أشد معاناة، ويقول في نفسه: ترى الأولى أعلى أم الثاني؟ فأتاه مولانا الشيخ جودة ﷺ وعنا به في منامه وقال له: الثاني أعلى بكثير[1]!!

وقد ذكر الشيخ يس السنهوتي أن الشيخ إسماعيل صقر هذا هو الذي سأل الشيخ الأشموني -في حياته- عن أولياء العصر الذين لهم همم نافعة، فأخذ يذكر له أسماء من يعرفهم واحداً تلو الآخر والشيخ الأشموني يعطي كلا منهم مرتبته: هذا طيب، وهذا يأتي منه، وهذا: لا، حتى وصل إلى فضيلة شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به فقال -وقد أمسك بيده مسكا قويا شأن الناصحين- «جودة طيب قوي قوي قوي.. نفع الله به المسلمين»[2].

١٢- ومن سواطع كرامات مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه الدالة على قوة كشفه ونفاذ بصيرته وعلو همته وزهده، أن معالي إبراهيم دسوقي باشا أباظة «١٢٩٩هـ - ١٣٧٢ هـ» الذي وَلِيَ الوزارة خمس مرات وكان من أعضاء مجلس النواب البارزين[3]: لما سمع بعلو مكانة سيدنا الشيخ جودة

١، ٢ - نفس المصدر: ص ٢٧٢.

٣- انظر ترجمته بالأعلام للزركلي ١ / ٣٨ (ط الرابعة).

ﷺ في الولاية وباجتذابه لآلاف المريدين لاسيما من مديرية الشرقية ومن قريته «كفر أباظة» قدم إلى الشيخ ﷺ في كوكبة من الأعيان ورجال الأمن فدخل على شيخناً رضوان الله عليه وهو في مجلسه مع مريديه وأتباعه، وأحدهم يطالع أمام الشيخ في أحد كتب التصوف، فتوقع الدسوقي باشا أن يهرع الشيخ إليه لدى دخوله لعلو منصبه.

ولكن الشيخ ﷺ ظل جالساً على هيئته، والجلال يعلو وجهه الشريف، فتقدم إليه الدسوقي باشا وسلم عليه وسلمه ظرفاً به مبلغ من المال، وفي نفس اللحظة دخل رجل فقير رث الحال مقبلاً على الشيخ ببكاء حاد، فأقبل عليه الشيخ وناوله الظرف المغلق الذي أعطاه إياه الدسوقي باشا، فتعجب الدسوقي باشا وقال في نفسه: إن الشيخ لا يعلم بالمبلغ الكبير الذي بالظرف!! فكاشفه سيدنا الشيخ جودة ﷺ قائلا: أعلم أن به سبعين جنيهاً، وهذا رجل نفقت دوابه البارحة وهي رأس ماله فهو أحق بهذا المبلغ!! فأذعن الدسوقي باشا والحاضرون لولاية شيخنا الشيخ جودة ولمكاشفته ورفيع همته.

١٣- ومن كرامات شيخنا المشرف بالوزارة المحمدية رضوان الله عليه، أن أحد أتباعه كان تاجراً مشهوراً من كبار تجار القطن، فحصلت له ضائقة مالية أودت برأس ماله في تجارته، فألهم أن يسافر إلى القاهرة لقضاء بضعة أيام في رحاب مولانا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين آمين، فأقام في «لوكاندة الرحمانية» وفي ذات يوم وبعد أن صلى الفجر بالروضة الحسينية الشريفة عاد إلى غرفته باللوكاندة، وبينما هو بين اليقظة والمنام: رأى هيئة محكمة ضخمة قضاتها ثلاثة:

مولانا الإمام الحسين رضوان الله عليه بالوسط وسيدي أحمد البدوي ﷺ عن يمينه ومولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره عن يساره، وقد أصدر مولانا الشيخ جودة ﷺ الحكم في القضية المعروضة بخصوص هذا الرجل بأن مشكلته سَتُحَلُ بعد شهر. وما إن مضى الشهر حتى فتح الله له أبواب رزقه العميم ليعود الرجل من كبار الأثرياء بفضل الله تعالى وبركة شيخه، ولا حرج على فضل الله!!.

١٤- **ومن كرامات مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه،** أنه عندما أراد السفر لأداء فريضة الحج في أحد الأعوام، حضرت جموع غفيرة من أتباعه ومريديه من سائر البلاد للتسليم عليه ومرافقته إلى ميناء السويس ولدى حلول موعد تحرك القطار من منيا القمح حضر وقت العصر، فأصر سيدنا الشيخ جودة ﷺ على أداة صلاة العصر لوقتها، فحصل للقطار عطل فلم يتحرك في موعده، فلما فرغ مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه من صلاته قام فركب القطار فانطلق من فوره كأن لم يكن به عطل أصلا وكأنما كان في انتظار ولي الله سيدنا الشيخ جودة ليقله وتحل به بركاته.

ولما ضاق القطار بأتباع شيخنا الشيخ جودة ﷺ ولم يسعهم لكثرتهم وشكوا إلى حضرته طالبين رفقته المباركة لدى قيام القطار به تبسم لهم، وإن هي إلا لحظات، وإذا بقطار يأتي على غير موعد متخذاً نفس المسار فيركب بقية الركاب ويلحقون بشيخنا الجليل رضوان الله عليه في مدينة السويس.

١٥- **ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة ﷺ وعنا به،** أن أحد مريديه الصادقين أراد أن يذهب لأداة فريضة الحج ولكنه كان يخشى من قطاع الطريق في

ذلك الوقت فأتى لمولانا الشيخ جـودة عليـه رضـوان الله مـستأذناً منـه وطالباً توجهه إلى الله تعالى لحفظه، فأذن له إذن التبرك واصطحبه معه في زيادة السيد أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وعنا به.

وأمام ضريحه المبارك خاطبه سيدنا الشيخ جودة: «إن فلانـاً يريـد الحج ويخشى الطريق فأوصيك به» فسمع صوت الإمام القطب البدوي من داخل الضريح يقول: مرحباً، مرحباً وحـج الرجـل وكانـت حجـة مأمونة مباركة بفضل الله تعالى وبركة باب النبي ووزير النبي ﷺ ورضي عنهما وعنا بهما في الدارين آمين!

١٦- ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به أيضاً، ما رواه صاحب «الأنوار القدسية» عن الشيخ فضل السنهوتي: أن أحد أصحابه دعا مولانا الشيخ جودة ﷺ إلى زيارتـه ببيتـه ليـشرفهم بنفحاته وبركاته. وكان بهذه البلدة ولي -من أربـاب الأحـوال- يُـسمى سعداً، فأوصى الشيخ فضلا إذا حـضر مولانـا الـشيخ جـودة عنـده أن يخبره، فلما حضر عنده شيخنا ﷺ تذكر وصية الشيخ سعد إلا أنه خـشى من حضوره لما أن شيخنا عليه الرضـوان متحقـق بالـشرع مـع الحقيقـة والشيخ سعد من أهل الجذب وغلبة الحال، فلم يستتم خـاطره إلا وقـد كاشفه سيدنا الشيخ جودة قائلاً: أرسل ركوبـة للـشيخ سـعد، فأرسـل الشيخ فضل رسولا ليحضر الـشيخ سـعداً بـدون ركوبـة، فلـما وصـل الرسول إلى الشيخ سعد غضب من الشيخ فضل، ورد الرسول قائلاً له: قل له: إن الأمر صادر بالركوبة!! -يشير إلى أمر شيخنا ﷺ- ولما أرسلت له الركوبة حضر وجلس إلى جانب الشيخ ﷺ بغاية الأدب، ولم يشرب الدخان

اعتاده احتراماً للشيخ وكأنه نسي حاله في حضرة الشيخ رضوان الله عليه، أو ذهب عنه حاله[1]!!

١٧- **ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به أيضا، أنه** سافر – وبصحبته خاصة من أهل بيته – لزيارة سيدي أحمد البدوي ﷺ وعنا به في مولده؛ فاشتاقت إحدى كريماته إلى زيارة سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله تعالى عنه وعنا به، فقال لها شيخنا عليه الرضوان: أن سيدي إبراهيم الدسوقي هنا مع أخيه السيد أحمد البدوي يشاركه الاحتفال بمولده!!

فأصرت كريمته على والدها الكريم بروح المحبة أن تزور معه القطب الدسوقي، فلبى شيخنا ﷺ مطلبها، بيد أنه لم يمكث بالمقام الدسوقي إلا وقتاً يسيراً وهم بالرجوع، فلما طلبت كريمته منه إطالة الزيارة قال لها: إن سيدي إبراهيم الدسوقي كان مع سيدي أحمد البدوي في مولده فلما علم بزيارتنا إليه جاء لملاقاتنا والترحيب بنا في مقامه فلا نريد أن نعطله عن أخيه أكثر من ذلك!! رضي الله عنك يا شيخنا الجليل وعن حبيبيك القطبين الأعظمين البدوي والدسوقي وعنا بكم جميعا وشملنا ببركاتكم في الدارين آمين.

١٨- **ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به، ما ذكره** صاحب «الأنوار القدسية» من أنه ذو تصريفات قلبية وعطفات جذبات حبية بحيث لو أحب جمع شخص عليه حضر بمشيئة الله لديه،

---

١ – انظر الأنوار القدسية للشيخ يس السنهوتي ص٢٧٠.

فمن ذلك أن أحد كبار أتباعه -وهو مولانا السيد: عليوة عطية- كان متتلمذاً لبعض الأشياخ أول أمره، وكان سالكا على يديه جملة من الطرق ومنها الخلوتية وقد أعطاه الإجازة وأذن له بتلقين المريدين.

وفي ذات ليلة رأت والدته في منامها -وكانت من الصالحات العابدات- أن الملك قد أخذ ابنها، فحصل لها من ذلك خوف شديد إذ لم تعلم من هذا الملك؟ ولم أخذ ابنها؟

وفي صبيحة اليوم التالي: أحس مولانا الحاج عليوة بحب جارف واشتياق متأجج للقاء مولانا الشيخ جودة قدس الله سره، فهرع إلى ساحته وتلقى عنه النسبة النقشبندية الشريفة وصار من خاصة الأتباع الكُمَّل العظام[1]

١٩- ومن سواطع كرامات سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به، ما حدثني به مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما، أن أحد مريدي مولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى -ويدعى الشيخ عبدالتواب من قرية «شبرا قمص» مركز منيا القمح- كان شيخنا الأكبر في ضيافته ببيته بالبلدة المذكورة، فاختلى عنده، وأمر بغلق باب خلوته عليه بحيث لا يدخل عليه أحد إلا بعد صدور الإذن له بالدخول، فنسي الشيخ عبد التواب ذلك، وقصد إدخال ماء الوضوء لسيدنا الشيخ جودة ﷺ بخلوته قبل الفجر، فلما فتح الحجرة التي اختلى بها شيخنا عليه الرضوان: لم يجد سقف الحجرة ولم يجد الشيخ بها أصلاً مع أنه هو الذي أغلق الباب عليه من الخارج!! فتذكر تنبيه الشيخ عليه بعدم الدخول

---

١ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس إبراهيم حليحل السنهوتي رحمه الله ص٢٧٠.

دون إذن فخرج مسرعاً، وبعد قليل: أستأذن مولانا الشيخ جـودة ﷺ في الدخول، فأذن له، فدخل، فوجده والحجرة على ما كانت عليه.

٢٠- **ومن بواهر كرامات مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه الدالة على تحقق حضرته بمقام الفردانية الذي ناله بعد القطبية الغوثية:** ما سمعته من أحد خُلَّص أتباع شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه وهـو الحـاج أحمد سلامة من تفهنا العزب[1].

أن سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه كان في بعـض سـياحاته بموكبه النوراني للدعوة إلى الله تعالى وتربية مريديه، فكان مستقلا سيارة يرافقه بها خواص أتباعه، وفجأة أثناء سير السيارة تراءى بالطريق شـيخ مهيب بمكان قفر من السكان فأشار لقائد السـيارة بـالتوقف فـأذن لـه شيخنا ﷺ بالوقوف فركب ذلك الشيخ إلى جوار مولانـا الـشيخ جـوده ﷺ وغشيه النعاس وهو جـالس فأسـند رأسـه عـلى كتـف شـيخنا ﷺ، فأشفق الركب على شيخنا لما كـان عليـه مـن لطـف الكثافـة الجسمانية لاستغراقه في العبادة، فهَمُّوا بإيقاظ ذلك الـشيخ الغريـب ليرفـع رأسـه عن كتف الشيخ، لكن مولانا الـشيخ جـودة قـال لهـم: دعـوه. وفجـأة استيقظ ذلك الشيخ وطلب النزول في الخلاء، فتوقفت الـسيارة، ونـزل فسأل بعـض الموجـودين سـيدنا الـشيخ جـودة ﷺ عـن ذلـك الـشيخ الغريب، فقال لهم: إنه القطب الغوث!!

---

١ - كان سماعي لهذه المنقبة الجودية الشريفة لدي صحبتي لفضيلة والدي سيدي محمد أبي اليزيـد رضي الله تعـالى عنه وعنا به للزيارة السنوية للقطب الكبير سيدي داود العزب ﷺ وعنا به في الدارين آمين، ببلدة تفهنا العزب غربية في العقد الأخير من القرن الهجري الرابع عشر.

وعلى إثر سماعي لهذه الواقعة حادثت والدي ﷺ متسائلاً: أيهما يضع رأسه على كتف الآخر؟ الابن على كتف أبيه أم العكس؟ فأشار إلى الأول، لما أن وقار الأبوة يمنع من أن ينام الأب على كتف ابنه، ثم إن الأكابر نومهم يقظة، فضلاً عما تشير إليه الواقعة من أن شيخنا عليه الرضوان كان سنداً للغوث في عصره.

ومما يؤكد حقيقة الترقي عن القطبية إلى مقام «الأفراد» ما ذكره قطب العارفين سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه وعنا به في ترجمة حضرة سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به من طبقاته الكبرى إذ قال: «وقال له شخص من تلامذته: يا سيدي أنت القطب؟ فقال نزه شيخك عن القطبية. فقال له: وأنت الغوث؟ فقال: نزه شيخك عن الغوثية. قلت[1]: وفي هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار، لأن القطبية والغوثية مقام معلوم، ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له في كل مقام مقام!!»[2].

وفي مصطلح «الأفراد» عند الصوفية يقول شيخنا سيدي أحمد ضياء الدين رضي الله تعالى عنه وعنا به: «الأفراد: هم الرجال الخارجون عن نظر القطب!!»[3].

٢١- ومن كرامات مولانا الشيخ جودة رضي الله عنه: أن أحد مريديه -وهو الشيخ محمود أبو العينين من الولجا مركز منيا القمح- ظل يطلب العلم بالأزهر الشريف أربعين عاما بالقسم العام، لكنه كان يخشى أن يتقدم

---

١ - القائل هنا: هو الإمام الشعراني قدس الله سره، تعقيبا على إجابة سيدي أحمد الرفاعي رضوان الله عليه.

٢ - الطبقات الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وعنا به ١/ ١٢٣ ط: الشرفية.

٣ - متممات جامع الأصول ص٥٥ وانظر كتاب الاصطلاحات للكاشاني بهامش منازل السائرين ص٩٠، ط/ طهران.

للامتحان الرسمي فيرسب، وظل متردداً بين التقدم وعدمه عامين، وفي العام الثالث وبينما كان يجلس في صحن الجامع الأزهر الشريف:

تذكر شيخه سيدنا الشيخ جودة ﷺ فاستحضره أمام عين قلبه وخاطبه قائلاً: أنا خادمك، ووالدي من قبلي، أفلا أجرؤ على دخول الامتحان ولو مع الرسوب؟! وقرأ الفاتحة، وأقسم بالله عز وجل أنه رأى سيدنا الشيخ جودة عيانا -وهو بمنيا القمح- فقال له: يا محمود لا تخف، أنت عالم، فدخل الامتحان ذلك العام، فكان ترتيبه الأول على خريجي الأزهر الشريف[1].

٢٢- **ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به:** حمايته لمريده الصادق من المهالك والأخطار ورعايته لهم وهم في شتى البلاد والأقطار فمن ذلك ما حدثني به مولانا الشيخ عيسى جوده رضي الله تعالى عنهما وعنا بهما من أن الحاج عبد الرحمن نصير -جد وزير العدل الأسبق السيد محمد نصير- وكان من أخلص أتباع شيخنا الأكبر رضوان الله عليه، كان يحج في أحد الأعوام واصطحب معه جواداً جيداً إلى الأراضي الحجازية، وبينما هو ممتط صهوة جواده في الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، إذ به يرى عيانا سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أمامه في عرض الطريق -مع أنه كان بمنيا القمح- يقول له: ارجع أمامك خطر!!

فامتثل الحاج عبد الرحمن أمر شيخنا ﷺ في اللحظة، ولدى رجوعه اكتشف أن قطاع الطريق كانوا متربصين له في تلك الساعة بهذا المكان خفية ولولا تنبيه شيخه له عليه الرضوان لحاق به المكروه.

---

١ - حكى لي هذه الكرامة صهر مولانا الشيخ جودة ﷺ: الحاج السيد أحمد عفيفي بمنزله بمنيا القمح.

ولعل ذلك كان بليل أو بمنعطف في الطريق قبل أن يؤمن سبيل الحجاج، وبعد النجاة عاود السير مع الجماعة في أمان الله.

٢٣- **ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أيضاً**: ما حدثني به مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وعنا بهما أن رجلين من بلدة «مشتول القاضي» القريبة من الزقازيق قدما لزيارة سيدنا الشيخ جودة ﷺ بمنيا القمح فوصلا إلى الساحة الجودية بعد انتهاء وقت الزيارة العامة للشيخ -من الظهر إلى العصر- فلما طلبا من القائمين بأمر الخدمة لقاء الشيخ رضوان الله عليه، ولم يؤذن لهما، قال أحدهما للآخر: إن كان في هذا الشيخ بركة حقاً فليطلبنا باسمينا لملاقاته، فإذا بالخادم الخصوصي للشيخ ﷺ -وهو الشيخ محمد أبو سليمان يأتي مسرعا من عند سيدنا الشيخ جودة من داخل الخلوة ويقول: إن سيدنا الشيخ جودة قد أمرني بإدخال فلان وفلان- باسمي الرجلين ذاتهما - من مشتول القاضي- إلى الخلوة، فدخلا إلى الحضرة الجودية وأخذا العهد النقشبندي من وزير النبي ﷺ، ثم قال أحدهما لشيخنا الأكبر ﷺ: إني سأحج هذا العام إن شاء الله تعالى، فقال له سيدنا الشيخ جودة ﷺ: «اذكرني هناك»، فلما كان هذا الرجل بالأراضي الحجازية المقدسة، وبينما كان يطوف بالكعبة المشرفة إذا به يرى سيدنا الشيخ جودة أمامه بالمطاف عياناً ووضع يده على كتفه قائلاً على سبيل التذكير «ألم أقل لك: اذكرني هناك»؟؟ هذا، وسيدنا الشيخ جودة بمنيا القمح مع أبنائه ومريديه ﷺ[1].

---

١ - حكى لي مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما هذه الكرامة وأملاها على لإثباتها في هذا الكتاب بمنزلنا الجودي الأحمدي بطنطا في الثالث والعشرين من رمضان المعظم ١٤٠٩هـ.

٢٤- **ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أيضاً:** ما ذكره صاحب «الأنوار القدسية» أن مولانا الحاج عليوة عطية أحد كبار أتباع الشيخ قدس الله سره: قال: كنت ذات ليلة في لذة المنام غير دارٍ بنوايا الأيام إذ جاء قرة عيني وسيدي ومولاي الشيخ جودة وأيقظني من مرقدي وقال: إن جماعة من اللصوص جاءوا لسرقة بيتكم على الخصوص، وهم الآن داخلون من النافذة وعلى الجدار فقم وانتبه يا بني لحراسة الدار، فقمت مسرعاً لأمره، فإذا هم به كإخباره، فلما رأوني فروا، وكلهم خابوا وخسروا، وأصابهم جميعا الردى، وما أحد منهم نجا!![1].

٢٥- **ومن كراماته أيضاً** ما ذكره الشيخ يس السنهوتي نقلاً عن أحد أتباع الشيخ رضوان الله عليه، أنه كان بصحبة مولانا الشيخ جودة ﷺ وعنا به في سفره وكان يركب دابة بطيئة بينما كانت ركوبة شيخنا ﷺ مجدة مسرعة، فكان يجهد دابته ويخذها سراً ليكون على مقربة من شيخنا عليه الرضوان، ثم قال في نفسه: يا هذا لعلك مؤاخذ بذلك، ولعل فضيلة الشيخ مطلع -بالكشف- على حقيقة أمرك!

فكاشفه في الحال مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به، وقال له: «إن مولانا أبا سليمان الداراني كان راكباً حماراً فضربه، فقال له الحمار: يا أبا سليمان، القصاص غداً فإن شئت أقلل، وإن شئت أكثر!!»[2].

٢٦- ومن كرامات مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره الكريم، ما حدثني به شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وعنا بهما في

---

١ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس بن إبراهيم السنهوتي ص ٢٦٩.

٢ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس بن إبراهيم السنهوتي ص٢٧١.

الدارين، أن الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر الشريف - وكان من أحباب سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله- قد دعا شيخنا الأكبر لزيارته في منزله، وعند وصول سيدنا الشيخ جودة إلى منزله إذا بالخديوي عباس حلمي الثاني يطلب الشيخ حسونة للقائه، وأثناء لقائه طلب منه أن يدله على ولي يدعو الله له أن ينقذه من اضطهاد الإنجليز المستعمرين، فدله على مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه.

فأرسل الخديوي معه أحد كبار خاصته ليحضر إليه شيخنا الشيخ جودة، فما كان من مولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله إلا أن أخبر الشيخ حسونة ومن حضر من قِبَل الخديوي: «إن قضاء الله نافذ»!! ولم يجب مطلب الخديوي بمكاشفته بانتهاء أمره، فكان الأمر كما أشار شيخنا ﷺ[1].

٢٧- ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به المتعلقة بتسخير قلوب الحكام لحضرته - ما حدثني به نجله وخليفته المكرم مولانا الشيخ عيسي رضوان الله عليهما، أنه كان مدعواً لزيارة الإخوان النقشبندية بقرية «سندنهور» التي تتبع مركز «بلبيس» بالشرقية وذلك أثناء حياة شيخنا الأكبر ﷺ، فطلب منه مدير تفتيش «الفاروقية» التابع للخاصة الملكية: أن يكلم أتباع سيدنا الشيخ جودة ﷺ في هذا البلد للموافقة على بيع أراضيهم المجاورة لتفتيش الفاروقية لأنهم رافضون للبيع بإصرار رغم أن رجال الخاصة قد قاموا بتبوير أراضي الأهالي ليكرهوهم على بيعها للملك، ولم يزدهم ذلك إلا إصراراً على الرفض،

---

١ - حدثني شيخنا الشيخ عيسى جودة بهذه الواقعة لدى تشريفه منزلنا الجودي الأحمدي في الثالث والعشرين من رمضان المعظم ١٠٤٩هـ.

وكان جواب مولانا الشيخ عيسى لمدير التفتيش حينذاك: إنه لا يستطيع أمرهم بالبيع إلا بإذن مولانا الشيخ جودة نفسه ﷺ.

فاتصل مدير التفتيش بالملك فؤاد أمام سيدنا الشيخ عيسى ليطلعه على الموقف، فأمره الملك بالذهاب مع سيدنا الشيخ عيسى إلى مولانا الشيخ جودة ﷺ ليبلغه تحايا الملك ويرجوه أن يأمر أتباعه ببيع الأرض المجاورة لأرض الخاصة الملكية لمصلحة تقتضي ذلك وذلك، بالثمن الذي يرضى الشيخ به وبالشروط التي يمليها!!.

فما كان من شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه إلا أن قال: «ولماذا يظلمهم الملك»؟؟ ثم التفت إلى مولانا الشيخ عيسى وأمره بإحضار ذوي الخبرة في الأراضي والمحاصيل الزراعية لتقدير قيمة خسائر تبوير أراضي أتباعه ليعوضهم الملك عنها أولاً، ثم إذا أراد الملك ضم الأراضي المجاورة لخاصته في ناحية ما فعليه أن يُمَلِّكَ أصحابها بدلا عنها أرضاً أخرى مع دفع مقابل فرق القيمة والنوعية بين الأرضيين، ثم ليعين أبناءهم العاطلين بالخاصة الملكية!

واستجاب الملك فؤاد لكل ما اقترحه مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان وفضلاً عن ذلك: أمر بإحياء ليلة سنويا بهذه البلدة على نفقة الخاصة الملكية تكريماً لمولانا الشيخ جودة وأتباعه رضي الله تعالى عنه.

٢٨- ومن الكرامات الدالة على قوة الاتصال الروحي لشيخنا الشيخ جودة ﷺ بسيدي أحمد البدوي رضوان الله عليه، ما حدثني به الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم الدسوقي المكاوي أحد خواص أتباع شيخنا ﷺ ومن كبار العلماء وكان زميلا له في الأزهر الشريف:

إذ حكي الحاج أحمد المكاوي وهو من العلماء أيضا أن والده الشيخ إبراهيم الدسوقي كان بصحبة مولانا الشيخ جودة ﷺ في زيارة لسيدي أحمد البدوي ﷺ وعنا به. فلما دخلا ضريح القطب البدوي أعطى سيدنا الشيخ جودة للشيخ إبراهيم الدسوقي المكاوي ذكراً معيناً وأمره أن يذكر به تحت القبة الأحمدية، فأخذ يذكر بهذا الذكر حتى صار في عالم المثال فرأى بعينيه سيدي أحمد البدوي ﷺ يخرج من المقصورة الأحمدية مستقبلاً سيدنا الشيخ جودة مرحباً به وقال له: «هذه المقصورة لك يا شيخ جودة» على حد ما نقول نحن بالعامية: «آدى البلد لك يا فلان» عند نية مغادرتها، ثم خرج سيدي أحمد قدس الله سره من المقام ودخل سيدنا الشيخ جودة وأغلقت عليه مقصورة باب النبي ﷺ لتضم وزير النبي ﷺ إلى حين يعود إلى البيت صاحبه رضي الله عنهما وعنا بهما في الدارين آمين.

٢٩- **ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة ﷺ** التي هي من قبيل مكاشفته بأرباب الأحوال ما حكاه لي الشيخ أحمد المكاوي السالف الذكر رحمه الله تعالى: أن والده كان بصحبة سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه لزيارة الأولياء والصالحين بالقاهرة، فدخلا منطقة القرافة لزيارة الأولياء المدفونين بها فأحس الشيخ الدسوقي المكاوي بعطش شديد، وفجأة رأى أمامه رجلاً غريب الهيئة يحمل سقاء من الفخار فأقبل عليه ليسقيه، وإذا بسيدنا الشيخ جودة ﷺ يمنعه قائلاً: لا تشرب منه فإنه مملوء «حملا»[1] فامتنع عنه ولم ينطق ذلك الغريب بأدنى كلمة اعتراض على شيخنا ﷺ وولى منصرفا!!

---

١ - الحمل- بوزن الهمم: جمع حملة، وهي البلية التي يبتلى بها المرء من مرض أو فقر أو زوال نعمة أو حلول مكروه، وقد تكون بتصرف أهل التصريف من أولياء الله على سبيل التسبب والكل بخلق الله وتقديره جل شأنه.

٣٠- ومن الكرامات ما حكاه لنا مولانا الشيخ عيسى من أن أحد القضاه بالمحاكم الشرعية – وهو علي بك نجل الشيخ محمد شاكر الذي كان وكيلا للأزهر ومن أعضاء هيئة كبار العلماء – قد سمع بمكانة سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى، فتشوق لزيارته، فقرأ الفاتحة ذات ليلة قبيل نومه وأهداها إلى مولانا الشيخ جودة فرآه في نفس الليلة في منامه.

وقال له: «ستكون عندنا بمنيا القمح قاضياً شرعياً» وتحققت رؤيا الشيخ، فنقل ذلك القاضي إلى محكمة منيا القمح ولدى مثوله أمام الروضة الجودية أنشأ هذه الأبيات: -

يا شيخ جودة إنني	ضيف وضيفك لا يضام
عهد الكريم إذا أتاه	الضيف هل بابتسام
والله يرضى عنك في	خلد ونعم هو المقام

وقد علقت هذه الأبيات مدة طويلة بضريح مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به.

٣١- ومن الكرامات الدالة على سمو مقام شيخنا الشيخ جودة ﷺ عند سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين وقوة الصلة بينهما: أنه تقدم لخطبة صغرى كريمات سيدنا الشيخ جودة ﷺ في العام الأخير من عمره المبارك عدد كبير من أتباعه ومريديه وغيرهم فكان منهم الحاج السيد أحمد عفيفي – من قرية الوجا -مركز منيا القمح- الذي أرسل رسولاً ليعرف مدى قبوله لشرف المصاهرة، فكان جواب شيخنا رضوان الله عليه أن سكت.

ثم قال: «جايز ولكنها لا تزال صغيرة»، ففهم من ذلك الرد: المنع بتلطف: ثم بعد انتقال مولانا الشيخ جودة ﷺ إلى جوار ربه بنحو عام استشرف ذلك الخاطب إلى معاودة الطلب لكنه فوجيء بنبأ خطبتها لابن خالتها وتحديد موعد القِران، فاغتم لذلك غماً شديداً وبات كسيف البال».

وإذا به في ليلة يرى من منامه مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه جالساً مع حبه في الله تعالى سيدي أحمد البدوي ﷺ وعنا به فتناولا موضوع خطبة الكريمة الجودية للحاج السيد أحمد عفيفي. فقال مولانا السيد أحمد البدوي لشيخنا الشيخ جودة عليهما الرضوان «فلتزوجها له يا سيدنا الشيخ»[1]. فرد مولانا الشيخ جودة بقوله «وماله، جايز» فقام الرائي متعجباً ومتسائلاً: كيف يتم ذلك بعد خطبتها للغير؟

وإذا بالرسول الذي بعث به لطلب الخطبة من قبل يأتيه -من قِبَل نفسه دون معاودة طلب- بنبأ انفصام الخطبة الأولى وبموافقة مولانا الشيخ عيسى على مصاهرة الحاج السيد أحمد وبطلبه لإتمام الزواج، فكان بحمد الله تعالى.

والشيء الملفت للنظر حقاً في هذه الرؤيا المحققة: هو مخاطبة قطب الأقطاب مولانا السيد البدوي لشيخنا الشيخ جودة عليهما الرضوان بقوله «يا سيدنا الشيخ، إنه الحب في الله تعالى وإنه لتواضع العظماء ولا عجب فهما فرعان في الدوحة النبوية».

٣٢- ومن كرامات شيخنا الشيخ جودة عليه رضوان الله: أن مرسي باشا فرحات الذي كان وزيراً للتموين قد استضاف سيدنا الشيخ جودة

---

١ - نص العبارة بالعامية «متديها له يا سيدنا الشيخ، وقد حكيناها أعلاه بالمعنى».

وخاصته ببلدته «الحميدية» مركز منيا القمح فحدث أن غلاما من أسرته قد تسلق شجرة عالية، فسقط من أعلاها على أرض صلبة ففقد النطق فحضر إليه طبيب المركز فأخبر أنه في حالة احتضار، فلما وصل سيدنا الشيخ جودة البلدة حمل إليه الغلام فمسح بيده الشريفة رأس الغلام فانتفض صحيحا كأنما نشط من عقال[1]. **أقول**: وهذه الكرامة تشبه إلى حد كبير كرامة إحياء الموتى على يدي شيخنا بإذن الله تعالى كما مر في الكرامات أولها.

٣٣- ومن كرامات مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه عنا به: ما حدث عند وفاته ودفنه من اجتماع الحشود من أحبابه على غير ميعاد لحضور انتقاله إلى الرفيق الأعلى وشهودهم طيران النعش بجسمانه الشريف إلى ضريحه المبارك وغير ذلك. وذلك أنه في ضحى يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة ١٢٤٦هـ كانت الروح الشريفة على ميعاد للقائها بالرفيق الأعلى، فصعدت إلى بارئها وهو يتلو كتاب الله تعالى، فلما دخل عليه سيدنا الشيخ عيسى بعد الوفاة وقلبه يتفطر من حزن الفراق، إذا بسيدنا الشيخ جودة ينظر إليه مبتسماً ومطمئناً له رضي الله عنهما!!

وبينما خواص أبنائه يجهزون أمر الغسل ونحوه جلس إلى جوار شيخنا ﷺ والدي سيدي محمد أبو اليزيد رضوان الله عليه يقرأ القرآن الكريم في استغراق روحي عظيم، وإذا بالآلاف المؤلفة تهرع إلى الساحة الجودية على غير موعد ولا علم بانتقال الشيخ قدس الله سره، ورغم توقف حركة المواصلات ووسائل الإعلام في هذا اليوم المهيب.

---

١ - حدثني بهذه الكرامة شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما أثناء تشريفه منزلنا الجودي الأحمدي في الثالث من شوال ١٤٠٩هـ.

فهرعت الحشود يتقدمهم مدير الأمن والحكمدار والمأمور، وأعدوا خطة لنقل الشيخ بمباشرتهم وسط صفين من الجنود من بيت الشيخ إلى ضريحه، لكنهم لم يقدروا على تنفيذها من شدة الزحام، وجاء خواص أبنائه ومريديه فحملوا النعش ومعهم بعض الضباط، وإذا بالنعش يرتفع بالشيخ وبحامليه قدر مترين، فارتفعت أقدامهم عن الأرض وصاروا متعلقين بالنعش وصار هو الذي يوجههم، فاتجه بهم أولا إلى غير جهة الضريح نحو البلدة حتى صرف الجمهور المحتشد أمام الضريح عنه ليخلو طريق الضريح من الزحام ثم فجأة يتحول النعش بهم مسرعا إلى الضريح وسط ذهول الجميع ليستقر بمثواه الأخير، وليتولي دفنه خاصة أبنائه وفي مقدمتهم مولانا الشيخ عيسي والشيخ إبراهيم الدسوقي المكاوي والشيخ على الملاوي -من العلماء- والشيخ فضل مقلد وغيرهم، فدفن في مقامه الحالي الملحق بمسجده الذي شيده في حياته ﷺ بمدينة منيا القمح التي تحولت بوجود سيدنا الشيخ جودة من بلدة صغيرة إلى أكبر مركز بمحافظة الشرقية. ﷺ[1].

٣٤- ومن الكرامات أيضا ما حدث بعد انتقال شيخنا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى بخصوص تجديد المقام الجودي الشريف: أنه جاء أحد المريدين المقربين إلى مولانا الشيخ عيسى جودة عليهما الرضوان وقال له: إنه رأى سيدنا الشيخ جودة ﷺ في المنام وقال له:

قل لابني عيسى أن يجعل المقام الجديد من الداخل ستة أمتار إلا ثلث متر طولاً في مثلها عرضا، وأن يكون هلال المقام من نحاس بارتفاع ثلاثة أمتار إلا ثلث متر.

---

١ - نفس المصدر في ذات التاريخ والمكان.

فانتظر الجميع كيفية تحقق ذلك متوقعين حدوث كرامة، وإذا بكبير مهندسي السكة الحديد بالزقازيق يأتي ذات يوم إلى شيخنا الشيخ عيسى ويخبره أنه رأى مولانا الشيخ جودة في رؤيا منامية، وكلفه فيها بالحضور لتصميم وتنفيذ بناء المقام الجودي الجديد.

وتتحقق الكرامة الجودية بأن يصمم المهندس من تلقاء نفسه الرسم الهندسي للمقام بنفس المقاييس التي أمر بها سيدنا الشيخ جودة نجله مولانا الشيخ عيسى من قبل وهي ستة أمتار إلا ثلث في مثلها، وهو رقم غير معتاد ليتحراه مهندس في مثل هذا التصميم!!

ثم عند عمل الهلال للمقام: كلف سيدنا الشيخ عيسى أحد كبار تجار النحاس بعمل هلال مناسب، فأخبره بأن أكبر هلال يقوم بعمله ارتفاعه متران ونصف، وهو دون ما أمر به سيدنا الشيخ جودة، فلما أتم صنعه قاسوه فوجدوه قد استطال إلى ثلاثة أمتار إلا الثلث كما أمر الشيخ الأكبر تماما، ولم يدر صانعه كيف زاد منه عن الارتفاع المعتاد!

ثم عند الاحتفال بتركيب الهلال بالمقام: أقام شيخنا الشيخ عيسي مأدبة طعام تكفي الحضور من الغرباء، ففوجئ عند تقديم الطعام بحشود من الأضياف لم يكونوا في الحسبان فإذا بالطعام يكثر بقدرة الله تعالى وببركة الشيخ عليه الرضوان فيكفي جمهور الحاضرين ويفيض عنهم لغيرهم. فكان ذلك من كرامات وزير النبي ﷺ[1].

٣٥- كرامة تسخير القلوب لتذليل الصعاب لإقامة المولد الجودي الشريف

حدثني سيدنا الشيخ عيسى أنه بعد انتقال مولانا الشيخ جودة عليهما

---

١ - نفس المصدر السابق في الزمان والمكان المذكورين.

الرضوان: جاء إليه -في اليوم الرابع بعد الانتقال- محمد باشا أباظة[1] وطلب منه -بوصفه من كبار أتباع سيدنا الشيخ جودة ﷺ- أن يسعى معه في إجراءات عمل المولد السنوي لمولانا الشيخ جودة، فقام معه بتقديم الطلب الرسمي ومباشرة الإجراءات.

وعند أخذ موافقة مدير المديرية -وكان آنذاك هو إسماعيل باشا رمزي- وافق على أن تكون مدة الاحتفال بالمواد ثلاثة أيام بدلاً من أسبوع. وقد تعسف في ذلك، لخلاف حزبي بينه -بوصفه وفديا- وبين محمد باشا أباظة الذي كان دستوريا.

وعندئذ: توجه سيدنا الشيخ عيسى إلى حضرة والده الأمجد قدس الله سره لتذليل العقبات، وببركة الشيخ رضوان الله عليه: حضر في الحال: علي باشا الشمسي وزير المالية في وزارة الوفد وهو الذي عين إسماعيل رمزي مديراً للشرقية آنذاك – فحدثه سيدنا الشيخ عيسى في الأمر، فوجه الأمر على الفور إلى مدير الشرقية لتنفيذ طلب الشيخ فعدل الموافقة على مدة المولد الجودي على أن يكون سبعة أيام كما طلب الشيخ.

ثم عند وصول الأوراق إلى وزارة الداخلية بالقاهرة: تعطلت بقية الإجراءات لتغيب وكيل وزارة الصحة ومعه مدير الأمن بالإسكندرية، فتوجه مولانا الشيخ عيسى مرة أخرى إلى مولانا الشيخ جودة قدس الله سره، فذللت هذه العقبة بأن اعتمدت موافقة وكيل وزارة الداخلية آنذاك بدلاً من المختصين المتغيبين.

---

١ - هو كبير الأسرة الأباظية بالشرقية، ووالد الشاعر عزيز أباظة وأحمد بك أباظة والسيد المهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء الحالي.

ثم اقترح محمد باشا أباظة على مولانا الشيخ عيسى أن يتصل بالسيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية وقتئذ للموافقة النهائية على إقامة المولد.

ولما كان مولانا الشيخ عيسى في طريقه إلى الإسكندرية للقاء السيد البكري: توجه عند طنطا إلى مقام سيدي أحمد البدوي ﷺ متوسلاً به إلى الله تعالى لتيسير المطلوب. فتذكر حينئذ كرامة سيدنا الشيخ جودة ﷺ مع الشيخ محمد الأحمدي الظواهري إذ جاءه متوسلاً به إلى الله تعالى ليعود شيخا لمعهد طنطا بعد نقله منه إلى أسيوط فبشره بالعودة وبالترقي لمشيخة الأزهر، فألهم مولانا الشيخ عيسى عندئذ أن يلتقي بالشيخ الأحمدي الظواهري وكان شيخ الأزهر حينئذ– ليقابل معه السيد عبد الحميد البكري لإتمام إجراءات المولد، فقابله. وفي الطريق إلى السيد البكري قال الشيخ الأحمدي لمولانا الشيخ عيسى إن الشيخ البكري سيطلب منك ضم الطريقة النقشبندية الجودية إلى المشيخه العامة وتعيينك من قبله شيخا لها. وهذا خلاف ما وصي به سيدنا الشيخ جودة ﷺ فلا توافقه معه في ذلك.

فلما وصلا إلى السيد البكري تلقاهما بالترحاب، وطلب فعلا من سيدنا الشيخ عيسى ضم الطريقة إلى المشيخة، فقال له: إن فضيلة والدي ﷺ لم يقبل ضم الطريقة في حياته فأنا لا أخالفه بعد انتقاله، فما كان من الشيخ عبد الحميد البكري إلا أن قال: «إن سيدنا جودة يعتبر شيخي وشيخ مشايخ الطرق الصوفية جميعا، وسأوافق على عمل المولد دون ضم الطريقة بصفة استثنائية إكراما لسيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه».

ثم حدد الشيخ البكري موعداً للاجتماع بالقاهرة حيث ينعقد المجلس الصوفي للموافقة النهائية، فلما كان سيدنا الشيخ عيسى بالقاهرة ومعه الشيخ الحسيني الظواهري: التقيا في مقام سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا به بالشيخ محمد النجدي سالم -الملقب بالشافعي الصغير- فصحبهما إلى مقر المشيخة العامة بسراي الخرنفش، وتمت هنالك الموافقة على إقامة المولد الجودي السنوي بحمد الله تعالى، فقال الشيخ النجدي شيخ الشافعية للسيد عبد الحميد البكري: «إن ما فعلته بخصوص مولد سيدنا الشيخ جودة هو أقل ما يجب، وإننا نتبرك بنعاله ﷺ»[1]. حقا: إنما يعرف الفضل من الناس ذووه!

٣٦- كرامة تنازل سيدي أحمد البدوي لسيدنا الشيخ جودة رضي الله عنهما عن مولده الصغير حباً فيه وكرامة له: حدثني مولانا الشيخ عيسى رضي الله عنهما وعنا بهما: أنه كان لسيدي أحمد البدوي عليه رضوان الله تعالى ثلاثة موالد في العام هي: المولد الكبير والرجبي، والصغير، فصادف في إحدى السنين أن وافق ميقات المولد الجودي السنوي موعد المولد الأحمدي الصغير، فسعى سيدنا الشيخ عيسى لتعديل موعد المولد الأحمدي الصغير، نظرا لأن المولد الجودي كان يقام بأرض مملوكة للغير ومؤجرة للغير أيضا فلا يتيسر إخلاؤها لإقامة الاحتفال بالمولد إلا في هذا الموعد المحدد بعد جني محصول القمح، فاتصل سيدنا الشيخ عيسى بالخلفاء الأحمدية لمحاولة تعديل موعد المولد الأحمدي الصغير، لكن ذلك لم يتيسر، فتوجه إلى ضريح سيدي أحمد البدوي عليه رضوان الله تعالى متوسلاً إلى الله عز وجل لحل هذه المشكلة.

---

١ - عن لسان مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما الذي روى لي الواقعة بأسرها في الثالث من شوال ١٤٠٩ بمنزلنا الجودي الأحمدي بطنطا.

وبعد عودته إلى منيا القمح أتى إليه أحد مريدي سيدي أحمد البدوي ﷺ -وكان من أحباب سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله- فأخبر سيدنا الشيخ عيسى بأن سيدي أحمد البدوي ﷺ جاءه في المنام وقال له: «أبلغ الشيخ عيسى أني تنازلت عن مولدي الصغير للشيخ جودة»!!

ولم تمض أيام قلائل حتى نشر بالجرائد الرسمية: أنه قد اكتفي بعمل مولدين لسيدي أحمد البدوي ﷺ، هما: الكبير والرجبي فقط، فكان ذلك كرامة ظاهرة لباب النبي ووزير النبي ﷺ ورضي عنهما وعنا بهما في الدارين.

٣٧- ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه، ما حدثني به مولانا الشيخ عيسى أيضاً من أنه كان من عادته فتح صندوق النذور الكائن بالضريح الجودي، والذي ينفق منه على شئون المسجد الجودي -حيث أنه مسجد أهلي غير تابع لوزارة الأوقاف- وذلك يوم الجمعة الأخيرة من أسبوع المولد كل عام.

وفي أحد الأعوام كان سيدنا الشيخ عيسى في هذا اليوم مسافراً للعزاء في وفاة عمدة كفر بدرن بالشرقية، فدخل إلى الضريح لص وكسر أقفال الصندوق وأخذ نقود النذور ملتفة بقطعة من القماش ووضعها تحت إبطه وخرج إلى المسجد فأخفاها في مكان منه بجوار دورات المياه، فلما حضر سيدنا الشيخ عيسى ودخل الضريح وجد الصندوق مفتوحاً مسروقاً؛ فأمر خدام المسجد بالبحث عن اللص والنقود، فوجدوه بالمصلى حائراً خائفاً فأظهر المسروق وطلب العفو عنه؛ فلما استجوبه مولانا الشيخ عيسى قال:

لقد غرر بي أحد الأشرار وأغراني بالسرقة؛ فلما كسرت الصندوق وأخذت النقود وأردت الخروج بها من المسجد، كنت كلما توجهت إلى أي باب من أبوابه وجدته مغلقا في وجهي مع أنني أرى الناس يدخلون ويخرجون من الأبواب أمامي كالمعتاد، فأدركت أنني حبست في المسجد فوقفت حائراً إلى أن حضر الشيخ عيسى!!

٣٨- **ومن الكرامات:** ما حكاه لنا مولانا الشيخ عيسى جودة عليهما الرضوان من أن أحد أحفاد الشيخ عبد العزيز الساعاتي الذي له مقام ببلدة «الإخيوة» بمركز فاقوس شرقية قرر له الأطباء إجراء عملية جراحية كبري خشي منها على حياته وقبيل الموعد ذات ليلة دخلت عليه أمه وقالت له: اقرأ الفاتحة لولي الله الشيخ جودة، ففعل ذلك ونام. فرأى في منامه سيدنا الشيخ جودة جاءه وقام بإجراء العملية له على أكمل وجه، فأصبح متعجبا لما رأى ولزوال الألم؛ فذهب إلى الطبيب الذي قرر له العملية مستكشفا حقيقة الأمر، فإذا بالطبيب يقول له: من أجرى لك العملية؟ ومتى أجريت؟ لقد تمت بنجاح، فلم يدر كيف يجيبه؟؟

٣٩- ومن الكرامات أيضاً: ما ذكره شيخنا الشيخ عيسى عليه الرضوان أن أحد المحبين لسيدنا جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به وهو الحاج عبد العزيز المنشاوي -وكان من كبار المقاولين- ظل خمسة عشر عاماً لا ينجب، فجاء يوماً إلى سيدنا جودة رضوان الله عليه وطلب منه الدعاء أن يرزقه الله ذرية صالحة فدعا له، فاستجاب الله دعاء شيخنا فأنجب من عامِهِ وصارت له ذرية طيبة فكان منهم اللواء صلاح عبد العزيز المنشاوي، والحاج محمد المنشاوي المقاول بمدينة العاشر من رمضان وغيرهما. حقاً: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾!!**

٤٠- **ومن كرامات سيدنا الشيخ جودة ﷺ**: أنه كان يأخذ بخطرات القلوب، فمن ذلك ما حدثني به والدي سيدي محمد أبي اليزيد ﷺ، أنه كان يوماً يجلس في مجلس مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان الذي كان يلتقي فيه بأبناء قلبه ومريديه، فكان مولانا الشيخ جودة يتناول فنجاناً من القهوة فخطر بقلب والدي خاطر تمنى أن ينال بركة سؤر شيخه، فيشرب من هذا الفنجان بعد شيخه ولو قطرة، فلم يستقم خاطره الذي لم يلفظ به إلا وقد نظر إليه سيدنا الشيخ جودة من بين جلسائه العديدين وأشار إليه بالقرب منه وناوله فنجان القهوة بعد أن تناول منه ﷺ.

ومن هذا القبيل أيضا ما حدثني به صهر شيخنا ﷺ الحاج السيد أحمد عفيفى، أنه أراد أن يسأل سيدنا الشيخ جودة يوماً عن حكم الإتيان بلفظ السيادة عند ذكر النبي ﷺ في التشهد في الصلاة، ولكنه كان من شدة مهابة مولانا الشيخ جودة لا يجرؤ على سؤاله، فصادف أن صلى إحدى الفرائض إلى جوار سيدنا الشيخ جودة فلما كان في التشهد أسمعه مولانا الشيخ جودة صوته مجيباً له عن سؤال عملياً، فسمعه وهو يقول: «اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد...».

٤١- **ومن كراماته رضي الله تعالى عنه ما حدثني به الأستاذ الدكتور سامي عبد الفتاح هلال وكيل كلية القرآن الكريم إذ كتب بخط يده ما يلي: حدثني فضيلة الشيخ محمد يوسف وهو من علماء الأزهر الشريف عن رجل ثقة من بلدة الشموت بأن أحد الصالحين المحبين للشيخ جودة من بلدة الشموت قام من نومه يريد أن يراه في منيا القمح فقام عرياناً وهو لا يدري، وأحس الشيح به فأرسل إليه رجلاً ومعه ثياب له فقال**

له: إذا رأيته قل له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه سيتنبه. هذا والعهدة على الراوي. ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٠م

د/ سامي عبد الفتاح هلال

٤٢- كرامة سيدنا الشيخ جودة الكبرى «الاستقامة»: أجل، إنها الاستقامة مع الله تعالى على آداب الشريعة والطريقة والحقيقة، وقد وصف الحق تعالى أهل الاستقامة وما أتحفهم به من ألوان البشرى والكرامة في قوله عز من قائل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1]. قال الإمام ابن عطاء: «استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى»[2]!!

ولقد روى الإمام القشيري عن أبي علي الشبوي أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: روى عنك يا رسول الله أنك قلت «**شيبتني هود..**»[3] فما الذي شيبك منها؟ قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأمم؟ فقال: لا، ولكن قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾..[4].

---

١ - سورة فصلت/ ٣٠-٣٢.

٢ - الرسالة القشيرية: بتحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ٢/ ٤٤١.

٣ - خرجه الإمام النبهاني في الفتح الكبير (٢/ ١٧٩ - ١٨٠) عن الترمذي والحاكم والطبراني وغيرهم.

٤ - الرسالة القشيرية: نفس الموضع الأسبق.

ومن ثم قيل: إن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق، ولذلك قال ﷺ «**استقيموا ولن تحصوا**» [1][2].

ولقد شيد مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه منهجه في السلوك إلى الله على الاستقامة، ورغم تواتر الكرامات عنه وتكاثرها منه فإنه رضي الله تعالى عنه لم يعول عليها قصده ولم يولها اهتمامه، لأنه محَّض القصد لله تعالي، فالكرامات كانت تصدر منه عفواً لا قصداً للشهرة والذيوع بين الخلق، لأن معاملته مع الخالق جل شأنه.

ولقد أبرز قيمة الاستقامة بكرامة هي ضرب من المكاشفات، أبرز به سمو الاستقامة فوق ظهور الكرامة، إذ روى صاحب «الأنوار القدسية» أن أحد أتباع سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به: حدثته نفسه في بادئ عهده بالطريق أن يسأل مولانا الشيخ جودة قدس الله سره ظهور كرامة، بيد أنه لم يجرؤ على سؤاله، فكاشفه سيدنا الشيخ جودة عليه الرضوان في الحال وقال له قولته المأثورة: «**الاستقامة خير من ألف كرامة**»[3]!!

ومن شواهد رسوخ قدم شيخنا الشيخ جودة ﷺ في مقام الاستقامة: أن أحد خواص أتباعه قال له يوماً: «يا مولاي: إني بحمد الله كثيرا ما تحصل لي غيبة فأفنى عن نفسي وعن كل شيء» فقال له سيدنا الشيخ جودة -قدس الله سره- إذ أدرك فيه وقوفه عند هذا الحال

---

١ - خرجه الإمام النبهاني في الفتح الكبير (١/ ١٨١) عن الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي وبقية الحديث: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

٢ - الرسالة القشيرية: نفس الموضع الأسبق.

٣ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس حليحل السنهوتي ص ٢٧٢.

وانقطاعه به عن المقصود الأصلي: «يا بني، كل هذه قواطع وليست مقصودة بل المقصود الله»[1].

لقد كانت حياة سيدنا الشيخ جودة ﷺ تجسيداً حياً للاستقامة بأسمى معانيها؛ فمنذ فجر نشأته المباركة: كانت طاعة الله تعالى ملء كيانه ومحبته تسري في عروقه، ومعاملته مع الله سبحانه تتمثل في صدق العبودية وإخلاص العبادة حتى شع جوهره نوراً وتعاظم حالهُ حتى كان والده سيدي إبراهيم يغلق عليه باب الحجرة من الخارج فيلتفت فيجد سيدنا الشيخ جودة يخطو فوق سطحها يذكر الله تعالى.

وكان في سلوكه دائم العروج في منازل السالكين، ثم كان في قمة تحققه ووصوله مستغرقاً في أنوار المشاهدة بلا حجاب، ولكنها دلائل الاستقامة وأماراتها عند العارفين، إذ يقول الإمام القشيري قدس الله سره: «فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لا تشوب معاملاتهم فترة. ومن أمارات استقامة أهل الوسائط أن لا يصحب منازلهم وقفة. ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لا تتدخل مواصلتهم حجبه»[2].

لقد كان أعظم ما تتميز به شخصية مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان: استقامته على مناهج الشريعة المحمدية ظاهراً وباطناً، كلاً وجزءاً، فكانت حياته ﷺ منهاجاً شرعياً محمدياً، وسلوكاً صوفياً من الطراز الرفيع، وتحققاً عرفانياً في الدرجة العليا. فلم يعرف عنه أنه تجاوز في أمر من أمور الشريعة ولا تفوه بعبارات شطح كما عرف عن أرباب الأحوال من الصوفية بل كان كياناً شرعياً محمدياً يمشي على الأرض ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصوفية أو حتى من خصومهم.

---

١ - نفس المصدر ص ٢٦٨.

٢ - الرسالة القشيرية للإمام القشيري بتحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف ٢/ ٤٤.

الفصـــــل الســـابع

الخلافة الجودية وكبار أتباع مولانا الشيخ جودة ومريديه

لقد شيد مولانا الشيخ جودة، رضوان الله عليه بمدده الرباني صرحا صوفياً عظيماً، وجدد بتحققه الاصطفائي معالم الطريقة النقشبندية الخالدية، لأنه كان في عالم الولاية نسيج وحده وفرد عصره، فاجتمعت عليه القلوب واستقت من نوره الأرواح، وتربت على يديه النيرتين جموع من ألوف المريدين والسالكين فوصلهم بالله عز وجل، وتأسست في عهده المبارك مدرسة بل جامعة صوفية سامقة الذُرَى شامخة الأركان، سمقت في أرجائها أرفع أشجار التوحيد والمعرفة والمحبة والزهد والتوكل والرضا واليقين والإخلاص، فتربى على ثمارها أهل الصفاء والاختصاص، وارتوى من عذب مواردها أولوا الألباب وذوو الاجتباء والاصطفاء، حتى صاروا نجوماً ساطعة في سماء الولاية والمعرفة.

«مولانا الشيخ عيسى جودة خليفة والده ﷺ»

ولقد كان من الجلي الواضح أن سيدنا الشيخ جودة – ﷺ وعنا به قد أعد وأمد بنور هديه المحمدي فضيلة نجله المبارك مولانا الشيخ عيسى عليه الرضوان[1] ليكون خليفته الأمجد من بعده، ووارث حاله ومقامه، فقد أذن

---

١ – ولد مولانا الشيخ عيسى ﷺ بالعزيزية مركز منيا القمح بالشرقية (سنة ١٣٢٦هـ = سنة ١٩٠٨م)، وله إخوه أربعة ذكور هم: السيد محمد الطاهر والسيد محمد الطيب والسيد عبد الرحمن – وهم إخوته لوالده من الحاجة السيدة البرماوي. ثم السيد عبد الله أخوه لوالده أيضا من السيدة التركية وله ست أخوات هن: السيدة فاطمة الزهراء والسيدة آمنة والسيدة عائشة والسيدة خديجة وهن أخواته لوالده من الحاجة السيدة البرماوي، ثم شقيقتاه: السيدة فاطمة النبوية والسيدة منيرة من السيدة مريم رضي الله عن الجميع. وقد أهلت العناية الإلهية مولانا الشيخ عيسى ليكون هو الخليفة لحضرة والده ﷺ وهو الباقي من الأبناء الذكور الآن لحضرة مولانا الشيخ جودة رضي الله عنهما.

له بدخول الخلوة والذكر بالأسماء السبعة الجامعة لأصول الطرق -عدا النقشبندية والشاذلية- مع الذكر الخاص بالطريقة النقشبندية باسم الذات وبالنفي والإثبات وأذكار الشاذلية وذلك حين بلوغه الرابعة عشرة من عمره المبارك – كما أخبرني بذلك ﷺ – فتحقق عليه الرضوان بمقامات القوم وهو في المراحل الباكرة من عمره، وظهرت على يديه الكرامات والخوارق الكبرى وهو دون البلوغ ولم يزل شهود هذه الكرامات أحياء يرزقون، وقد التقيت بالكثير منهم وهم يروونها كأنها رَأْيِ العينِ أمامهم الآن.

فمما يؤثر عن سيدنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وعنا بهما من كرامات وهو لم يبلغ الحلم بعد، أنه لما علم -في حياة والده ﷺ- بشروع بعض الضالين في بناء مقر للعصيان على مقربة من المسجد الذي ابتناه والده الأمجد قدس الله سره، كان يصطحب أحد أتباعه وهو الشيخ إبراهيم أبو حبيب الكبير إلى حيث يُبني هذا المقر فيقرآن الفاتحة لسيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه، ويأمر أبا حبيب فينادي شيخنا الأكبر بالمدد، فما يصبح الصباح إلا وقد صار البناء أثرا بعض بعد عين، وقد تكررت هذه الكرامة ثلاث مرات مع كل إعادة لبنائه حتى قدم بعض المعنيين بهذا الوكر مستغيثين بسيدنا الشيخ جودة لما علموا بكرامة نجله ﷺ وتابوا عن غيهم.

ومن كرامات سيدنا الشيخ عيسى رضوان الله عليه الواقعة في صغره أيضا، أنه كان مع حضرة والده الأمجد ﷺ ببلدة «الشموت» مركز بنها، فكان بعض أتباع الشيخ رضوان الله عليه يقومون بدراسة القمح فحضر إليهم سيدنا الشيخ عيسى وهو في حوالي العاشرة من عمره المبارك وطلب منهم ركوب آلة الدراسة المسماة بـ «النورج» بيد أنه لم يكن هناك حينئذ دواب تجر تلك الآلة فأصر على ركوبها بدون دواب وقال لها «سيري بأمر الله» فسارت

وحدها وسط دهشة الحاضرين. وقد تكررت هذه الكرامة نفسها في بلدة «بندف» التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية.

ومن كرامات مولانا الشيخ عيسى رضوان الله عليه أيضاً، أنه كان في زيارة لبلدة «دنديط» مركز ميت غمر في حياة والده الأمجد قدس الله سره نائباً عنه وهو لا يزال فتى يانعا دون البلوغ فاحتفى به أهل البلدة احتفاء بالغا مما جعل عمدة البلدة يتميز غيظاً وينكر الالتفاف حول الشيخ وهو في هذه السن بهذه الصورة، وعلى إثر استنكاره ذلك، وبينما هو داخل من باب دواره الكبير اصطدم بشقه المغلق مع أن شق الباب الآخر مفتوح، فوقع على الأرض وسط دهشة أهله، فأدرك من فوره أن هذا لاعتراضه على الشيخ عيسى ﷺ.

ثم يري أحد مريدي النقشبندية مولانا الشيخ جودة ﷺ في الليلة التالية وهو يقول له في رؤياه: «إني أرى نجلي عيسى وأعرف من يكرمه ممن لا يكرمه»!! وقد كانت هذه الزيارة -كما حكى لي مولانا الشيخ عيسى- سبباً في إقبال معظم أهل البلدة على الدخول في الطريقة النقشبندية واستقامتهم على مبادئها لدرجة أنه كان بها خواجه من أصل إفرنجي يتجر في الخمر فأعرض عنه الجميع فخرج منها مدبراً بعد أن أغلق محله، فلما سُئل أثناء مغادرتها عن السبب قال: «وماذا أصنع هنا في هذا البلد والكل قد صار نقشبندياً»!!

ألا فلينظر الجهلة المنكرون على الصوفية والأولياء ماذا يفعل التصوف النقي والأولياء المتحققون في مجتمع الإسلام؟؟ إنهم يقهرون الظلام بنورهم الساطع الوهاج!!

ومن الكرامات التي أجراها الله تعالى على يد مولانا الشيخ عيسي ﷺ وهو في صغره أيضاً، أنه كان مع حضرة والده الأجل مولانا الشيح جودة عليهما الرضوان في ضيافة محمد بك منصور نصير عمدة قرية «ملامس»

بالشرقية، وأثناء مدة الضيافة فقدت مصوغات حرم المضيف -وكانت جواهر غالية ومعادن نفيسة- فشكوا ذلك إلى مولانا الشيخ جودة ﷺ، وإذا بمولانا الشيخ عيسى وهو في حوالي السابعة من عمره يشير بيده نحو امرأة ريفية كانت تحمل وعاءً فوق رأسها ويصيح: «هذه هي السارقة» مع أنه آنذاك لم يغادر مجلس والده، فأمسك بها وفتش الوعاء الكبير الذي تحمله على رأسها، فوجدت المصوغات المسروقة مخفية بداخله، فشهد الجميع بأنها كرامة الشيخ عيسى، وكتب السيد محمد منصور نصير بعد ذلك إلى مولانا الشيخ جودة يشيد بكرامة نجله، ثم أهداه هدية قيمة.

ومن كرامات مولانا الشيخ عيسى أيضاً ما حدثني به الشيخ داود عبدالدايم من نقشبندية تصفا أبناء الشيخ أحمد نور، أنه منذ اثنتين وعشرين سنة سافر إلى حج بيت الله الحرام فالتقى بعرفات بمولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما وصحبه في الموقف وجالسه هناك مع أن فضيلة الشيخ عيسى لم يسافر للحج في ذلك العام، فلما عاد الشيخ داود من الحج وذهب لزيارة سيدنا الشيخ جودة ومولانا الشيخ عيسى بمنيا القمح، قال لشيخنا الشيخ عيسى: متى عدت من الحج ؟ فأدركه شيخنا على الفور قائلاً: اسكت لا تتكلم واحفظ السر[1].

ومن كرامات مولانا الشيخ عيسى جودة رضى الله عنهما وعنا بهما الدالة على كمال تحققه بالخلافة الجودية والنيابة عن حضرة والده الأكرم رضوان الله عليه، ما حدثني به أحد مريديه، من أنه كان في فترة السبعينات يقوم بخدمة المسجد الجودي ويؤدي الابتهالات وأذان الفجر ونحو ذلك،

---

١ - حدثني بهذه الكرامة الشيخ داود المذكور في الجمعة الختامية للمولد الرجبي الأحمدي هذا العام ١٤٠٩ بمنزلنا بطنطا.

فتعرض له أحد شيوخ الطرق الصوفية الأخرى محاولاً أن ينقله من السلوك النقشبندي إلى السلوك في طريقة ذلك الشيخ فرأى هذا المريد في ليلته مولانا الشيخ جودة قدس الله سره في منظر جلالي مهيب وقال له: يا فلان: «إن العهد الذي أخذته من نجلي عيسى هو مني» ثم قال له: «أنظر روائي»، فنظر المريد فوجد مجموعة من القصور الفخمة التي لا نظير لها في الدنيا جمالاً وروعة، فقال سيدنا الشيخ جودة ﷺ وعنا به: لقد بنيت لك هذه القصور بيدي وهي لك، فإن تركت عهدنا وطريقنا هدمت وخسرتها!! فقام الرجل من نومه ذاهلاً مما رأى وسمع وقد أمتلأ كيانه بحب الطريقة النقشبندية وشيخها مولانا الشيخ جودة وخليفته مولانا الشيخ عيسى رضي الله عنهما وحشرنا في معيتهما يوم الدين، اللهم آمين.

ومن كرامات سيدنا الشيخ عيسى أيضاً عليه الرضوان: ما حدثني به الأستاذ إسماعيل سليمان المحامي – شقيق اللواء حسين سليمان مدير المباحث الجنائية بالشرقية سابقا – أنه كان في زيارة لمولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه في إحدى سني السبعينات على وجه التقريب، فلما وقف أمام مقصورة ضريح سيدنا الشيخ جودة خطر بباله تساؤل: هل الشيخ عيسى ولي حقا أم هو مجرد شخص عادي يحمل اسم والده؟؟ قال الأستاذ إسماعيل: فسمعت بأذني من داخل الضريح صوتاً عالياً يقول: «وراءك ولي مني» فالتفت ورائي فوجدت الشيخ عيسى واقفا خلفي فجأة وليس معه أحد، فتحققت ولايته بتزكية أبيه الأمجد رضوان الله عليهما آمين.

وهكذا نقتطف من بستان ولاية سيدنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما هذه النخبة من الكرامات التي هي قليل من كثير، ولكننا نجتزئ بها للدلالة على عظم مكانة هذا الشيخ الجليل الذي نذر حياته لربه واضطلع منذ

انتقال والده ﷺ إلى جوار ربه برسالة سامية هي نشر الطريق النقشبندي، وتربية المريدين بالنظر العالي، وإقامة المولد السنوي لوالده الأمجد حيث تؤمه الألوف الزاخرة من شتي بلدان مصر بحريها وقبليها، وتبذل فيها النفحات الباهرة، وتقام الأذكار والشعائر.

وتعقد الندوات والمحاضرات العلمية بساحة المولد الكبرى بأرض الشيخ الخاصة التي تقدر الآن ببضعة ملايين من الجنيهات، ولكن شيخنا الشيخ عيسى ﷺ يرفض تماماً أن يتصرف في شبر واحد منها، ويعيش حياة الزاهدين، أليست هذه وحدها كرامة وبرهانا على أن أهل الله لا تعرف الدنيا طريقاً إلى قلوبهم؟؟ أجل والله إنها الاستقامة مع الحق تبارك وتعالى.

ثم اضطلع شيخنا الشيخ عيسى رضوان الله عليه بإعادة بناء مسجد سيدنا الشيخ جودة الجامع على أحدث طراز من طابقين ليكون مركزاً إسلامياً جامعاً حافلاً بإشعاع النور والخير للمسلمين.

وقد انتقل ﷺ إلى جوار ربه الكريم في غرة ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ بعد وفاة زوجته السيدة فاطمة بسنة واحدة، وكانت قد استشعرت دنو أجلها فقالت «يعز عليّ فراقك يا مولانا» فإذ به يكاشفها على مسمع من الحاضرين قائلاً «لن أفترق عنك إلا سنة وحدة»، إنها مكاشفة المؤمن الذي ينظر بنور الله رضي الله عنه وعنا به وجزاه عن الأمة المحمدية كفاء ما قدمه من عطاء ونفع وإمداد وجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى مع الورثة المحمديين اللهم آمين.

كبار خواص أتباع سيدنا الشيخ جودة
الذين سلكوا على يديه الطريق

لقد كان مولانا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى يمثل قمة الهداية والدعوة إلى الله على بصيرة، وباباً عظيماً من أبواب الحق تعالى في عصره، فولج إلى ساحة تربيته المحمدية من سبقت لهم العناية الأزلية، فكان منهم أهل الاختصاص الذاتي الذين استأثر بهم الحق تعالى لنفسه وهم «الضنائن» المتفردون لعبادة الحق تبارك وتعالى، وكان منهم من صاروا أقطاباً ومدارس للتربية وشيوخاً أدلاء على طريق المولى عز وجل، وكان منهم من تسنموا ذُرَى الشموخ العلمي وتقلدوا إمامة المسلمين ومشيخة الأزهر الشريف، وكان منهم من انتشروا في الأرض يعمرونها بطاعة الله عز وجل، ونفع المسلمين في شتى جوانب تخصصاتهم العلمية والعملية، وهكذا كانت جامعة السلوك والتربية النقشبندية الجودية مركز إشعاع نوراني محمدي شهد به أئمة الرسوخ والتحقق في مؤلفاتهم وعلى مسامع العصر كله، كما تقدم لنا من نحو تصريح الشيخ محمد زاهد الكوثري في «التحرير الوجيز» بأن مولانا الشيخ جودة قد امتدت به النسبة الضيائية في الديار المصرية بواسطته وبواسطة نجله -أي سيدنا الشيخ عيسى- وتلاميذه ﷺ[1]. ونحو ذلك،

وسأثبت هنا طائفة من أبرز خواص أتباع مولانا الشيخ جودة الذي شملتهم تربيته المباركة، ولا أدعي لنفسي حق ترتيبهم في المقامات فذاك عند الله سبحانه، وإنما أبدأ بمن كانوا ملازمين للحضرة الجودة من كبار خواص أتباعه رضوان الله عليه ثم أذكر من أخذوا عهد السلوك والتبرك عن حضرته

---

١ - انظر التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز للشيخ محمد زاهد الكوثري ص٣٤ وارجع إلى ص١٠٠ من هذا الكتاب.

ممن صاروا أعلاما في عالم الولاية ولهم مدراس صوفية تربوية، ثم أذكر أعيان أتباعه من شيوخ الأزهر وعلمائه ملتزماً في كل ذلك بتوجيهات شيخنا الشيخ عيسى جودة ﷺ وعنا به على النحو التالي:

أولاً، من كبار الأتباع الملازمين لسيدنا الشيخ جودة قدس الله سره،

فمن أبرز خواص أتباع شيخنا الأكبر مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه:

١- مولانا الحاج عليوة السيد عطية رضي الله عنه، وهو من بلدة «السنيطة» مركز منيا القمح وكان من أكابر الملازمين للحضرة الجودية المستغرقين في محبة سيدنا الشيخ جودة قدس الله سره وكانت له خلوة ببلدته يدخل فيها أهل العناية من المريدين النقشبندية.

يقول صاحب الأنوار القدسية: ومنها -أي الكرامات الجودية- ما حكاه لنا حضرة مولانا وسيدنا وسندنا السيد عليوة السيد، قال ﷺ: والخلوة عندي بالسنيطة ببيتنا، وكان فضيلة مولانا الشيخ يرسل من يرى فيه الأهلية لدخولها إلينا لاعتقاده بنا، وكذلك أمرني - جزاه الله أحسن الجزاء وقال «يا شيخ عليوة: أدخل الخلوة ممن ترى فيه الأهلية من تشاء» قال سيدي عليوة: سألني من بالخلوة أن أوصي الشيخ عليهم، وأن أسأله لهم بالدعاء والنظر إليهم، فلما حضرت عنده لم أقل له -سهواً لا عمداً- فقال حضرته ﷺ: «سبحان الله.. أنا لا أغفل عن أهل الخلوة أبداً»!![1].

٢- ومن كبار خواص أتباع سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه، فضيلة والدي الشيخ محمد أبو اليزيد محمد المهدي خليل الشريف الحسيني رضي الله تعالى عنه وعنا به، ولد بقرية الزمرونية مركز كفر شكر -الآن-

---

١ - انظر الأنوار القدسية للشيخ يس إبراهيم السنهوتي ص٢٧٢.

بحافظة القليوبية «سنة ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م» وحفظ القرآن الكريم على عمه الحاج علي خليل، ثم التحق بمعهد كشك الديني بزفتى، وخلال سني دراسته كان سيدنا الشيخ جودة ﷺ يزور أتباعه بالزمرونية فعرف والدي بقدومه فذهب للقائه خلال زيارته لمقام سيدي أبي يزيد البسطامي ﷺ الكائن بالزمرونية، وخلال زيارة مولانا الشيخ جودة للمقام اليزيدي البسطامي طلب تجديد الوضوء فتنافس المريدون على حمل إبريق الماء لتوضئة الشيخ، لكن شيخنا الشيخ جودة اختار منهم والدي، فقام بصب ماء الوضوء لوزير النبي ﷺ.

وأثناء قيامه بذلك رفع سيدنا الشيخ جودة وجهه فنظر إلى والدي نظرة نخبة ومحبة واصطفاء، فكان مدد الوصول، ومن ساعتها لازم والدي شيخه سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله، ملازمة التبعية الكاملة في طريق الله فكان يسافر إليه من الزمرونية لمنيا القمح يومياً على القدم في أول النهار ويعود في المساء، فكان سيره في الذهاب والإياب عشرين كيلومتراً، وقد قرأ القرآن كله بحضرته، وكان يقوم بالأذان أحياناً ويقرأ أمامه في بعض كتب العلم كالمواهب اللدنية وغيرها حتى امتلأ نوراً من شيخه.

وهو الذي لقبه بأبي يزيد تشبيها له بسميه البسطامي ﷺ، فلما دنا انتقال مولانا الشيخ جودة إلى جوار ربه أشار لوالدي: إن مقامك بعدي سيكون عند سيدي أحمد البدوي ﷺ وأقام والدي عليه رضوان الله في رحاب القطب البدوي نصف قرن من الزمان «١٣٤٧ - ١٣٩٧هـ» حيث لحق بجوار ربه الكريم في الثامن من المحرم ١٣٩٧هـ. وكان باباً من أبواب الحق تبارك وتعالى في الرحاب الأحمدي المبارك هدية من وزير النبي إلى باب النبي ﷺ.

وقد كانت له خلوة فوق مسجد القطب البدوي من حجرتين يؤمها كبار الصوفية كالشيخ صالح الجعفري والشيخ إسماعيل عبده والشيخ محمد خليل الخطيب وغيرهم.

وكان للشيخ صيغ فريدة يعطيها لمريديه لقضاء الحاجات والشفاء من الأمراض، ومنها تلك الصيغة التي أعطاها للسيد الدكتور محمد إسماعيل مدير مستشفى الأزهر السابق وأنجزت الشفاء لحرمه من مرض عضال وهى «اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك يا الله صلاة وسلاماً تامين دائمين متلازمين بدوام ملك الله، وعلى آله وصحبه وسلم. مدد يا سيدنا الشيخ جوده أنت ومن معك ثلاث». وكان تلقيها سَحَر الثلاثاء السادس من جمادي الآخرة سنة ١٣٩٤ هـ.

ومن غرر فوائده ﷺ هذه الصيغة للصلاة على النبي ﷺ التي أعطاها لأخي في الله تعالى الشيخ عبد الحميد أبو النضر ليواظب عليها وهى «اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس، بعدد كل معلوم لك، صلاة وسلاماً تامين دائمين متلازمين بدوام ملك الله، تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد المات». وأخيراً أنها إكسيرٌ مجرب لقضاء الحاجات.

٣- ومن خاصة كبار أتباع مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به أيضاً: الشيخ إبراهيم الدسوقي المكاوي من العزيزية - شرقية وهو من

أفاضل علماء الأزهر الشريف، وقد أخذ العهد النقشبندي على يديه وصار به من كمال الرجال وكان يصحب مولانا الشيخ جودة في رحلاته وسياحاته الصوفية، وقد ظهر له من الفتوحات ما أشرنا إلى طرف منه في مبحث الكرامات، وكذلك هو الذي حضر انتقال شيخنا ﷺ وتولى غسله ونحوه.

٤- ومن أبرز خاصة أتباع سيدنا الشيخ جودة ﷺ الملازمين لحضرته الشيخ محمد محمد أبو قنديل من علماء الأزهر الشريف، وهو من قرية بني هلال التابعة لمنيا القمح، ووالده الشيخ محمد أبو قنديل كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف ومن أتباع سيدنا الشيخ جودة أيضاً.

وقد لزم الشيخ محمد أبو قنديل -الابن- شيخنا الجليل رضوان الله عليه ملازمة تامة، فدخل بأمره الخلوة واشتغل بأذكارها ثم خرج ملازما لمجلس مولانا الشيخ جودة عليه الرضوان، وكان هو القارئ الأول أمام الشيخ قدس الله سره في كتب العلم بشتى أنواعها، وقد سكن حب الشيخ قلبه باستغراق عظيم، لدرجة أنه لما تزوج ببلدته شق عليه البعد عن شيخه، فترك زوجته وهي عروس وانقطع لمجلس قطب الزمان حتى افتقده أهله، فجاء والده لسيدنا الشيخ جودة -وهو من أتباعه- يرجوه أن يأمر ابنه الشيخ محمد بالتردد على أهله وبلدته، فكان مولانا الشيخ جودة يعلم غلبة الحال على الشيخ محمد فقال لأبيه: «احمد الله أن ابنك هنا تَعْلَمُ وجودَه وتستطيع أن تأتي لرؤيته، فإن غيره لما اعترته الجذبة ساح في أرض الله فلا يعرف أهله أين هو؟».

ثم لما سكن الحال وآل أمره إلى الثبات والتمكن أمره سيدنا الشيخ جودة بالتردد إلى أهله وعشيرته وبلدته والوفاء بحقوقهم، وهكذا شأن

أقطاب التربية أطباء القلوب يتعهدون مريديهم بما يصلح قلوبهم ويرتقي بأرواحهم بالقدر الأمثل!!

٥- من خواص أتباع سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه خادمه الخاص الشيخ محمد أبو سليمان من العزيزية، كان من حملة القرآن الكريم، وكان مقيماً مع سيدنا الشيخ جودة ﷺ بمنيا القمح على الدوام، قائماً بخدمته الخاصة، فهو الذي يحضر للشيخ وضوءه في السحر ويطرق عليه باب الخلوة ويدخل لتوضئته، وهو الذي كان يدخل له بالطعام أيضاً.

وقد حكى الحاج السيد أحمد عفيفي صهر الشيخ الأكبر وصهري بأن الشيخ محمد أبا سليمان قد دخل يوماً لسيدنا الشيخ جودة ببعض الكبد المطهو يلح عليه ويرجوه في تناوله في فترة كان شيخنا متقللا جداً من الطعام فلم يستطع ترغيب الشيخ في الأكل، فحزن في نفسه فقال له شيخنا مكاشفاً ومبشراً:

«لا تحزن فإن رزقي ورزقك في الجنة»، وكان لا يفتر أبداً عن تلاوة القرآن في قيامه وقعوده ومشيه وهجوعه، وكان أقرب مريدي شيخنا ﷺ لحاقاً به، إذ ذكر بعضهم أنه لدى وفاة شيخنا الأكبر ﷺ أدمت الصدمة فؤاد الشيخ أبي سليمان، فوقع مغشياً عليه فلم يبرأ من إصابته ولحق بشيخه الأعظم رضوان الله عليهما في خلال أيام معدودة، وضرب المثل الأروع في التفاني في حب شيخه الذي أنار له طريق الوصول إلى الله ﷻ.

٦- ومن خاصة أتباع سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أيضاً الشيخ إبراهيم أبو حبيب «الكبير» من العزيزية، كان من الملازمين لشيخنا الأجل، وكان من معالم الموكب الجودي والحضرة الجودية، فكان هو الذي يرفع صوته بالمدد لدى تحرك شيخنا الشيخ جودة ﷺ وعنا به من خلوته

المباركـة إلى مجلـس المريـدين الـذي كـان يطلـق علـيهم شـيخنا ﷺ لقب«الإخوان» تواضعاً منه وفضلاً.

وكـان الـشيخ أبـو حبيـب هـو الـذي يتقـدم الموكـب الجـودي في جولات الشيخ في سائر البلدان ناشراً للطريق فيصيح بالمدد فتهتـز لـصوته نياط القلوب، وقد خلفه بعد وفاته ابنه الشيخ إبراهيم أبو حبيـب الـصغير في نفس وظيفته ملازماً لسيدنا الشيخ عيسى ﷺ حتى لقي ربه.

٧ – ومن كبار خاصة أتباع مولانا الشيخ جودة قدس الله سره: مولانـا الـسيد حسن بن السيد أحمد نور الدين المسلمي فرع الدوحـة المسلمية الـشريفة، وكان آباؤه وأجداده مـن كبـار الأوليـاء أقطـاب الطريقـة المـسلمية التـي تنتمي إلى سيدي سليم أبو مـسلم الكبـير نجـل سـيدي يوسـف الهمـداني غـوث زمانـه، وهـو الـذي بـشر سـيدي عبـد القـادر الجـيلاني بالقطبيـة الغوثية حين زاره وهـو في مقتبـل شـبابه، وأنـه سـيجلس بمـسجد بغـداد ويقول بلسان الحق «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله» رضي الله عنهما وعنـا بهما آمين.

ومع كل هذا المجد الذي عرف به السادة المسلمية –وما ذكرنا منـه إلا قطرة من بحر– فإن السيد حسن المسلمي قد جاء به والده الـسيد أحمـد نور الدين إلى حضرة سيدنا الشيخ جودة ﷺ وعنا بـه في «سـنة ١٣٣٦هـ = سنة ١٩١٨م» –كما حدثني هو بذلك– وقال والده لـسيدنا الـشيخ جـودة عليهما الرضوان: «أعط العهد لحسن».

قال السيد حسن: «فأعطى لي العهد سنة ١٩١٨ م وكان أول عهـد لي، وكنت كمسلمي لا أعترف بأحـد قبـل، ولكنـي وضـعت يـدي في يـد سيدنا الشيخ جودة ﷺ ولم أضعها في يد أحد سواه»!!

وقد دخل السيد حسن الخلوة بأمر سيدنا الشيخ جودة ﷺ وذكر بالأسماء السبعة وبالنفي والإثبات، وباسم الذات، وقد حدثني ﷺ ببعض الأحداث لدى دخوله الخلوة فقال: «وكان سيدنا الشيخ جودة يوم دخولي الخلوة يلبس جبة صفراء من الصوف، فأرسلها لي مع الشيخ محمد أبو سليمان فاستكثرتها علي، فقال: إنها هدية، ومن رد الهدية فكأنما ردها على الله»!! فأخذتها وفي تلك الليلة حصل لي فزع في الخلوة وخيل إليّ أن الشياطين تريد أن تنال مني فتذكرت الجبة الجودية فاحتضنتها، فحصل لي الأمان على الفور بحمد الله تعالى.

وكان للسيد حسن خدمة دائمة في المولد الجودي، وكذا المولد الأحمدي وسائر الموالد الكبرى، وقد ربى بآداب الطريقة النقشبندية الخالدية عدداً لا يحصي من المريدين حتى لحق إلى جوار ربه منذ بضعة أعوام ﷺ وعن شيخنا الأكبر آمين.

٨ – ومن خاصة كبار أتباع سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه الحاج عبد الرحمن بك نصير جد السيد محمد نصير وزير العدل الأسبق وعميد عائلة نصير بالقليوبية، لقد كان هذا الرجل ذا همة عالية في سلوك الطريق النقشبندي الجودي ومحبة صادقة لشيخه الأجل، وكان ينفق بسخاء جم على الطريق والإخوان، فقد ابتني خلوة ببلدته «جمجرة» التابعة لبنها، وكان ينفق على المقيمين بها على الدوام، وقد أسلفنا كرامة ظهور سيدنا الشيخ جودة له عيانا بالحجاز وهو بمنيا القمح لينبهه إلى خطر في الطريق فنجا ببركته بحمد الله تعالى.

وقد قام من بعده ابنه الحاج عبد المجيد نصير بخدمة الطريق النقشبندي بعزيمة وإخلاص، وقد طبع على نفقته كتاب «جالية الأكدار

والسيف البتار في التوسل بأهل بدر الأخيار» من تأليف سيدي خالد البغدادي النقشبندي مجدد الطريقة قدس الله سره، وغيرها من كتب الأدعية والصلوات.

٩- ومن خاصة كبار أتباع مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه الشيخ فضل مقلد من قرية «سنهوت» بالشرقية، وهو من أفاضل علماء الأزهر الشريف وكان ملازماً للحضرة الجودية بمنيا القمح.

وقد خلف الشيخ محمد أبا قنديل في قراءة الكتب العلمية بحضرة شيخنا الشيخ جودة قدس الله سره، بعد عودة الشيخ أبي قنديل إلى بلده بإذن سيدنا الشيخ جودة ليقيم بها ويرعى شئون أسرته، فشرف الشيخ فضل بداوم المثول أمام النظر الجودي العالي والاغتراف من علم مولانا الشيخ جودة خلال شرحه لمشكلات العلوم التي تقرأ أمامه وإجاباته عن أسئلة مريديه ورواد حضرته واستفساراتهم العلمية.

والشيخ فضل -أصلاً- من أسرة علمية بسنهوت وكان ابن أخيه الشيخ إبراهيم الدسوقي مقلد من علماء الأزهر ومدرسا بمعهد الزقازيق الديني، وقد التقيت به في زيارته لفضيلة والدي ﷺ بمنزلنا في أواخر الخمسينيات رحمه الله.

١٠- ومن أكابر أتباع مولانا الشيخ جودة قدس الله سره: الشيخ محمد أبو عرابي الكبير من علماء الأزهر الشريف، وكان محامياً شرعياً فترة، ثم أقام ببلدته «العزيزية» وكان يتردد باستمرار على شيخه سيدنا الشيخ جودة طيلة حياته ويغترف من نوره وعلمه، ثم كان محط رجال العلماء والصالحين بالعزيزية، وكان والدى ﷺ.

ينزل بمنزله ودواره الكبير لدى نزوله العزيزية كل مرة، وكان الشيخ أبو عرابي يقيم بمنزلنا الأحمدي بطنطا خلال أسبوع المولد الأحمدي كل عام وقد قرأت عليه مقدمة متن أبي شيجاع في فقه الشافعية لدى التحاقي بالأزهر الشريف سنة ١٩٥٥ وأذكر أنه بشر والدي ﷺ بأني سأكون من أهل العلم فجزاه الله خيراً ونور ضريحه.

هؤلاء نخبة بررة وصفوة كرام، عشرة من أبرز كبار أتباع سيدنا ومولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به، الذين كانوا ملازمين لحضرته أو مترددين عليه باستمرار يقرب من الإقامة بساحته، وقد اجتزأت بهم عن كثيرين غيرهم على سبيل الاكتفاء والاقتصار خشية الإطالة، مع أن كثيرا من كبار الأتباع شرفوا بهذه الملازمة والاستمرارية كالشيخ إسماعيل صقر السنهوتي الذي كان من علماء الأزهر الشريف ومن خاصة الأتباع - وقد مر ذكره في الكرامات -والشيخ محمود أبو العينين «من الوجا»، والحاج السيد أحمد عفيفي صهر مولانا الشيخ جودة- وقد تقدم ذكره وواقعة مصاهرته في الكرامات، وكذلك الحاج عبد الحميد مندور والد الدكتور محمد مندور الملقب بشيخ النقاد المعاصرين. لقد سجل الدكتور مندور تجربة والده الصوفية مع سيدنا الشيخ جودة ونقلها عنه الأديب فؤاد دوارة في كتابه «عشرة أدباء يتحدثون» فقال:

«وكان والدي -رحمه الله- يقرأ، ولكنه لا يستطيع أن يكتب، وكان متدينا ينتمي لمذهب صوفي اسمه «الطريقة النقشبندية» ومعناها: النقش على القلب، وكان رائد هذا المذهب الشيخ جودة إبراهيم بمنيا القمح، ومازال له هناك جامع كبير يحمل اسمه، وما أكثر ما حدثتني

والدتي وأنا صغير عن خطوات أبي في هذه الطريقة، وكنت أتأثر جدا بما أسمع، وبصفة خاصة، قصة الخلوة، وهي حجرة صغيرة أقامها أبي في حقله وخلا فيها لذكر الله أربعين يوماً لم يأت فيها إلى البيت قط».

وشاهدت في البيت سِبَحاً طويلة من ذوات الألف حبة، وعلمت أن أبي ظل يردد عليها اسم الله حتى انتقش على قلبه!! وبالفعل كان أبي رجلاً متسامحاً، يبغض العنف والشر رغم ما اشتهرت به أسرة «مندور» من ضراوة وقوة شكيمة في الجهة كلها، ولكن والدي كان خلقا آخر، يردد دائما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [2].

وكان -رحمه الله- يحفظ العديد من آيات القرآن الكريم، ويرددها في كل مناسبة، فجعلني ذلك أحرص على حفظ أكبر قدر استطعت حفظه من القرآن «وقد عزز هذه القيم الروحية في نفسي: أن جدي «موسى مندور» أوقف[3] خمسة وعشرين فدانا لدوار الضيافة والجامع، وكان الدوار يظل مفتوحا ليلا ونهارا ليأوى إليه عابرو السبيل، حيث يجدون المأوي والطعام، وكان الناس لا ينقطعون عن العبادة في المسجد، ويخيل إليَّ أن هذه النشأة الأولى في ذلك الوسط الروحي والأخلاقي هي التي غرست في نفس التمسك بالقيم الأخلاقية والحفاظ عليها دائماً مهما كلفني ذلك من ثمن»[4].

---

١ - سورة الفرقان / ٦٣.

٢ - صورة فصلت / ٣٤.

٣ - هكذا جاء نص كلام الدكتور مندور، بيد أن التعبير الصحيح للفعل وقف بدون همزة.

٤ - انظر كتاب « عشرة أدباء يتحدثون [لفؤاد دوارة ص ١٧٢ - ١٧٣ العدد ١٧٢ من كتاب الهلال]».

فانظر إلى الأثر الروحي الذي يمتد من مولانـا الـشيخ جـودة ﷺ وعنا به إلى أتباعه ومريديه ليمتد أثره إلى سلوك أبنائهم الذين تبؤوا مراكـز شتى في المجالات العلمية والأدبية!!

لقد كان حرص هؤلاء الآباء السالكين بالغا في سريـان النفحـات الصوفية إلى بنيهم وشمولهم برعاية شيخهم، فإن الدكتور منـدور يـسجل مرة أخري -في ذات المصدر- أن أباه قد اصطحبه إلي سيدنا الشيخ جـودة رضوان الله عليه لدى تهيئة للسفر إلى «باريس» في البعثة العلميـة فيقـول: «... وبدأت أتهيـأ للـسفر، وأذكـر أن أبي أعطـاني ثلاثـة جنيهـات ذهبيـة لأستعين بها وقـت الحاجـة، وصـحبني إلى الـشيخ جـودة إبـراهيم شـيخ الطريقة النقشبندية فأعطاني منديلاً بنفسجياً ظللت محتفظاً بـه في حقـائبي إلى أن عدت من باريس»[1].

ومن كبار أولئك الأتباع المريدين لمولانا الـشيخ جـودة قـدس الله سره ممن كانوا مترددين على حضرته باستمرار أيضاً: الشيخ عبد الوهـاب حسنين وهدان عمدة «تفهنا العزب»، كان رحمه الله من العلماء الأدباء وله مؤلفات وأشعار رائقة، ومن مؤلفاته التي أهداها لحضرة والدي ﷺ:

«نفحة قدسية ولمحة محمدية في التوسل إلى الذات العليـة» قـال في خاتمتها ما نصه: «روى المنشئ عن شيخه قطب زمانه عَلَم الهُدَى للطريقـة النقشبندية الخالدية، أستاذ الأساتذة الـشيخ جـودة عـن القطـب الربـاني سيدنا الشيخ محمد البكري الكبير، أن من قرأ هذه الصيغة – يعنـي صـيغة الفاتح التي أوردها قبل بنصها: اللهم صَلِّ عـلى سـيدنا محمـد الفـاتح لمـا أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المـستقيم

---

١ - نفس المصدر ص١٧٨.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم – عقب كل فريضة ثلاث مرات لم يدخل النار، وإن دخلها فليأخذ بلحيته وليدخله بدله[1]، انتهى لفظا ومعنى مع ضبط الرواية وصدق السند»[2].

ثانيا، من كبار أتباع سيدنا الشيخ جودة والآخذين عليه من أولياء عصره وتابعيهم

عُرِفَ في الوسط الصوفي ولدى المحققين أن سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه كان يمثل قمة الولاية في عصره، فكان المنهل العذب المورود الذي يقصده أهل العناية، فلا عجب أن يفد إلى ساحته المحمدية أولياء واصلون قطعوا في الطريق مقامات عديدة ونالوا رتباً فريدة للاستزادة والترقي، فليس للكمال الولائي نهاية وما من كمال إلا وعند الله تعالى أكمل منه، كما أنه ليس بدعاً أن ينال ولي في طريقة أحمدية أو دسوقية ونحوهما عهد التبرك النقشبندي ويأخذ قبضة الكمال الولائي من سيد أولياء عصره مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره العظيم.

ثم يدخل في الاعتبار -في تصنيفنا هذا- أن نذكر في هذا الصدد بعض من برزوا من أتباع سيدنا الشيخ جودة كنقشبنديين احتلوا مراكز للإرشاد والسلوك ولمعت أسماؤهم في الأفق الصوفي وتبعهم حشود من الأتباع والمريدين السالكين حتي لحق الشيخ منهم بالرفيق الأعلى وهو على قدم التبعية لشيخه مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه.

---

١ – أقول: إن المعنى أنه لا يوفق للمواظبة على قراءة هذه الصيغة بالعدد المذكور عقب الفرائض إلا السعداء ممن سبقت لهم الحسني من الله تعالى وليس ذلك تحتماً على الله سبحانه بل بفضله ورحمته كما ألهم به أولياءه، أما من حق عليه العذاب والعياذ بالله تعالى فإنه لا يوفق لذلك.

٢ – انظر نفحة قدسية ولمحة محمدية في التوسل إلى الذات العلية للشيخ عبد الوهاب حسنين وهدان، ط: مطبعة ومكتبة الوفاء والسنبلاوين ص١٠.

وسنعرض فيما يلي لنخبة من كبار من عاصروا وزير النبي ﷺ من الأولياء وأخذوا عنه الطريقة النقشبندية.

١ – فمن أكابر الأولياء المعاصرين لسيدنا الشيخ جودة الآخذين على يديه العهد النقشبندي المبارك، الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوي «المتوفى سنة ١٣٤٥هـ – سنة ١٩٢٨ م» ﷺ، ولد بقرية «أبي حريز» من قرى مركز كفر صقر بالشرقية وحفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر الشريف وتلقى عن كبار علماء عصره كالشيخ عبد الله الشبراويني والشيخ محمد الإنبابي والشيخ الخضري الأزهري وغيرهم.

فكان قرينا لشيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه في الأخذ عن بعضهم، ثم تلقى الطريقة الخلوتية عن سيدي عمر الشبراوي سنة ١٢٧٧ هـ وخلفه فيها وصار من كبار الأولياء العلماء، وله مؤلفات منها: «الكوكب الدري»، «ري الظمأن» «منحة المنان»، وكلها مطبوعة[1].

وقد أخبرني شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما أن الشيخ «منصور أبو هيكل» قد التقى بسيدي الشيخ جودة في مقام سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه في مولده في أحد الأعوام وطلب الشيخ منصور من سيدنا الشيخ جودة أن يأخذ على يديه عهد الطريقة النقشبندية فأعطاه إياه في الضريح الأحمدي المبارك[2] رضي الله عنهم جميعا ونفعنا بهم آمين.

---

١ – انظر كتاب فوح المسك الذكي في تاريخ وكرامات القطب الولي عمدة الواصلين وتاج العارفين سيدي الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوي للشيخ عبد الرحمن سالم نصر الدين ص ٣٢، ٣٤، ٤٦ ط: مطبعة حلبي بدمنهور والإسكندرية.

٢ – حدثني بذلك سيدنا الشيخ عيسي جودة رضي الله عنهما أكثر من مرة وأكد ذلك لدي مراجعة مادة هذا الكتاب مع حضرته إبان تصنيفه في ٢٧ شوال ١٤٠٩هـ وذكر أن أخذ الشيخ منصور هيكل العهد من سيدنا الشيخ جودة كان بحضور والد الشيخ الأحمدي الظواهري الذي كان شيخنا للجامع الأحمدي وبعض الأسرة الظواهرية.

٢ – وممن أخذ العهد النقشبندي عن مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه من كبار الأولياء المعاصرين: الشيخ عبد الفتاح القاضي الشبلنجى «١٣١٧هـ – ١٣٨٢هـ» شيخ العارف بالله تعالى الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف «سابقاً» والدكتور حسن عباس زكي وزير الاقتصاد الأسبق والسيد المهندس عمر بك مرعي، والعديد من زمر السالكين على يديه طريق الحق تبارك وتعالى، وكانت طريقته أولاً شاذلية حصافية.

وقد صنف خليفته المبارك الشيخ عبد الجليل قاسم كتاباً حافلاً في مناقب شيخه وأسماه «المنار الهادي في خصائص شيخنا القاضي» وتناول فيه صلة الشيخ القاضي بأولياء عصره وعرف بالأعلام الذين أثروا في شيخه وأخذ عنهم عهد التبرك فذكر في مقدمتهم مولانا الشيخ جودة قدس الله سره قائلاً: «ومن أولياء الله الذين اتصل بهم في عصره متبركا: سيدي ومولاي الشيخ جودة أبو عيسى دفين منيا القمح شرقية».

ثم أخذ في ترجمة مولانا الشيخ جودة والتعريف بمولده ونشأته العلمية والطرق الصوفية التي تلقاها -نحوا من أربعين طريقة- ثم تحدث عن بعض مآثره قائلاً: «وكان يرى حاجات الناس في صورة محسوسة، بارزة، ليقضيها لهم بغير سؤال، ومع قوة حاله كان حريصاً على أداء فرضه وعبادة ربه، ثم حببت إليه الخلوة فكان لا يخرج إلا نادراً لهداية الناس وإرشادهم ونشر الطريق بهمة قوية لم تعهد، ومن كلماته: «كثير الدنيا لا يضرك مادام في يدك ولم يصل إلى قلبك، وقليلها إذا نفذ إلى قلبك أفسد عليك أمر دينك»[1].

---

١ – انظر كتاب الأنوار القدسية للشيخ يس السنهوتي ص ٢٦٨.

ولم ينقل ﷺ إلا وقد أخذ الغوثية، كما أخبرنا بذلك شيخنا ﷺ[1].

ثم تناول الشيخ عبد الجليل قصة أخذ شيخه القاضي الطريقة النقشبندية عن سيدنا الشيخ جودة عليه رضوان الله تعالى فقال: كذلك أخذ الطريق من شيوخ عصره للتبرك، فأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ جودة إبراهيم -دفين منيا القمح شرقية- وكان ذلك قبل جذبته بوقت طويل.

وذكر لنا شيخنا ﷺ قصة ذلك العهد فقال: عندما ذهبت إلى منية القمح قصد التبرك بأخذ العهد، قيل لي: «إن الشيخ دخل خلوته ولا يمكن دخول أحد عليه الآن» وبينما أنا أتناقش مع بعض مريديه في رغبتي في أخذ العهد اليوم، إذ بباب الخلوة يفتح، وينادي علي، فدخلت عليه وأخذت منه العهد»[2]. هذا وقد أسس الشيخ القاضي مسجده الكائن بشبلنجة قليوبية في حياته وأقيم له به ضريح مبارك بعد انتقاله.

٣ – ومن خواص أتباع مولانا الشيخ جوده عليه رضوان الله تعالى ممن وصلوا إلى مقامات عليا في الولاية ووصل على أيديهم أولياء في الطريق النقشبندي الشيخ عبد الرازق التصفاوي الكائن ضريحه ببلدة «تصفا» مركز كفر شكر بمحافظة القليوبية، كان رضوان الله عليه من أكابر المخلصين في محبة سيدنا الشيخ جودة قدس الله سره.

وكان إذا جاءه زائراً، يتخذ إليه أحد مريديه الملازمين له وسيلة إليه لينال عظيم عنايته، وقد أخبرني والدي سيدي محمد أبي اليزيد عليه رضوان الله أنه كان ذات يوم في ملازمة شيخه سيدنا الشيخ جودة ﷺ، فدخل الشيخ عبد الرازق إلى الساحة الجودية فلقى والدي أمامه، فقال

---

١ – المنار الهادي في خصائص شيخنا القاضي للشيخ عبد الجليل قاسم ص: ٤٨ ط / حسان بالقاهرة.

٢ – نفس المصدر ص١١٠.

له، إني أتوسل بك إلى سيدنا الشيخ جـودة لينظـر إليّ، فأخـذه والـدي إلى خلوة مولانا الشيخ جودة عليه الرضـوان ليـنعم بـصحبة مـن جعلـه الله حجة على أولياء عصره.

وهكذا كان الأدب الربـاني مجسدا في صـفوة الأتبـاع الجـوديين، فارتقوا إلى ذُرَى الشموخ والقرب الإلهي، وقد سلك على يد الشيخ عبـد الرازق التصفاوي نخبة من النقشبندية الجودية، فكان منهم الـشيخ أحمـد نور الـذي سـنعرف بـه بعـد، وكثـير مـن المريـدين في «تـصفا» والـبلاد المجاورة.

٤ – ومن أبرز أتباع مولانا الشيخ جوده إبراهيم قدس الله سره، العـارف بـالله تعالى الشيخ أحمد نور، الكائن ضريحه ومـسجده بـشبرا الخيمـة بالقـاهرة الكبرى، وأصله من كفر تصفا مركز كفر شكر حاليا.

لقد جذبه نور وزير المصطفى ﷺ فهرع إلى ساحته الجودية المباركة وعند مثوله بين يدي سيدنا الشيخ جـودة رضـوان الله عليـه، طلـب منـه القبضة الجودية، فقال له مولانا الشيخ جـوده عليـه الرضـوان: «سـتلقى شيخك بعد أربع سنين وأربعة أيام» وبعد انقضاء المـدة المـذكورة بـالتمام لقي الشيخ عبد الرازق التصفاوي، فكاشفه الشيخ عبـد الـرازق بكلمـة سيدنا الشيخ جودة السابقة، وأخبره أن الوقـت قـد حـان لتلقيـه العهـد النقشبندي، فأخذ عنه الطريقة نيابة عن سيدنا الشيخ جودة ﷺ.

وأخذ في الاشتغال بأذكار وأوراد الطريقـة حتـى شـاء الله لـه أن يجدد العهد على سيدنا الشيخ جودة مباشرة، ثم أقام مـدة ببلـدة «تـصفا» وكان يحترف الخياطة ثم انتقل إلى القاهرة وأقام في «شبرا»، وكثـر أتباعـه والآخذون عليه، وكان شديد التعظيم لشيخه مولانا الشيخ جودة الـذي

جعل الله فتحه على يديه ولقي ربه على درجة عليا في الولاية والولاء لشيخه العظيم، مع أن فريقا من أتباعه قد حجب عن اقتفاء أثر شيخه في صدق ولائه لشيخه الأكبر مولانا الشيخ جودة قدس الله سره وأدام قلوبنا على حبه وبره في الدارين آمين.

٥ – ومن عظماء أتباع مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره الكريم: مولانا السيد سليم بن مولانا السيد عليوة المسلمي، الكائن مقامه بجوار مقام والده العظيم سيدنا الحاج عليوه المسلمي ببلدة «الأحراز» التابعة لشبين القناطر.

لقد كان السيد سليم على الرغم من أنه فرع الدوحة المسلمية الشريفية وآباؤه من أعاظم الأولياء والمربين شديد الحب والولع بسيدنا الشيخ جودة فقدم إلى ساحته النورانية وأخذ العهد منه، وأقام بالخلوة الجودية واشتغل بأذكارها تحت نظر وإمداد مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه، فجاءه الفتح الإلهي وصار من كبار الأولياء وكان من أهل الجذب الشديد ﷺ.

٦– ومن أكابر أتباع سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم أبو بدير النقشبندي، وهو من قرية «كفر عمر مصطفى» مركز منيا القمح، وقد التحق بالأزهر الشريف وتخرج منه وصار من أفاضل العلماء، وقد جمعته العناية الأزلية على قطب عصره مولانا الشيخ جودة فأخذ منه الطريقة النقشبندية ولزم أذكارها وتحقق بآدابها حتى صار من خاصة الأولياء فاجتمعت عليه القلوب.

وكان داعية نقشبندياً أخذ عنه جم غفير من الأتباع والمريدين حتى لحق بجوار ربه في نهاية القرن الهجري الرابع عشر، وأقيم له ضريح ملحق

بمسجده الكبير بكفر عمر مصطفى ﷺ وله مولد كبير يقام في رحاب مسجده ومقامه كل عام.

٧- ومن كبار الأولياء المعاصرين لسيدنا الشيخ جودة ﷺ وكانوا من أتباعه وتحت نظره العالي، العارف بالله تعالى الشيخ محمد أبو عزب ﷺ. أصله من «دنديط» مركز ميت غمر، وكان من علماء الأزهر الشريف المزاملين لمولانا الشيخ جودة قدس الله سره. وقد وفد إلى ساحته المباركة وأخذ عنه عهد الطريقة النقشبندية.

وكان يحضر كل من يعرفه ويتوسم فيه الصلاح إلى سيدنا الشيخ جودة ﷺ ليسلك على يديه، مع أنه كان على قدم عظيم في الولاية ومن أهل التصريف الذين ظهرت على يديهم كرامات عديدة وخوارق جمة وأحوال باهرة. فكان كل من ينكر عليه يبتلى في الحال في دينه أودنياه، ولما شاع تصرفه في المنكرين عليه: أمره سيدنا الشيخ جودة ﷺ وعنا به بأن يرتحل «إلى السويس»، فأقام بها حتى انتقل بها إلى جوار ربه الكريم، وأقيم له بها ضريح يزار ويتبرك به، رضي الله تعالى عنه.

٨- ومن كبار أتباع مولانا الشيخ جودة ﷺ من أهل التسليك والتربية: الشيخ إبراهيم سلام من «شبرا بلولة» مركز السنطة غربية، كان من عامة الصالحين، وكان يحترف صناعة الحصير ببلده. فلما سمع الكثير من مناقب شيخنا الشيخ جودة رضوان الله عليه أقبل على ساحته وأخذ العهد منه ولزم مولانا الحاج عليوة عطية نقيب الإخوان عليه الرضوان.

ودخل الخلوة واشتغل برياضتها وتوجهاتها ففتح عليه، وذهب إلى بلدة أكسيرا نورانياً فالتفت حوله القلوب وكان ممن أخذ عنه وفتح عليه:

الشيخ محمد أبو قطنة من المنشية الكبرى مركز ميت غمر -وقتها- ﷺ.
كذلك أخذ عنه الشيخ علي نصار ونشر الطريقة النقشبندية بميت الدريج.

٩- ومن خاصة أتباع مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه وعنا به: الشيخ مصطفى محمد البقري من بلدة «دويدة» مركز ميت غمر. وكان شيخاً لمعهد كشك بزفتى تلقى الطريقة النقشبندية عن فرد زمانه سيدي الشيخ جودة ﷺ واشتغل بها حتى واتاه الفتح الإلهي.

وقد أقام ببلدة «الروضة» مركز فاقوس، وتوفى بها بعد أن نشر الطريقة النقشبندية بها وبالمناطق المجاورة، إذ كان يحضر المريدين من تلك البلاد للوصول على يد مولانا الشيخ جودة قدس الله سره ورضي عنه. وكان من أتباعه الشيخ محمد أبو زيد الذي كان إماما للقبة الحسينية الشريفة في السبعينيات.

١٠- ومن أكابر الأولياء الذين تلقوا الطريقة النقشبندية عن مولانا الشيخ جودة قدس الله سره من المعاصرين له: الشيخ محمد الحافظ التيجاني ﷺ إمام الحديث والتصوف. أصله من المغرب، وينتمي للولي الكبير سيدي أحمد بن محمد بن فتحا ابن محمد بن فتحا ابن المختار التجاني مؤسس الطريقة التيجانية بالمغرب «ت سنة ١٢٣٠هـ»[1].

ثم قدم الحافظ التيجاني إلى القاهرة وجاور في المغربلين بالقاهرة وكان مقيما بها في غضون الستينات والسبعينات من هذا القرن الميلادي وله مؤلفات عديدة في علوم السنة والتصوف ﷺ. وقد أخبرني شيخنا الشيخ عيسى رضي الله تعالى عنهما أن الحافظ التيجاني قدم إلي مولانا الشيخ جودة رضوان الله عليه في حياته، وأقام بالمنزل الجودي ستة أشهر

---

١ - انظر ترجمته بمعجم المؤلفين لعمر كحالة ٢/ ١٤٣.

وأخذ الطريقة النقشبندية عن سلطان أولياء عصره سيدنا الشيخ جودة ثم إنه صحب مولانا الشيخ عيسى في الحج إلي بيت الله الحرام «سنة ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م».

كما أخبرني أخي في الله تعالى الشيخ أحمد عمارة بكرامة جودية وقعت للشيخ التيجاني لدى إقامته بالخلوة الجودية بمنيا القمح، حيث سمع من أحد الثقات أن الحافظ التيجاني كان بالخلوة ليلا، فتسلل أحد اللصوص لسرقة ساعته الثمينة التي وضعها بثيابه المعلقة.

وفي اللحظة التي امتدت إليها يد اللص للسرقة، سمع الحافظ التيجاني صوت مولانا الشيخ جودة من داخل حجرته الخاصة ينادي الشيخ التيجاني، ويقول له، كم الساعة الآن؟ فانتفض من استغراقه وقام إلى أخذ الساعة من الثياب فأمسك بيد اللص في جيب ساعته، فكانت من كرامات شيخنا الشيخ جودة ﷺ.

ثالثاً: من كبار أتباع مولانا الشيخ جودة والآخذين عليه من شيوخ الأزهر وكبار علماء الإسلام

عرف كبار علماء الإسلام وشيوخ الأزهر المعاصرون لسيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه منزلته وشموخه في العلم والولاية، والتشرع والتحقق، ورأوا فيه عالم الأولياء، فأقبلوا إليه ينهلون من فيض عطائه الرباني، ويقبسون من مشكاة عرفانه أقباسا من ميراث النبوة في المعرفة والتحقيق، ويسلكون على يده طريق المولى عز وجل ويتبركون بقبضته المباركة.

وسنذكر فيما يلي طائفة من هؤلاء العلماء الأساطين الذين تلقوا عن سيدنا الشيخ جودة عهد الطريقة النقشبندية سلوكاً وتبركاً:

١- شيخ الإسلام الشيخ محمد الأحمدي الظواهري الشافعي «١٢٩٥ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٨ - ١٩٤٤م».

ولد في قرية «كفر الظواهري» بالشرقية، والتحق بالأزهر الشريف وتلقى العلم عن نخبة من كبار العلماء ومنهم الشيخ محمد عبده الذي قال له: «إن أباك سماك الأحمدي نسبة إلى السيد أحمد البدوي»[1].

وتدور الأيام ويتولى الشيخ الأحمدي مشيخة الجامع الأحمدي بطنطا، وكان والده الشيخ إبراهيم الظواهري الذي كان من كبار المتصوفة، ثم نقل الشيخ الأحمدي إلى أسيوط شيخا لمعهدها مدة.

وقد شق عليه تركه لمشيخة المعهد الأحمدي الذي كان يلي الجامع الأزهر في المكانة العلمية وتنال فيه درجة العالمية، فضلا عن مجاورة سلطان الأولياء سيدي أحمد البدوي ﷺ تعالى وعنا به.

وفي أثناء تقلد الشيخ الأحمدي لمشيخة معهد أسيوط قدم إلى سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه بمنيا القمح. وسأله أن يدعو الله تعالى ليعود شيخنا لمعهد طنطا، فأجابه وقال له «إنك ستعود شيخاً لمعهد طنطا وسترقى للأزهر»!! وبالفعل عاد إلى مشيخة المعهد الأحمدي.

وكثر تردده على مولانا الشيخ جودة، وأخذ عليه عهد الطريقة النقشبندية -مع سبق تلقيه عهد الشاذلية- وصار من كبار أتباع سيدنا الشيخ جودة عليه الرضوان؛ وتحققت بشراه له وَوُلِّيَ مشيخة الأزهر في العام التالي لانتقال شيخنا الشيخ جودة قدس الله سره «سنة ١٩٢٩م» وهو الذي سعى مع شيخنا الشيخ عيسى في عمل المولد الجودي الشريف كما سبق أن بينا.

---

١ - انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٦ وكتاب: مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن تأليف على عبد العظيم ٢/ ٤٧ نشر مجمع البحوث الإسلامية.

٢ – الإمام الشيخ مصطفى عبد الرازق «١٨٨٥ – ١٩٤٧ م»: ولد بقرية «أبو جرج التي تبعد عن البهنسا خمسة عشر كيلو مترا وتتبع مركز بني مزار بمحافظة المنيا»، وكان جده الأعلى -الشيخ عبد الرازق- قاضيا على مدينة البهنسا، ووالده حسن باشا عبد الرازق كان نائبا عن مديرية المنيا بمجلس النواب، وقد حفظ الشيخ مصطفى القرآن الكريم والتحق بالأزهر الشريف، وتأثر بالشيخ محمد عبده الذي كان صديقا لوالده.

وحصل على درجة العالمية من الدرجة الأولى سنة ١٩٠٨ وسافر إلى فرنسا لدراسة الفلسفة بالسوربون سنة ١٩٠٩ وأعد رسالة الدكتوراه عن الإمام الشافعي باعتباره أكبر علماء الشرع في الإسلام، ونال لقب أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة سنة ١٩٣٥، ثم اختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٣٨م، وكان أول شيخ أزهري يلي هذا المنصب، ثم عين شيخا للأزهر ١٩٤٥م[١].

ولقد حدثني شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما: أنه كان في زيارة للشيخ مصطفى عبد الرازق وهو وزير للأوقاف وكان معه آنذاك محمد بك جودة عبد الرحمن نصير -الذي كان عضوا بمجلس النواب- وخلال لقائهما بالشيخ مصطفى عبد الرازق جاء ذكر سيدنا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه. فقال الإمام مصطفى عبد الرازق: «أنا أعتبر من أتباع سيدنا الشيخ جودة وممن يتبركون به في كل وقت»[٢].

٣ – الشيخ النجدي محمد بن سالم الشرقاوي «المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، عن تسع وثمانين سنة» كان رحمه الله تعالى شيخ مشايخ الشافعية بالأزهر الشريف،

---

١ – انظر مشيخة الأزهر للأستاذ على عبد العظيم ٢/ ٧٩ – ٨٧.

٢ – تلقيت هذه المعلومة في مكالمة تليفونية مع شيخنا الشيخ عيسى اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ١٤٠٩.

وكان يلقب بالشافعي الصغير، وقد لقب بالنجدي لأن أمه ولدته عند ضريح ولي بالشرقية يُعرَف بالنجدي فأطلق عليه هذا اللقب، وقد تلقى العلم عن أساطين عصره مثل الشيخ مصطفى المبلط «ت سنة ١٢٨٤هـ» والشيخ إبراهيم السقا -الذي أخذ عنه مولانا الشيخ جودة ﷺ- «ت سنة ١٢٩٨هـ» والشمس محمد الإنبابي «ت سنة ١٣١٣هـ»[1].

وقد ذكر لي مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما أن الشيخ النجدي قد عرضت عليه مشيخة الأزهر فأبى أن يقبلها، زهداً في مناصب الدنيا وإيثاراً للعمل للأخرى وفراراً من الفتن، وهكذا شأن الشوامخ من صفوة العلماء والعاملين!!.

كما حدثني شيخنا الشيخ عيسى بأن الشيخ النجدي كان من خاصة أتباع سيدنا الشيخ جودة رضوان الله عليه من أساطين العلماء، وأنه أخذ العهد عليه، وكان ممن لا ينقطعون عن زيارته، وكان يحضر معه أحبابه ومعارفه لتلقي الطريقة النقشبندية عن قطب عصره سيدنا الشيخ جودة، وقد مر بنا أنه صحب مولانا الشيخ عيسى لدى القيام بإجراءات عمل المولد الجودي وأنه قال للشيخ عبد الحميد البكري إن سيدنا الشيخ جودة ممن يتبرك بنعاله!! ﷺ كفاء إخلاصه وتقديره لصفوة أولياء الله العارفين.

٤- الشيخ محمد بن عفيفي الخضري «١٢٨٩-١٣٤٥هـ = ١٧٨٢-١٩٢٧م».
كان رحمه الله من أبرز العلماء في الشريعة والأدب وتاريخ الإسلام، وقد تخرج من دار العلوم وعُيِّنَ قاضياً شرعياً في الخرطوم، ثم مدرساً في مدرسة القضاء الشرعي على مدى اثني عشر عاما وأستاذاً للتاريخ الإسلامي

---

١ - انظر التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز للشيخ محمد زاهد الكوثري ص٤٥.

بالجامعة المصرية، فوكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي فمفتشاً بوزارة المعارف، ولـه مؤلفـات عديـدة مـن أبرزهـا: «أصـول الفقـه»، «تـاريخ التـشريع الإسلامي»، «إتمام الوفا في سيرة الخلفا»، «نور اليقين»، وغيرها[1].

وكان الشيخ الخضري رحمه الله مـن خُلَّـص أتبـاع مولانـا الـشيخ جودة ﷺ وأعرفهم بفضله لاسيما بعد واقعـة مثولـه في حـضرته والقـارئ يطالع في أحد كتب العلم فلما لحـن في العربيـة أمـام الـشيخ وأغـضى عنـه حيث لم يكن لحنة في قرآن أو حديث وخطر للشيخ الخضري سـهو الـشيخ عن الخطأ فأمسك بالكتاب مـن القـارئ ليقـرأ، فحبس عنـه العلـم فلـم يستطع القراءة، فتوسل إلى سيدنا الشيخ جودة وناشده أن لا يكون سببا في سلب نعمة العلم منه إذ هي رأس ماله. وعلى أثرها امتلأ الشيخ الخـضري باعتقاد شيخنا الشيخ جودة وأخذ عنه الطريقة وصار من أعيان أتباعهﷺ.

٥- الشيخ عبد المجيد اللبان الذي كان أول عميد لكلية أصول الدين بجامعـة الأزهر الشريف حيث عُيِّنَ عميداً لها بمرسوم ملكي من الملـك فـؤاد سـنة ١٩٣١م بمقتضى القانون رقم ٤٩ سنة ١٩٣٠م لإصلاح الأزهـر في عهـد مشيخة الشيخ الأحمدي الظواهري الـذي كـان مـن أتبـاع مولانـا الـشيخ جودة، صوفيا كما تقدم. وقام بالإصلاح المنـشود في تـدعيم كيـان الأزهـر ككعبة للعلم والعلماء، فكان الشيخ اللبان مضطلعاً بمهمة تربيـة وتخـريج العلماء من كلية أصول الدين في ظل التخصص العلمي الذي حـدد لهـا في خطة الإصلاح.

وقد كان الشيخ عبد المجيد اللبان من العلماء الذين أخـذوا العهـد النقشبندي الجودي ووصلوا على يد سيدنا الشيخ جودة رضـوان الله عليـه

---

١ - انظر الإعلام للزركلي ٦/ ٢٦٩.

بالسلوك إلى درجة التحقيق. وكان يتردد كثيرا على الساحة الجودية لزيارة مولانا الشيخ جودة والاغتراف من ينابيع أنواره وتحقيقه ويفخر بتبعيته له كما أخبرنا شيخنا الشيخ عيسى أعلا الله مقامه.

٦- الشيخ محمد سليمان إبراهيم عنارة «ت١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م»: كان من أفاضل علماء العصر وأثباتهم، تعلم بمدرسة القضاء الشرعي وولي القضاء في «ببا» من أعمال بني سويف، ثم كان نائباً في المحكمة العليا الشرعية بالقاهرة ومولده ووفاته بها، وله عدة تصانيف قيمة، من أبرزها «من أخلاق العلماء»، «الأدب العصري»، «بأي شرع نحكم»؟ «رسالة في ترجمة معاني القرآن».

وقد كان الشيخ محمد سليمان من أعيان أتباع شيخنا الشيخ جودة ﷺ الملتزمين بمنهاج طريقته النقشبندية الجودية. وقد ورَّث انتماءه الجودي لذريته التي تتردد الآن على فضيلة نجله وخليفته مولانا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما.

٧- الشيخ محمد بن ماضي بن محمد الرخاوي «ت سنة ١٣٤٤هـ = سنة ١٩٢٥» نسبته إلى «ميت رخا» موئل أصله، بيد أن مولده ووفاته في بلدة «هورين» التابعة للسنطة بمحافظة الغربية، وبها بدأ تعليمه، ثم التحق بالأزهر الشريف ونهل من ينابيعه النقلية والعقلية حتى تخرج عالماً فاضلاً متبحراً في علوم التفسير والتوحيد والفقه والبلاغة وغيرها، وصنف فرائد من المصنفات منها: «شرح المقولات العشر»، «الفريدة في العقيدة»، «الفتح الداني في علوم البلاغة»، «الحق المتبع في معنى البدع». وغير ذلك[1].

١ - انظر أعلام للزركلي « ٧/ ١٦ ط: الرابعة » ومعجم المؤلفين لعمر كحاله ١١/ ١٦٨.

وكان الشيخ محمد ماضي الرخاوي من خاصة أتباع شيخنا الأكبر مولانا الشيخ جودة إبراهيم رضي الله تعالى عنه وعنا به، دائم التردد على ساحته المباركة متحققا بآداب الطريقة النقشبندية الجودية، وقد سار على نهجه ابنه الشيخ محمد الرخاوي الذي كان طالباً في الأزهر الشريف في حياة شيخنا الأكبر رضوان الله عليه وأخذ منه العهد النقشبندي.

وقام بطبع كتاب «الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية» على نفقته واضطلع بتصحيحه ومعاونة الشيخ يس السنهوتي في إخراجه للقراء في حياة مولانا الشيخ جودة قدس الله سره سنة ١٣٤٤هـ.

وهذا الكتاب في حقيقته: هو كتاب الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشنبدية للشيخ عبد المجيد الخاني، وقد أضيف إليه تراجم السادة الأجلاء: سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي وسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي وسيدنا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره الكريم وأمدنا منه بالمدد العميم في الدنيا ويوم الدين اللهم آمين.

* وإلى جانب من ذكرنا من أفاضل العلماء الذين حازوا شرف الصحبة والتبعية الجودية ونهلوا من فيوضات أنوار وزير النبي ﷺ: هناك الكثير والكثير ممن استمدوا من عين التربية الجودية؛ ووصلهم من الإمداد قدر ما قسمت لهم المشيئة الأزلية.

فإن كثيراً من الوقائع والتصريحات التي أدلى بها أثبات علماء الأزهر الشريف تؤكد أن مولانا الشيخ جودة ﷺ كان عظيم التأثير في علماء عصره وكان العروة الوثقى التي وصلت الكثيرين منهم بالله عز وجل.

ومن ذلك -على سبيل المثال- ما أدلى به الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف الأسبق -رحمة الله عليه- للشيخ محمد الغزالي إبان إيفاد بعثة

التحرير للحج، حيث كان مقررا للبعثة أن تصلي الفجر في المسجد الحسيني والجمعة في مسجد مولانا الشيخ جودة ﷺ.

وكان من المقرر أن يخطب الجمعة في المسجد الجودي الشيخ الباقوري فأناب عنه الشيخ الغزالي وقال له: كن حريصاً على تكريم سيدنا الشيخ جودة في خطبتك فإن مشايخنا كانوا تلامذة لسيدنا الشيخ جودة[1].

* ثم لقد حدثني شيخنا الشيخ عيسى – عليه وأبيه الرضوان – أن من بين كبار العلماء الذين كانوا يفدون على مولانا الشيخ جودة رضي الله تعالى عنه متبركين بأخذ العهد النقشبندي الجودي: الشيخ دسوقي العربي الذي كان رئيساً للجنة العلمية التي امتحن عليها الدكتور طه حسين في الأزهر الشريف.

* ومنهم أيضاً: الشيخ يوسف الشبرابخومي والشيخ إسماعيل المسلاوي والشيخ عوض الله المرصفي وغيرهم.

* ومن الشخصيات التي نالت شرف العهد النقشبندي الجودي من مشاهير قراء القرآن الكريم الشيخ على محمود، والشيخ محمد رفعت الذي أخذ القبضة النقشبندية أولاً من سيدنا الشيخ جودة ثم جدد العهد على سيدنا الشيخ عيسى مرة أخرى رضي الله عنهما.

* ثم لقد كان هناك اتصال روحي بسيدنا الشيخ جودة قدس الله سره لمن سبقت لهم العناية الربانية من الصالحين تارة بطريق الاتصال الظاهر وتارة أخرى عن طريق الرؤى المنامية، كما حدث للشيخ عبد المقصود محمد سالم مؤسس جماعة تلاوة القرآن الكريم وصاحب المؤلفات الصوفية المتداولة مثل «أنوار الحق»، «راحة الأرواح» و «في ملكوت الله مع أسماء الله» الذي قال فيه -في ترجمته الذاتية- تحت عنوان «حياتي في رحاب الأسماء» ما نصه:

---

١ - حدثني بذلك شيخنا الشيخ عيسى جودة رضي الله عنهما اليوم مؤكدا هذه الواقعة لدى التقائي بحضرنه عصر الجمعة في الخامس من ذي القعدة سنة ١٤٠٩هـ.

«كما أذنت بأوراد الطريقة النقشبندية بإشارة منامية وصلتني بالعارف بالله «الشيخ جودة إبراهيم العزيزي» المتوفى بمنيا القمح سنة ١٩٢٧م» [١].

* وهكذا نجد يد التربية الجودة النقشبندية قد شَعَّ نورها وعَمَّ أثرها في الآفاق وانضوى تحت ظلالها هامات العلماء ورءوس الأثبات الراسخين لينال عطاءها أهل العناية الإلهية. وليظفر بمددها السعداء من أمة خير البرية عليه من الله أزكى الصلاة والتحية.

* على أنني لا أدعي بمن ذكرت من أعيان المدرسة الجودة حصر روادها وطلابها، ولم يمتد طموحي إلى هذا الحصر إطلاقا ولا إلى بلوغ الغاية في شيء سطرته، إذ كيف يتسنى استشراف الاستقصاء ونشدان الحصر والإحصاء رغم مرور ثلاث وستين عاماً هجرية على رحيل شيخنا الأجل رضوان الله عليه، طوت في حناياها العديد والعديد من الرؤى والتفاصيل، بيد أن رحمة الله قد مدت يد العون على تسطير ما مَنَّ به الفتاح الوهاب في هذا الكتاب وكان أكبر العون -بفضل الله تعالى- مجسدا في المدد العلمي المستقى مشافهة ممن ادخرهم القدر الإلهي ليتم إنجاز هذا العمل لاسيما إمداد شيخاً الشيخ عيسى جودة ﷺ ومتابعته الدقيقة لجزئيات المادة العلمية لهذا المصنف الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يثقل موازين أعمال كاتبه يوم الدين ويقربه لرب العالمين.

١ - انظر كتاب «في ملكوت الله مع أسماء الله» للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص١٢٦.

حسن الخاتمة في رد الشبهات الآثمة

أولاً: شرعية التصوف وحقيقته:

- التصوف روح الإسلام والجانب الإحسانى فيه.
- تأصيل تسمية «الصوفية» وتحقيق وجودها في عصر التابعين وقبل ذلك.
- تصريح بن تيمية بأن الصوفية هم صديقو هذه الأمة.
- تأصيل مفاهيم التصوف من الكتاب والسنة وكلام العلماء ومنهم ابن القيم.

ثانياً: قضايا التوسل والتبرك:

- بيان حقيقة التوسل من القرآن الكريم وشموله للأعمال والذوات.
- تراجع ابن تيمية عن إنكار التوسل بذات النبي ﷺ.
- وجهة نظر أئمة الدين المجيزين للتوسل.
- عقيدة أهل السنة في نفى إسناد التأثير بالاستقلال أو المشاركة لغير الله تعالى.
- إثبات علماء الإسلام النفع والضرر السببين أو المجازيين لمن له جاه عند الله.
- أدلة التوسل بذات النبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء في الحياة وبعد الوفاة.

ثالثا: قضايا الزيارة وشد الرحال والتبرك:

- أدلة استحباب زيارته ﷺ وكذا آل البيت والصالحين.
- بيان كيفية انتفاع الزائرين بزيارة الموتى والقبور لاسيما أهل القرب والنور وكلام العلماء في ذلك.
- إبطال احتجاج المنكرين بحديث «لا تشد الرحال...إلخ».
- مشروعية التبرك بالأنبياء والأولياء وتفنيد دعاوى المنكرين.
- مشروعية إهداء ثواب قراءة القرآن وسائر القُربات إلى الأموات.

رابعا: الصلاة بالمساجد التي بها أضرحة:

- إبطال الاحتجاج للتحريم بحديث «لعن الله اليهود والنصارى إلخ».
- تبرئة الصوفية وجماهير الأمة من دعاوى الشرك والبدعة.
- بيان أن القصد من هذا الدفاع إظهار هذه التبرئة وليس فرض أذواق الصوفية على غيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من زمرة أهل الحق وأزهق عنا الباطل، وكشف الريب، وأعزنا بحب سيدنا رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام، وجعلنا موالين لأولياء الله الصالحين محبين لذواتهم المباركة ومناهجهم القويمه، وأنار لنا بهم الطريق وسلك بنا صراطهم المستقيم فأبصرنا فيه الهدى والرشاد وآتانا الله من فضله من وضوح الرؤية وساطع البرهان ما نصل به إلى درجة الإيقان بحيث لا تكاد تلوح في الأفق شبهة إلا ويتبعها شهاب ثاقب من وحي الكتاب والسنة، فتذوب في الفضاء من وهج سطوعه وتألق نُورانيته، كما تذوب قطعة الثلج حين تحرقها أشعة الشمس.

ومن ثم كانت كل قاعدة في سلوك القوم الصوفية واضحة الانتماء إلى أدلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وكل معلم من معالم الطريق الصوفي الحقيقي جلي الارتباط بأصول الشرع المحمدي الحنيف مهما أرجف المبطلون ومهما جادل الزائفون.

وقد اقتضاني تصنيف هذا الكتاب -الذي يجسد جوانب بارزة من معالم طريقة صوفية رشيدة وشخصية عظمى من روادها- أن أوضح في نهايته خطوط الدفاع عن حقية التصوف وشرعية طريقه الوضاء، وأن أضع بين يدي سالكيه والراغبين في سلوكه وطلاب الحقيقة عامة قذائف الحق الدامغة وشهب الحقيقة الثاقبة التي تدمغ أباطيل المتعنتين وتلفح بنارها وجوه شبههم المارقة عن الحق والصواب.

وسأتناول في هذه الخاتمة -أتم الله حسنها بمشيئة الله وفضله- الشبهات التي توجه إلى التصوف والصوفية بتفنيد اللبس فيها وتبديد الإبهام

المكتنف لها لتنقشع غياهب الباطل المتلبس بها أمام ضوء الدليل القاطع من الكتاب والسنة ومن هدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ونظراً لتشعب أطراف تلك الشبهات وتفرعها وتكاثرها فإنني سأعمد إلى أصولها الرئيسية التي بإزهاقها تتداعى الفروع والشعب وتموت الجزئيات المتكاثرة لانحسار روح الباطل عنها بسطوة الحق الصريح.

الشبهة الأولى: حول شرعية التصوف وحقيقته:

يزعم خصوم الصوفية أن التصوف دخيل على الإسلام، وأنه لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى، وأنه لا سند له من الكتاب أو السنة بدليل أن كلمة «تصوف» أو «صوفية» لم ترد في القرآن الكريم أو على لسان الرسول ﷺ أو صحابته[1].

والجواب على ذلك: أننا حين نبغي الإنصاف في الحكم على التصوف لابد لنا من استحضار حقيقته عملاً بالقاعدة المشهورة: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره». فما حقيقة التصوف المُدعى عليه بأنه دخيل على الإسلام؟

لنستحضر بعضاً من تعريفاته الاصطلاحية التي تصور جوانب حقيقته: لقد عرفه الإمام أبو محمد الجريري ؓ بأنه «الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني»[2].

---

١ - تتردد هذه الشبهة على ألسنة الوهابيين وفي مصنفات خصوم الصوفية وقد نقلتها مجلة المسلم للرد عليها في العدد ٣٣ سنة ١٤٠٢هـ.

٢ - انظر الرسالة القشيرية للإمام القشيري بتحقيق د/ عبد الحليم محمود ٢/ ٥٥١.

أفيقال عن هذا إنه ليس من الإسلام؟؟ الإمام معروف الكرخي – رضوان الله عليه – عرفه بأنه «الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق»[1] فهل يعد ذلك خروجاً عن الإسلام؟؟

والإمام الشريف الجرجاني إذ يقول في التعريفات: «التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً فيسري حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنا فيسري حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال»[2].

فبالله هل يعتبر ذلك المعنى دخيلاً على الإسلام؟؟ وماذا يتبقى في الإسلام إذا تركت آدابه الشرعية وهجرت الحقائق إلى الأباطيل واستبد الطمع فيما عند الخلق، وخرج المسلمون من الأخلاق السنية ودخلوا في الأخلاق الدنية؟؟

إن التصوف بما أوردنا له من التعريفات وبما عرف في كتب العلماء هو روح الإسلام لأنه عبارة عن الجانب الإحساني من هذا الدين الحنيف الذي عرفه سيدنا رسول الله ﷺ –في الحديث المتفق عليه– بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

ترى هل وصل كل مسلم إلى مقام «أن تعبد الله كأنك تراه»؟ كلا، فما وصل إلا أهل الصفاء والمشاهدة الذين وصفهم الحق تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾[4] وبقوله سبحانه ﴿**مِّنَ**

---

١ – نفس المصدر: ص / ٥٥٢.

٢ – انظر التعريفات للجرجاني: ص ٥٢ ط / الحلبي.

٣ – خرجه صاحب «الفتح الكبير ١/ ٥٠٥» بهذا اللفظ عن الإمام مسلم والثلاثة، وأخرجه البخاري في صحيحه «١/ ١٢ ط حجازي» من حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان.. الخ بلفظ «قال ما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه...» إلخ.

٤ – سورة النور / ٣٧.

ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] وبقوله جل شأنه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[2]. ثم بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

أما دعوى أن التصوف لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى في الإسلام فهي دعوى باطلة ووهم كاذب، فإن التصوف كحقيقة ومادة هو عبادة وتزكية وخلق ومعرفة، وذلك كله في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم سيدنا محمد ﷺ فوجوده ملازم للكتاب والسنة بالضرورة.

ثم إن التصوف كتسمية، لا يقال إنه لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة أيضا إلا من منطلق الجهل بالحقائق العلمية والتاريخية، فإن اسم الصوفية كان موجودا على عهد التابعين وفي النصف الأول من القرن الثاني، إذ ثبت عن الإمام الحسن البصري – الملقب بسيد التابعين والمتوفى سنة ١١٠هـ عن ثمان وثمانين سنة ﷺ قال: «رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي»[4].

كما روى عن الإمام سفيان الثوري –الملقب بأمير المؤمنين في الحديث والذي قال عنه الإمام أحمد بن حنبل ﷺ. «لم يتقدمه في قلبي أحد» وتوفى سنة ١٦١هـ ﷺ– أنه قال: «لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء»[5].

---

١ – سورة الأحزاب / ٢٣ .

٢ – سورة الكهف / ٢٨ .

٣ – سورة يونس / ٦٢ – ٦٣ – ٦٤.

٤ – انظر الأثر في اللمع للطوسي ص٤٢ وترجمة الإمام الحسن البصري في تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٧١.

٥ – انظر الأثر في اللمع للطوسي ص٤٢ وترجمة الإمام الثوري في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣.

بل لقد كان لقب «صوفيّ» معروفاً قبل الإسلام ومقترناً بالنسك والعبادة، إذا قال صاحب «اللمع»: «وقد ذكر في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحق ابن يسار وعن غيره: يذكر فيه حديثا: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف. فإن صح ذلك: فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح والله أعلم»[1].

وقد نقل ابن منظور -في لسان العرب- عن ابن سِيدَه اللغوي في مادة «صوف» ما نصه: «وصوفة: أبوحي من مضر، وهو الغوث ابن مر أو بن طابخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي: يفيضون بهم. ابن سيده»[2].

وقال «وصوفة: أبوحي من تميم وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى»[3]. ومن ثم يعلم: أن اسم الصوفية ليس مستحدثاً بعد القرون الثلاثة بل له أصل -من قبل الإسلام- مرتبط بالتنسك والعبادة وينسب إليه العباد والزهاد الأخيار. فإذا ما قيل: ولماذا لم يطلق لقب الصوفية على صحابة النبي ﷺ أو التابعين من بعدهم؟؟

أجيب بأن الصحابة رضوان الله عليهم قد حازوا بصحبتهم لسيدنا رسول الله ﷺ أعظم شرف وأسمى فضيلة مع أنهم أئمة الزهاد والعباد والمخبتين والمتوكلين، لكن لعظم مكانة الصحبة التي ببركتها نالوا ما نالوه من الفضل والتحقق استحال أن يلقبوا بلقب غيرها أو يفضلوابفضيلة سواها إذ هي أشرف المناصب والمراتب فأوثر وسمهم بها.

---

١ - اللمع لأبي نصر السراج الطوسي بتحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ص٤٢.

٢، ٣- لسان العرب لابن منظور ١١/ ١٠٢.

ثم جاء التابعون الذين صحبوا الصحابة وراو تبعيتهم لهم أشرف سمة فلقبوا بالتابعين -مع أن لقب الصوفي كان موجوداً بصفة فردية كما بينا- وكذلك الأمر في أتباع التابعين.

إلى أن ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق وأخذت الدنيا طريقها إلى القلوب في نهاية المائة الأولى من الهجرة، وكادت الحقائق تبدل حتى خشي السلف الصالح على الدين، فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الحنيف، فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط قواعده وفروعه كأئمة الفقه الأربعة وأتباعهم وعرفوا بالفقهاء.

وقامت طائفة أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده كالإمامين الأشعري والماتريدي وأشياخهما وأصحابهما، وعرف هؤلاء بأهل الأصول وعلماء العقائد والمتكلمين.

وقامت طائفة أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله وسلوكياته كالإمام الجنيد والإمام معروف الكرخي والإمام المحاسبي وغيرهم وهؤلاء هم الصوفية.

ومن ثم يقول الإمام القشيري قدس الله سره: «فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم «التصوف»، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة»[1].

وإذا كان السلفية المعاصرون يحاولون المصادرة على التصوف حجة أن هذا الاسم لم يرد ذكره في الكتاب والسنة فإننا نقول لهم -بعد الإيضاح

---

١ - انظر في هذا التحقيق العلمي: اللمع للطوسي/ ٤٢ والرسالة القشيرية ١/ ٤٩ - ٥٠ والأعلام بأن التصرف من شريعة الإسلام للحافظ عبد الله الصديق الغماري ١٣- ١٤.

السابق- إن تسمية التصوف أو الصوفية مجرد تسمية اصطلاحية لها العديد من المرادفات والبدائل القرآنية والحديثية كالولاية والأولياء وكالتزكية، والإحسان، والربانية ونحوها وكلها تصيب مضموناً واحداً متفقا على حقيته وشرعيته، وشأن تسمية التصوف شأن تسميات العلوم الحادثة في الملة كمصطلح الحديث والنحو والبلاغة وعلم الكلام وغيرها. فهي أسماء اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح!!

على أننا لو واجهناهم بمثل منطقهم وقلنا لهم إن كلمة «السلفية» لا ذكر لها في كتاب أو سنة: لم يجدوا إلى الجواب عن ذلك سبيلاً!! ولكننا لا نتوقف عند الأسماء لأننا لا نتلهى عن اللب بالقشور ولا عن الأعماق بالصخور!!

ثم نقول بعد: إن ابن تيمية -إمام السلفيين- لم ينكر على الصوفية تسميتهم واشتقاقها ونسبتها إلى لبس الصوف كما فعل أخلافه، وسلم بأن صوفية الحقائق نوع من الصديقين، إذ قال بعد بيان معنى الصوفي في مصطلح القوم: «وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق»[1]. وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال الله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[2]

ولهذا: «ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي، لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه... »[3].

---

١ - الصديق: ضبطه بتشديد الدال وكسرها بعد الصاد المكسورة.

٢ - سورة النساء / ٦٩.

٣ - انظر رسالة الصوفية والفقراء في مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد الحادي عشر ص ١٦ -١٧.

ثم قال بعد إيراد آراء الطوائف المختلفة في شأنهم: - «والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطيء وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم[1] من هو ظالم لنفسه عاص لربه»[2].

هذا هو حكم ابن تيمية في الصوفية وكتبه طافحة بالنقول عن أئمتهم العارفين المتحققين، أفيقال بعد ذلك، إن التصوف دخيل على الإسلام ولا سند له من الكتاب والسنة؟؟ كيف وكل قواعده ومعالمه مستقاة من القرآن العظيم وهدي البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه؟؟ وآية ذلك - على سبيل المثال – أن الإمام عبد الله الأنصاري الهروي «ت سنة ٤٨١هـ» رضوان الله عليه قد صنف كتابه الفريد «منازل السائرين في بيان مقامات السالكين في طريق الصوفية المستقيم» ورتبه على عشرة أقسام كل منها عشرة أبواب مستدلاً لها بآي القرآن العظيم ومؤصلاً لها بالأدلة التنزيلية.

وقد جاء ابن القيم «السلفي» فشرح هذا الكتاب الثمين بكتابه «مدارج السالكين» في ثلاثة مجلدات وقرر فيه جل الحقائق الصوفية بما لا يقبل الارتياب!!

وكذلك صنف الكثيرون من العلماء الأثبات المحققين على مر القرون مصنفات عديدة توثق منهج الصوفية وتقيم دلائل شرعيته واستقامة مسلكه، وأمامنا من الكتب المعاصرة مثلا كتب الحافظ عبد الله الصديق الغماري ومنها

---

١ - لاحظ تعبيره بقوله «ومن المنتسبين إليهم» إذ لم يقل «وفيهم» كما قال في الصنفين السابقين: السابقين المقربين وأصحاب اليمين، للإشعار بأن الظالمين لأنفسهم ليسوا في الحقيقة من الصوفية.

٢ - الصوفية والفقراء بمجموع فتاوى ابن تيمية ص١٨.

«الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام» وكتب الحافظ أحمد بن الصديق ومنها «إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء».

ومصنفات الشيخ عبد ربه سليمان والشيخ صالح الجعفري وكذا مصنفات وأبحاث الدكتور عبد الحليم محمود ومصنفات الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية وصاحب مجلة المسلم الموضحة لمفاهيم التصوف الرشيد، وغير ذلك مما يتطلب بيانه سجلاً حافلاً.

وإنني أهيب بشباب الإسلام الناهض أن يقرأ ويقرأ في مصادر الحقيقة من كتب علمائنا العظام دون تعصب مسبق أو انغلاق في دائرة مذهبية محجوبة عن الضوء الكاشف الذي يملأ الآفاق خارجها، ولنكن جميعا طلاب حقيقة، مخلصين لله لا نبغي بطريقة بديلا، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه. آمين.

الشبهة الثانية: حول التوسل والوسيلة:

يزعم خصوم التصوف من الوهابية ومن لف لفهم: أن التوسل والتشفع إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين إنما هو الشرك الأكبر المنافي لتوحيد الألوهية، وأن مقترفي ذلك كعباد الأصنام الذين قالوا: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»[١] وأن هذا التوسل لم يأتِ به أحد من الصحابة أو التابعين أو أحد من سلف الأمة الصالح[٢].

---

١ - سورة الزمر/ ٣.

٢ - انظر منشأ الشبهة عند ابن تيمية في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص١٧ - ١٨ ط السلفية انظر امتدادها في كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد ص٢٣٤ وما بعدها.

وفي الجواب عن هذه الشبهة -التي تعد المحور الرئيسي لدى خصوم الصوفية في تكفيرهم ورميهم بالإشراك والبدعة- نقول:

إن معنى التوسل إلى الشيء -في اللغة-: التقرب والتوصل إليه -عن رغبة- بوسيلة تقرب منه أو توصل إليه، يقال: توسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، قال الشاعر لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى كل ذي دين إلى الله واسل[1]

وقد أمرنا الحق تعالى في القرآن بالتوسل إليه حيث قال تعالى شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

فلفظ «الوسيلة» في الآية الكريمة عام شامل لما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال، ولمن يتوسل به إلى الله سبحانه من الذوات الفاضلة الصالحة من الأنبياء والأولياء وعامة الصالحين. ومن ثم: يعرف التوسل المشروع بأنه: هو الطلب من الله تعالى مع التقرب إليه بما يحب أو بمن يحب.

وهنا معقد الخلاف والنزاع بين الصوفية وخصومهم في التوسل، فإن السلفية قد قصروا الوسيلة في الآية الكريمة على الأعمال الصالحة وأنكروا التوسل بالذوات الفاضلة، بينما أخذ جمهور الأمة وخاصة الصوفية بعموم الوسيلة، ويؤيدهم في ذلك: تفسيرها بالعموم للذوات في قوله تعالى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[3].

---

١ - انظر المادة «وسل» في: مفردات الراغب ص ٥٢٣ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس - والبيت منه - ٦/ ١١٠ ثم في لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٢٥٠-٢٥١.

٢ - سورة المائدة/ ٣٥.

٣ - سورة الإسراء/ ٥٧.

فإن المعنى كما قدره المفسران البغوي -إمام السنة- والخازن: «ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى فيتوسلون به»[1] أي أن الحق تعالى يقول لمن عبد الأنبياء والملائكة من الكفار: أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون إلى الله تعالى بمن هو أقرب إليه ممن هو أعلا منهم مقاماً فكيف تجعلونهم أربابا؟؟[2].

فهذا التفسير يدل على عموم الوسيلة للذوات الصالحة، وقد نسبه البغوي إلى الإمام ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما.

هذا فضلاً عن أن ظاهر اللفظ في قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ عام في الأفعال والذوات ومن ادعى التخصيص في أحدهما فقد تحكم على النص بلا برهان.

بل أن الشيخ العلامة سيدي داود النقشبندي عليه رضوان الله قد أبدى ملحظا تفسيرياً رائعا في هذه الآية الكريمة في كتابه القيم «صلح الإخوان» حيث قال: «على أن ظاهر سياق تخصيصه -أي لفظ الوسيلة- بالذوات، لأنه سبحانه وتعالى قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ والتقوى عبارة عن فعل المأمور وترك المنهي، فإذا فسرنا ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيداً للأمر بالتقوى فيكون مكرراً، وإذا أريد به التوسل بالذوات يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد»[3].

---

١ - انظر تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٤/ ١٦٥ ط الحلبي.

٢ - انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقتين: الوهابية ومقلدة الظاهرية للعلامة الشيخ إبراهيم السمنودي ١/ ١٩٩ ط مطبعة جريدة الإسلام.

٣ - انظر صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم للعلامة الصوفي سيدي داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ ص٤٥ ط نخبة الأخبار بمبيء سنة ١٣٠٦هـ.

أما متجه ابن تيمية في مدلول التوسل -كما بينه في كتابه: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»- فإنه يرى أن التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ومعنى ثالث باطل عنده لم ترد به سنة، فالأولان هما:

١ - التوسل بالإيمان بالرسول ﷺ وطاعته.

٢ - التوسل بدعائه ﷺ وشفاعته.

وأما المعنى الثالث الذي يراه باطلا: فهو التوسل بالنبي ﷺ بمعنى الإقسام على الله تعالى بذاته، أو سؤاله تعالى بذاته صلوات الله وسلامه عليه، أو بذات غيره من الصالحين. فهذا عنده ليس مشروعاً بل هو منهي عنه، كما أن طلب شفاعته ﷺ واستغفاره، ودعائه بعد موته وعند قبره وكذا خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم، وفي مغيبهم، هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب[1].

فنقطة الخلاف الرئيسية تتمثل في القسم الثالث من أقسام التوسل عند ابن تيمية وهو ما خالف به إجماع جمهور العلماء واستجلب به إنكار أئمة الراسخين في العلم ومن سلك مسلكهم منذ عصره إلى الآن لمخالفته للنصوص الصريحة في الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، مما اضطره أن يعدل عن موقفه هذا في العديد من أقواله المنبثة في سائر مصنفاته حتى عقد بعض الإثبات بمقتضى هذا العدول صلحاً مع ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[2].

---

١ - انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٨، ص٥٠-٧٧.

٢ - أعني بهذا -على سبيل المثال- ما قام به الشيخ داود النقشبندي سالف الذكر من تبرئة ابن تيمية وابن القيم من آرائهما المتشددة بمعارضتها بأقوالهما المخففة التي لا تكفر مسلما بذلك ولا تخرجه من الإسلام بشبهة كما يفعل أخلافهما إلى الآن، فيا حبذا استشراف الحق والعودة إلى سماحة الإسلام على هدى وبصيرة.

تراجع ابن تيمية عن رأيه في التوسل بالنبي ﷺ: وسأقدم ههنا الدليل على تراجع ابن تيمية عن رأيه في القسم الثالث من أقسام التوسل وهو التوسل بذات النبي ﷺ: فقد نقل الحافظ ابن كثير – وهو تلميذ ابن تيمية – في البداية والنهاية «في أحداث سنة ٧٠٧هـ» عن البرزالي أنه قال: «وفي شوال منها: شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين- أي ابن تيمية – وكلموه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقِد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله، فبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء»[1].

لقد استرعى هذا التحول المفاجئ في كلام ابن تيمية نظر محققي «البداية والنهاية» فجاء تعليقهم على عبارته: «ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله» في هامش الكتاب ما نصه: «المعروف في كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادي أنه لا يجيز هذا. فليحرر».

كما أن ابن تيمية قد تراجع عن تكفير من توسل بالمخلوق واستغاث به ودعاه، حيث قال في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» ما نصه: «فكما أن إثبات المخلوقات أسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية[2] ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء فلا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة، كذلك

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق: د/ أحمد أبو ملحم، د/ على نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ.د مهدي ناصر الدين «١٤/ ٤٧ ط دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان».

٢ – بين ابن تيمية أن توحيد الربوبية أن لا يجعل لغير الله مع الله تعالى تدبيرا فيفرده بالخلق والضر والنفع، وأما توحيد الألوهية فهو أن لا يدعو غير الله تعالى دعاء عبادة أو مسألة «انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٥٥ ط المدني بجدة» وإثبات العلماء وكبارهم على أن كلا التوحيدين مستلزم للآخر بدليل قوله تعالى في الميثاق الأول ﴿ألست بربكم﴾ ولم يقل بإلهكم. وانظر المزيد في «البراهين الساطعة» للشيخ سلامة العزامي النقشبندي ص٣٧٧ و «الرد المحكم المتين» للحافظ الغماري ص٢٠٠.

إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك[1] أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الألوهية، فإن أحسن أحواله أن يكون مجتهداً في هذه المسألة أو مقلداً فيعفو الله عنه»[2].

والآن: وقبل أن نورد تفصيل أدلة مشروعية التوسل في القسم المتنازع فيه، لابد لنا من توضيح حقيقة متجه السادة الصوفية في التوسل الذي يعتقدونه ويقيمون له دلائل شرعيته، ليعلم كل منصف أن الصوفية أحرص على التوحيد ممن يرفعون له شعارات النصرة ويرمون من هم أحق منهم برفع رايته بالشرك والبدعة.

وسأنقل معتقد الصوفية في هذا الصدد عن واحد من أئمتهم وهو الشيخ داود النقشبندي في القرن الثالث عشر للهجرة إذ يقول عليه الرضوان:

«اعلم أن المجوزين[3] مرادهم بجواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين أنهم أسباب ووسائل بدعائهم، أو أن الله يفعل لأجلهم، لا أنهم هم الفاعلون استقلالا من دون الله فإن هذا كفر بالاتفاق، ولا يخطر ببال جاهل فضلاً عن عالم، بل ليس هذا خاص بنوع الأموات، فإن الأحياء وغيرهم من الأسباب العادية كالقطع للسكين، والشبع للأكل، والري للماء، والدفء للبس، لو اعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها إلى الله يكفر إجماعاً».

---

١ - المراد به الشرك الأصغر وليس الأكبر المخرج عن الملة فإن الأصغر يجتمع مع الإيمان كما بينه في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٤٥٢ ، ص٤٥٦ وكما قرره من كلام ابن تيمية وابن القيم صاحب «صلح الإخون» ص ١٠، ص ١٤٦.

٢ - انظر صلح الإخوان ص٣٤ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٥٥ والنص فيه غير محرر ويعوزه أمانة ودقة التحقيق.

٣ - المراد بهم: المجوزون للتوسل والتشفع والاستغاثة المشروعة بالأنبياء والأولياء والصالحين.

قال السبكي والقسطلاني - في المواهب اللدنية - والسمهودي - في تاريخ المدنية- وابن حجر - في الجوهر المنظم: والاستغاثة به ﷺ وبغيره: بمعنى التوسل إلى الله بجاهه ووسيلته. وقد يكون بمعنى أن يدعو كما في حال الحياة إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من سأله.

والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث من غيره ممن هو أعلا منه. وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم سواء. والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغاث الحقيقي، فهو تعالى مستغاث، والغوث منه خلقا وإيجاداً.

والنبي ﷺ مستغاث، والغوث منه تسبباً وكسباً، ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق ﷺ: «قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق»، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله**»[1]، لأن في سنده ابن لهيمة، والكلام فيه مشهور، وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**،[2]... [3].

ومن ثم يعلم أنه لا يوجد صوفي يعتقد إسناد التأثير بالخلق أو النفع أو الضر لغير الله تعالى، وأن مناط التوسل بذوات الأنبياء والصالحين إنما هو التسبب فقط في النفع أو الضر بمقتضى ما منحه الله تعالى للوسيلة من جاه مقبول ودعاء متقبل من ذات النبي أو المؤمن التقي الذي تحققت له الولاية والقرب من الله تبارك وتعالى، ومن منطق الأدلة الشرعية التي سنقف بعد.

---

١ - رواه الطبراني في معجمه الكبير عن عبادة بن الصامت وخرجه عنه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري في «الرد المحكم المتين» ص ٣٧، إتحاف الأذكياء ص٣٠.

٢ - سورة الأنفال / ١٧.

٣ - صلح الإخوان لسيدي داود النقشبندي البغدادي ص٤٣ - ٤٤.

وبالوقوف على حقيقة التوسل عند السادة الصوفية وسالكي طريقهم ندرك بيقين مدى بشاعة جرم رميهم بالشرك والوثنية من خصومهم، وتشبيههم بعباد الأصنام الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] فإن جمهور المتوسلين من الصوفية وغيرهم ما عبدوا إلا الله تعالى ولم يتقربوا إليه إلا بما أحب من الطاعات وبمن أحب من المقربين الذين جعلهم سبباً لرحمة خلقه ونفع عباده كما جاء في التنزيل والسنة المطهرة.

تفصيل الأدلة على جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالصالحين: تضافرت الأدلة القطعية – من القرآن الكريم والسنة المطهرة – المقررة لمشروعية وجواز التوسل – وما في معناه من التشفع والاستغاثة والتوجه – بذات النبي ﷺ وبجاهه وبركته قبل وأثناء وبعد حياته الدنيوية وبالدعاء منه بعد خلقه ﷺ، وكذا التوسل بأولياء الله الصالحين أثناء حياتهم الدنيا وبعد انتقالهم إلى الحياة البرزخية، والاستمداد من أنوارهم وبركاتهم مع التحقق بالتوحيد الكامل والاقتداء بالسلف الصالح. فأما الدليل على التوسل به ﷺ -قبل وجوده البشري في الدنيا- من القرآن الكريم، فهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

فقد روى الحافظ أبو نعيم -في دلائل النبوة- من طريق عطاء والضحاك عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «كانت يهود بني قريظة والنضير -من قبل أن يبعث محمد- صلى الله عليه وآله وسلم يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا

---

١ – سورة الزمر / ٣.

٢ – سورة البقرة / ٨٩.

نصرتنا، فينتصرون. فلما جاءهم ما عرفوا -يريد محمداً ﷺ ولم يشكوا فيه- كفروا به»[١].

ووجه دلالة الآية الكريمة على مشروعية التوسل بذاته ﷺ ظاهر لا لبس فيه، حيث أن الله تعالى أقر استفتاح اليهود به ﷺ، «والاستفتاح: طلب الفتح وهو النصر» ولم ينكره عليهم بل جاءت الروايات التفسيرية بإجابة استفتاحهم بالنصر ببركته ﷺ، وإنما ذمهم على كفرهم وجحودهم بعد إذ شاهدوا من بركة الاستفتاح به ﷺ ما لا ينكره إلا من في قلبه مرض والعياذ بالله تعالى[٢].

ثم نجد الدليل من السنة النبوية الشريفة على وقوع التوسل المشروع به ﷺ -قبل خلقه البشرى- فيما رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم ﷺ الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**»[٣].

---

١ - خرجه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري عن أبي نعيم وقال: «ولهذا الأثر طرق ذكرتها في «الرد المحكم المتين» ثم أورد نحو هذا الأثر من تفاسير: النيسابوري والكشاف والخازن والبغوي والنسفي والآلوسي «انظر إتحاف الأذكياء ص ١٠ - ١١ ط / عالم الكتب - بيروت».

٢ - انظر النقل الرابع والأربعين في كتاب « صلح الإخوان » ص ٣٩ والدليل الحادي عشر ص ٤٧، وانظر إتحاف الأذكياء ص١٠ - ١١.

٣ - أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥ - واللفظ منه - وخرجه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري في «الرد المحكم المتين ص١٢١» عن الطبراني في الصغير والبيهقي في دلائل النبوة الذي قال فيه الذهبي: «عليك به=

* وأما الاستدلال على جواز وقوع التوسل بذات النبي الأكرم ﷺ وبدعائه وشفاعته في حال حياته الدنيا في القرآن الكريم فمن آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

ذكر المفسرون في تفسيرها: أن الله تعالى لم ينزل العذاب بالكفار المذكورين لسببين: أولهما: لوجود النبي ﷺ فيهم، فإن سيدنا محمداً ﷺ مادام حاضراً معهم فإنه تعالى لا يعذبهم تعظيماً له وحفظاً لحرمته، وقد أرسله الله رحمة للعالمين، وتلك كانت سنته تعالى مع جميع الأنبياء المتقدمين فإنه لا يعذب أهل قرية إلا بعد خروج رسولهم منها، كما كان في حق سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا لوط عليهم السلام.

والسبب الثاني: أنه تعالى ما كان معذبهم وفيهم مؤمنون يستغفرون، أو: وفي علمه تعالى أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه، فإن النطف المؤمنة التي في أصلابهم يدفع الله بها عنهم العذاب[2].

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة على جواز التوسل بذاته ﷺ: أنه إذا كان وجوده ﷺ بذاته الشريفة أمانا لأمته من العذاب [3]، فإن حصول الأمان

=فإنه كله هدي ونور» وعن أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر في التاريخ، ثم تعقب الحافظ الغماري حكم الذهبي على هذا الحديث بالوضع بالرد العلمي والتفنيد القوي وأثبت – بالأصول العلمية الحديثية أن الحديث حسن لغيره وأيده بحديث ميسرة الفجر وإسناده قوي من طريقة «انظر الرد المحكم المتين ص ١٣٩».

١ - سورة الأنفال / ٣٣.

٢ - انظر أولاً مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٥/ ١٦٣ وتفسير روح البيان لسيدي إسماعيل حقي ٣/ ٣٤١– ٣٤٢ وانظر: صلح الإخوان لسيدي داود البغدادي النقشبندي ص٤٧.

٣ - روى الطبري في تفسيره (٩/ ٢٣٥) عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية الكريمة: (كان فيهم أمانان: نبي الله، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار).

والرحمة به ﷺ مع التوسل والتشفع به إلى الله تعالى يكون محققاً من باب أولى، ولا يقال ههنا: أن الأمان بدعائه لا ذاته ﷺ فإن الآية نزلت في شأن الكفار القائلين: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وهؤلاء بمعزل عن الدعاء لهم، فضلا عن أن دلالة ﴿وأنت فيهم﴾ واضحة الظهور في الذات.

* كذلك نجد الدليل من القرآن الكريم لجواز التوسل والتشفع بالنبي ﷺ وبدعائه واستغفاره في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [1].

قال الإمام الآلوسي في تفسير هذه الآية الكريمة... ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وعَرَّضُوها للبوار بالنفاق والتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوك﴾ على إثر ظلمهم بلا ريث متوسلين بك [2] تائبين عن جنايتهم، غير جامعين حشفا وسوء كيلة باعتذارهم الباطل وأيمانهم الفاجرة بـ ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه وندموا على ما فعلوا «واستغفر لهم الرسول» وسأل الله تعالى أن يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم - وفي التعبير «استغفر».. إلخ دون استغفرت، تفخيم لشأن رسول الله ﷺ حيث عدل عن خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته، على طريق، حكم الأمير بكذا، مكان، حَكَمْتُ، وتعظيم لاستغفاره عليه الصلاة والسلام حيث أسنده إلى لفظ منبيء عن علو مرتبته.

---

١ - سورة النساء / ٦٤.

٢ - هذا تصريح من الإمام الآلوسي - خاتمة المفسرين العظام - بمشروعية التوسل خلافا لما نسب إليه من إنكاره، وسبب اللبس أن ابنه النعمان قد دس عليه في بعض كتبه ما يخالف اتجاهه الصوفي كما أخبرني بذلك العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ نجم الدين الكردي رضوان الله عليه، فالإمام الآلوسي شيخه سيدي خالد النقشبندي ﷺ.

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي: «لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلا عليهم بالتجاوز عما سلف من ذنوبهم»[1]. وأقول، إن وجه دلالة هذه الآية الكريمة على جواز التوسل به حال حياته ﷺ والاستشفاع بدعائه، أنها وإن كانت نزلت في شأن المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت إلا أن دلالتها عامة تشمل كل عاصٍ ومُقصر، لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية[2].

وقد علق فيها جواب الشرط -وهو حصول ووجدان التوبة والرحمة من الله تعالى- على ثلاثة أمور وقعت في حيز الشرط وهي: مجيؤهم للنبي ﷺ واستغفارهم الله واستغفار الرسول لهم. فكان استغفارهم الله تعالى مكتنفاً بأمرين مرتبطين به ﷺ المجيء والاستغفار من حضرته لهم، للإيذان بأنه ﷺ باب القبول وسبب حصول المأمول والوسيلة العظمى للوصول، وسيأتي إن شاء الله بيان الاستدلال بهذه الآية الكريمة على جواز التوسل به ﷺ بعد وفاته.

* وأما دليل التوسل والتوجه إلى الله تعالى بالنبي ﷺ من السنة النبوية الشريفة الصحيحة، فثمة أحاديث كثيرة، منها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والإمام أحمد والطبراني -بإسناد صحيح- والحاكم بسنده على شرط الشيخين وأقره الذهبي: عن عثمان بن حنيف الله عنه أن رجلاً ضريراً أتي النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئتَ أخرتُ ذلك وإن شِئْتَ دعوتُ، قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد

---

١ - انظر تفسير الإمام الآلوسي: ٥/ ٧٠.

٢ - انظر إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للعلامة المحدث عبد الله بن الصديق ص١٢.

إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه فتقضيها لي، اللهم شفعه في وشفعني فيه»[1] وجاء في رواية الإمام أحمد في المسند بزيارة «قال: ففعل الرجل فأبصر».

ووجه دلالة هذا الحديث الشريف على التوسل بالنبي ﷺ وبدعائه في غاية الظهور، حيث أن الرسول ﷺ أمر الضرير أن يتوجه به إلى الله تعالى، أي بذريعته ووسيلته والباء في قوله «أتوجه بك» للاستعانة[2] كما يمكن أن تكون للسببية على معنى: ليقضي الله حاجتي لأجلك.

ثم إن في قوله «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي» التفاتا وتضرعا لديه ﷺ ليتوجه بروحه الشريفة إلى ربه عز وجل، وفيه الدلالة على مشروعية ندائه ﷺ والاستعانة به والطلب منه حال غيبته، لاسيما وأن ابن تيمية قد أقر صحة الحديث بل وزاد في روايته -في الفتاوى- أنه ﷺ قال للأعمى «وإن كان لك حاجة فمثل ذلك، فلو كان نداء الغائب المستغاث به -كما يزعم خصوم التصوف- شركاً لكان النبي ﷺ -وحاشاه- قد شرع لأمته الشرك. وهذا لا يقدم على القول به عاقل».

---

١ - انظر سنن الترمذي «٥/ ٥٦٩ ط الحلبي» والمستدرك للحاكم «١/ ٥١٩ ط حيدر أباد الدكن» - واللفظ منه - ومسند الإمام أحمد «٤/ ١٣٨) والفتح الرباني - وفيه تخريجه «١٤/ ٢٩٨» وقد أفاض العلامة المحدث أبو الفضل الغماري في بيان طرق هذا الحديث الشريف وَفَنَّدَ أي شبهة للطعن فيه وقال «وقد صححه الترمذي والطبراني وابن خزيمة والحاكم والبيهقي والمنذري والضياء المقدسي والنووي والذهبي وابن حجر والهيثمي وهؤلاء جهابذة الحديث ونقاده» «انظر الرد المحكم المتين ص ١٦٥».

٢ - من هنا يجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ للإمام ابن عباس - رضي الله عنهما - فيما رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم «انظر الفتح الكبير للنبهاني: ٣/ ٤٠٠» من قوله «... إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله.. » بأن الاستعانة بالله تعالى تكون على الحقيقة وبغيره تعالى تكون على طريق التسبب المشروع بقوله تعالى ﴿تعاونوا على البر والتقوى﴾ وقوله سبحانه ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ وقوله تعالى حكاية عن ذي القرنين ﴿فأعينوني بقوة﴾.. الخ.

وسيأتي التدليل على تطبيق ما ورد به هذا الحديث الشريف من التوسل بحضرة النبي ﷺ بعد وفاته وتحقق نُجح المقاصد بهذا التوسل في السنة الشريفة.

ومن أدلة السنة الشريفة على التوسل بذاته ودعائه ﷺ في حياته الدنيا، ما رواه البخاري عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب»:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب[1]،«والوجه هو الذات، وذكره في البيت دال على التوسل بذات النبي ﷺ» فوجه الدلالة فيه: استشهاد سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بشعر أبي طالب الذي أنشده لما كان قريش يستسقون بالنبي ﷺ لما كان رضيعا يحملونه بأيديهم عند الكعبة ويتوسلون بذاته فيسقون كما ذكره أهل السير، وقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح نحو ذلك عن السهيلي[2].

وقال في شرحه لأحاديث الباب: «وأوضح من ذلك ما أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي عن أنس قال: جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صبي يغط، ثم أنشده شعراً يقول فيه»:

وليس لنا إلا إليك فرارنا   وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

---

١ - انظر صحيح البخاري ١/ ٢٤ - ٢٥ ط حجازي.

٢ - انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢/ ٣٩٨ ط البهية المصرية.

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: «اللهم اسقنا... » الحديث، وفيه: ثُمَّ قال: لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟ فقام علي فقال: رسول الله كأنك أردت قوله: «وأبيض يستسقي الغمام بوجهه.. » الأبيات [1].

ومن فقه نَصَّيْ الحديثين الشريفين يعلم أن الصحابة ومن قبلهم عشيرته ﷺ كانوا يتوسلون بوجهه الأنوار ﷺ ثم من بعد كانوا يستسقون في حياته أيضا بدعائه المتقبل لحرمة ذاته عند الله تعالى.

الاستدلال على التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين بعد وفاتهم:

* وأما أدلة التوسل والتشفع به ﷺ بعد وفاته ولحاقه بالرفيق الأعلى - وهو ما يتشدد الخصوم في جحده وإنكاره- فإنها أدلة عظيمة الكثرة قاطعة الدلالة لدرجة أنها تلزم منكريها على الخصوص أحد الأمرين: إما التسليم بها، وإما التعسف الجائر الذي قد يجرهم إلى التردي في مهاوي الشرك التي تصوروا فيها -بالجور والتعسف- أهل التوحيد الحقيقيين وهم الصفوة الصوفية. وتقرير ذلك، أن ابن تيمية وأتباعه إذ يجيزون -على خلاف بينهم- التوسل بدعاء الحي ويعدون التوسل به ﷺ وبغيره من الصالحين بعد الممات شركا[2]:

نقول لهم: إن مذهب أهل السنة والجماعة يقر جواز التوسل والتشفع به ﷺ وكذا بغيره من الأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً وجمهور الصوفية - باعتباره خاصة أهل السنة والجماعة- لا يعتقد تأثيرا بالخلق أو الضر أو النفع

---

١ - أورده ابن حجر في الفتح «٢/ ٣٩٧» وعقبه بقوله «وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة» أي أنه يتقوى بغيره ويتعاضد بالصحيح، وانظر الحديث بكماله في دلائل النبوة للبيهقي بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي «٦/ ١٤١» وقد نقله ابن كثير في تفسيره «٦/ ٩٠-٩١».

٢ - انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية. ١٥٥ ط السلفية ومجموعة التوحيد ص٤٧٣.

إلا لله وحده، فالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين لا تأثير لهم بالاستقلال عن الله تعالى نفعاً أو ضراً وإنما يُتوسل ويُتبرك بهم باعتبارهم أسباباً في إجابة الدعاء ونجح المقاصد لكونهم أحباء الله تعالى وهم بهذا الاعتبار -بانتفاء تأثيرهم الذاتي الاستقلالي- لا يشترط في التوسل بهم كونهم في هذه الحياة الدنيا، لأن حرمتهم وجاههم المقبول عند الله تعالى لا ينقطعان بموتهم.

أما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات في جواز التوسل بهم: -كابن تيمية وأضرابه- فإنهم بذلك الفرق ملزمون[1] باعتقاد التأثير للأحياء دون الأموات مذعنون لتأثير غير الله تعالى، وبذا يتسلل الإشراك إلى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، بينما يدين الصوفية اعتقاداً وعملاً بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾[2]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾،[3] فبالله كيف يدعون أنهم أهل التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك؟؟[4].

بعد هذا نثبت أدلة التوسل والتشفع بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين بعد الممات فيما يلي: استدل الأئمة المثبتون للتوسل به ﷺ بعد وفاته من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[5].

فهذه الآية الكريمة عامة الدلالة على مشروعية التوسل، فتشمل حالتي الحياة والوفاة، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل وهو مفقود ها هنا.

---

١ - ضبط «ملزمون» هنا: بفتح الزاي بصيغة اسم المفعول: أي أنهم ألزموا أنفسهم ذلك.

٢- سورة الزمر / ٦٢. ٣- سورة الصافات / ٩٦.

٤ - انظر الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ أحمد زيني دحلان ص٣٨ ط دار المدينة المنورة.

٥- سورة النساء / ٦٤ .

وعموم الدلالة للحالتين مستفاد من وقوع الفعل ﴿جَآءُوكَ﴾ في سياق الشرط، أو القاعدة المقررة في علم أصول الفقه، أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاما، لأن الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدراً منكراً، والنكرة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم وضعاً. لكن السلفية المتأخرة والوهابيين يمنعون التوسل به ﷺ وبغيره من الصالحين بعد الوفاة متوهمين أن الموت يحول دون تحققه، وهو وهم كاذب وزعم باطل، لأن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذا الأولياء لقوله تعالى في حق الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

ولاشك أن الأنبياء والأولياء أعلا رتبة وأفضل جهاداً من الشهداء، ولذا قدم ذكرهم عليهم في قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ﴾[2].

هذا، وقد فهم الصحابة والسلف الصالح وجمهور المفسرين والمحدثين من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ..﴾ إلخ، مشروعية التوسل به ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وأُثرَت عنهم في التوسل به -بعد انتقاله- ﷺ روايات وآثار عديدة تنطق بتَعاضدها واشتهارها على ألسنة العلماء الإثبات ومصنفاتهم بِحقية هذا التوسل ومشروعيته بل والندب إليه اقتداء بسلفنا الصالح.

فمن ذلك،ما نقله العديد من الحفاظ والمحدثين والمفسرين ومنهم القسطلاني والسيوطي والقرطبي عن أبي سعيد السمعاني بسنده على سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال: «قدم علينا أعربي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة

١ - سورة آل عمران / ١٦٩.

٢ - سورة النساء / ٦٩.

أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ، وحثا على رأسه من ترابه، فقال: قُلْتَ يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا منك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ..﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أن قد غفر لك»[1].

ومثل هذا الأثر مروي عن الهلالي وعن العتبي وعن الأعرابي في «شعب الإيمان» للبيهقي و«مثير الغرام الساكن» لابن الجوزي وتاريخ ابن عساكر وغيرها [2]. ثم نجد من الحديث الشريف ما يدل على التوسل به ﷺ بعد وفاته، فقد روى البيهقي والطبراني في معجمه الكبير -بإسناد لا بأس به- عن عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ في حاجة، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته -أي لنسيانه لها كما سيأتي- فلقي الرجل عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف:

ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي – وتذكر حاجتك -رُحْ حتى أَروحَ معك- فانطلق الرجل، فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة -أي الوسادة- فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة!! وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

---

١ - انظر تخريج الأثر في: الرد المحكم المتين للمحدث الشيخ عبد الله ابن الصديق الغماري ص٤٥-٤٦ وإتحاف الأذكياء له أيضاً ص١٦ وانظر تسير القرطبي ٥/ ٢٦٥ وصلح الإخوان ص٥٤ وسعادة الدارين في الرد على الفرقتين للسمنودي ١/ ١٧٧ والدرر السنية للشيخ زيني دجلان ص٥٥.

٢ - انظر التخريج في (الرد المحكم المتين) للمحدث الغماري ص٤٤.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله: ليس لي قائد وقد شق علي فقال: ائت الميضأة فتوضأ وصلي ركعتين ثم قُلْ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان: فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر!![1].

ففي هذا الحديث الشريف توسل به ونداء له ﷺ بعد وفاته، وقد ذكره البيهقي والطبراني والسبكي وابن حجر والسمهودي والقسطلاني وغيرهم وقالوا: «سنده لا بأس به»، فإن قال المنكرون إن في سنده مقالاً قلنا: إنه لو فرض ذلك لكان معاضداً للحديث الأول -وقد كان صحيحاً- فيكون مؤيداً.

ثم نقول للمعترضين: إن ما تضمنه من التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لو كان شركاً لما جاز للمحدثين والعلماء أن ينقلوه في كتبهم فضلا عن استدلالهم به كما فعل الحافظ ابن الجزري، إذ قال بعد أن أورده في «الحصن الحصين»: «إن من آداب الدعاء أن يتوسل الداعي إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده، وأقره على ذلك الكثيرون كالعلامة القارئ في شرحه عليه»[2].

* ومن أدلة السنة النبوية أيضاً على جواز ووقوع التوسل بالنبي ﷺ من الصحابة بعد وفاته: ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة -بسند صحيح- عن

---

١ - خرج هذا الحديث بطرقه المحدث عبد الله بن الصديق الغماري في «الرد المحكم المتين ص ١٤٧ » وفي «إتحاف الأذكياء ص٣٣ » -واللفظ منها- والشيخ داود البغدادي في «صلح الإخوان ص٥٠ »، والسمنودي في «سعادة الدارين ١/ ١٨٣- ١٨٤ ».

٢ - انظر المصدر الأخير للإمام السمنودي.

مالك الدار ﷺ -وكان خازن عمر ﷺ- قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر ﷺ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسقِ لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون» وقل له: عليك الكيسَ الكيسَ. فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ﷺ وقال: «يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه»[1].

وقد عقب المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق على هذا الحديث بقوله: «إسناد هذا الأثر صحيح، ورأيت الحافظ -أي ابن حجر- عزاه في الفتح إلى ابن أبي شيبة عن طريق أبي صالح عن مالك الدار باللفظ المذكور وقال: سنده صحيح، والرجل: هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة كما رواه سيف في الفتوح[2]. فهذا صحابي فعل -كما ترى- ما نفاه ابن تيمية نفياً باتاً، أفلا يحق بعد هذا أن نضرب بإطلاقه السابق عرض الحائط؟؟...»[3].

ومن العجيب حقاً أن ابن تيمية قد أقر هذا الحديث ولم ينكره، كما أقر سماع قوم رد السلام من قبر النبي ﷺ ومن قبور غيره من الصالحين، ومع ذلك فهو ينكر التوسل به ﷺ وبغيره بعد الوفاة!! إنه يقول في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» ما نصه: «ولا يدخل في هذا الباب – يعني باب التوسل والدعاء عند القبر – ما يروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من

---

١ - انظر التخريج في الرد المحكم المتين ص٥١ وإتحاف الأذكياء ص٣٤ وصلح الإخوان ص٥٠ – ٥١ ومحق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري ص١٢ وفيه العزو إلى فتح الباري (٢/ ٣٣٨).

٢ - علق المحدث ابن الصديق على ذلك في «الإتحاف» بأن بعض المعاصرين طعن في رواية سيف بأنه متكلم فيه ثم قال: وهذا لا يضيرنا فإن الرجل إن لم يكن بلالا بن الحارث فهو يقينا إما صحابي أو تابعي وكفى بأحدهما حجة، ثم إن الحجة أصلا في إقرار سيدنا عمر ﷺ له، حيث لم ينهه عما فعل.

٣ - الرد المحكم المتين ص٥١.

القبر[1] ليالي الحرة ونحو ذلك، فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم».

وكذلك أيضاً: ما يروى: «أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة فرآه، وهو يأمره: أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذه الوقائع كثيرا»!![2] فهل بعد إقرار ابن تيمية لصحة وحقيقة هذه الأدلة من تعليق؟؟

* ثم نجد أيضاً من أدلة السنة النبوية الشريفة على جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ما رواه الإمام الدارمي في سننه تحت ترجمة: «باب ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته»: عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوه منه كُوَىً[3] إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق»[4].

فانظر إلى منهج السلفية الحقة في فعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: فهذه أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- أمرتهم أن يلجئوا إلى

---

١ - أي من قبر النبي ﷺ، وقد ذكر ذلك الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٢٨.

٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية بتقديم ومراجعة أحمد حمدي إمام ص ٣٧٢.

٣ - ضبط «كوى»: بضم الكاف وفتح والواو -بوزن هدى- جمع كوة وهي الخرق في الحائط.

٤ - خرجه المحدث الغماري في «الرد المحكم المتين» ص ٧٦، ١٩٧ عن الدارمي وقال: «ورجال هذا الأثر لا بأس بهم، وسعيد بن زيد -وإن كان متكلما فيه- فهو من رجال مسلم، وقد وثقه ابن معين وغيره» أهـ وكذلك: رواه ابن الجوزي في «الوفا بأحوال المصطفى ﷺ في الباب التاسع والثلاثين تحت عنوان: «في الاستسقاء بقبره ﷺ» بتحقق د. مصطفى عبدالواحد ٢/ ٨٠١.

النبي ﷺ في قبره ويجعلوا من قبره الشريف كوى -أي نوافذ- إلى السماء مبالغة في التوسل والاستشفاع به ﷺ، ولاشك أنه كان بالمدينة إذ ذاك صحابة وتابعون ولم ينقل عن أحد منهم أنه أنكر ذلك، وقد أثبت الحافظ بن الجوزي هذا الأثر في «الوفا» مستدلا به على مشروعية الاستسقاء بقبره ﷺ، ومعلوم من هو ابن الجوزي في عالم المحدثين وفي محيط السلفية، إنه صاحب كتاب «الموضوعات» و«تلبيس إبليس» وكفى!!

* ثم كيف ينكر التوسل بحضرته ﷺ بعد مماته وهو القائل «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

إن هذا الحديث الشريف الذي رُوِّيَ من نحو عشرين طريقاً -نص المحدث عبد الله بن الصديق على ما يزيد على ستة منها وذكر باقيها شقيقه الحافظ أحمد، ونص أساطين المحدثين على جودة إسناده- ليدل دلالة صريحة على أن النبي ﷺ يشفع لأمته بعد انتقاله باستغفاره لهم من ذنوبهم التي تعرض عليه، وبحمده الله تعالى لما يراه من خير أعمالهم وهو في حياته البرزخية.

ومن ثم يجوز التوسل به ﷺ بعد الانتقال، لأننا لم نحجب عنه ﷺ وإن غاب عن عامتنا، وكما نص الحديث الشريف على خيرية حياته لأمته كذلك نص على خيرية وفاته لنا فإن الخيرية والانتفاع والاستشفاع به لم ينقطع بانتقاله إلى الحياة الأخرى. فكيف ينكر التوسل به وهو في دار الحق وأعمالنا تعرض عليه ﷺ؟؟

* وهذا دليل عملي للتوسل به ﷺ عند قبره الشريف يتحقق لثلاثة من أكابر علماء الحديث ويرويه ابن الجوزي «السلفي» والحافظ السخاوي عن أبي بكر المقري إذ قال في «مسند أصبهان»: «وكنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في

مدينة النبي ﷺ، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم[1]، فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف وقلت يا رسول الله: الجوع الجوع!!

فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيء كثير، فقال يا قوم، شكوتم إلى النبي ﷺ، فإني رأيته فأمرني بحمل شيء إليكم»[2]!!

* ومن العجيب أن ابن تيمية قد نقل في كتبه مثل هذا الأثر وأقر صحته ورفع اللوم عمن التجأ إلى النبي ﷺ، وطلب منه أمام قبره الشريف نوعاً من الأطعمة وأجيب دعاؤه، وذلك إذا كان مجتهدا أو مقلدا أو قاصرا في العلم، إذ قال في «اقتضاء الصراط المستقيم» ما نصه: «وكذلك حكي لنا أن بعض المجاورين بالمدينة جاء قبر النبي ﷺ فاشتهى عليه نوعاً من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين إليه، فقال: إن النبي ﷺ بعث إليك هذا، وقال لك: اخرج من عندنا، فإن من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا»[3].

وآخرون قضيت حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا، لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم، فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره كما يحكى عن برخ العابد الذي استسقى في بني إسرائيل.[4] فبالله كيف بعد هذا الإقرار والتقرير من ابن تيمية للتوسل به ﷺ والطلب منه وهو في قبره الشريف،

---

١ - أي وصلوا في الصوم، والوصال فيه: أن لا يفطر يومين أو أياماً.

٢ - انظر الوفا بأحوال المصطفى ﷺ لابن الجوزي بتحقيق د/ مصطفى عبد الواحد ٢/ ٨٠٢ والرد المحكم المتين ص٧٧.

٣ - هذا القول من حضرته ﷺ تأديب وترق بهمة هذا الطالب المتوسل ليسمو بهمته عن مشتهيات النفس من الطعام والشراب المشتهى مع كونه محبوبا مقربا عنده ﷺ مجاب الدعوة.

٤ - انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٣٤٩.

وإجابته المتوسل، ورفع اللائمة عنه لاجتهاده أو لتقليده أو حتى لجهله، كيف يرمي هذا التوسل من أتباع ابن تيمية بالكفر والشرك الأكبر؟؟ هذا لعمري في القياس بديع!!

دليل مشروعية التوسل بغير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين أحياء ومنتقلين:

* جاء في صحيح السنة النبوية ما يدل صراحة على التوسل بغير النبي ﷺ من آل بيته والصالحين عامة، إذ روى البخاري بسنده عن أنس ؓ أن عمر بن الخطاب ؓ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال فيسقون»[1].

فقد أفاد هذا الحديث الشريف جواز التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من الأولياء الأحياء، وهو يدل على التوسل بالذات قبل الدعاء فإن ظاهر اللفظ في الحديث يدل على أن المتَوسَّلَ به هو الذات، وإدعاء أن هناك مضافا محذوفا -على تقدير: بدعاء نبينا- محض تقول لا حجة له[2]، ولو كان المقصود الدعاء لم يكن لتخصيص سيدنا العباس فائدة، لأن في الصحابة آنذاك من هم أفضل منه كسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي، وإنما خص سيدنا العباس ذلك لقربه من ذات الرسول ﷺ فكان التوسل به أنجح في حصول المأمول[3].

فإذا ما قيل: ولماذا عدل سيدنا عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بعمه العباس، ألا يفيد هذا العدول إنكار التوسل به ﷺ بعد وفاته؟

---

١ - صحيح البخاري كتاب العيدين - أبواب الاستسقاء ١/ ١٢٥ ط. حجازي.

٢ - انظر محق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري «ص١١ط. الأنوار».

٣ - انظر صلح الإخوان للشيخ داود البغدادي النقشبندي «ص٨٥ ط. نخبة الأخبار».

قلنا: إنما توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما لعدة أمور:

أحدها: أن صورة التوسل في هذه الواقعة -الاستسقاء- تقتضي أن يكون المتوسل به في الحياة الدنيا ليخرج بهم إلى المصلى ليباشر الاستسقاء بالصلاة والدعاء ونحو ذلك.

وثانيها: أن سيدنا العباس يتوافر فيه ثلاثة أمور ترتجى بها الإجابة، وهي قرابته من النبي ﷺ وصلاحه الشخصي «الذاتي» وأنه من جملة من يستسقي وينتفع بالسقيا. بينما النبي ﷺ لا يتوافر فيه عنصر الحاجة والانتفاع الشخصي.

وثالثها: وهذا بيت قصيدنا – بيان مشروعية التوسل بغير النبي ﷺ من آل بيته وصالحي أمته من الأولياء، وأن التوسل كما يكون بحضرته ﷺ وتحصل به الإجابة كذلك يكون بغيره؛ فلو قصروه على النبي ﷺ لَتُوُهِّمَ منه عدم جوازه بغيره كما يزعم طائفة من الخصوم[1].

ثم إن التوسل بسيدنا العباس ؓ متضمن للتوسل بسيدنا رسول الله ﷺ، كما يشعره قول سيدنا عمر «وإنا نتوسل إليك بعم نبينا»، وكما يفهم من صيغة دعاء سيدنا العباس في هذه الواقعة، إذ خَرَّجَ الحافظ ابن حجر عن الزبير بن بكار -بإسناد له- أن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس»[2].

---

١ - انظر إتحاف الأذكياء للشيخ عبد الله بن الصديق ص ٣٦ وحقيقة التوسل على ضوء الكتاب والسنة للشيخ موسى محمد على «ص ٤٥ ط / دار التراث العربي»

٢- انظر فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني «٢/ ٣٩٨ البهية المصرية ».

ثم لقد عقب الحافظ ابن حجر شرحه للحديث المذكور باستنباط ما نحن بصدده من بيان جواز التوسل والاستشفاع بغير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين لاسيما أهل بيت النبي ﷺ إذ قال: «ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه»[1].

وأما ما يدل على جواز التوسل بغير النبي ﷺ من الأنبياء والأولياء بعد انتقالهم إلى الحياة الأخرى البرزخية: فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: «اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك**][2].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث الشريف: أن النبي ﷺ يعلم أمته ويرغبهم في التوسل بحق أهل الصلاح والخير من المؤمنين السائلين له على سبيل العموم وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلون، ثم عامة المسلمين وخاصتهم أحياءً وأمواتا، إذ لا شك أن حق أرباب الخير لا يبطل بموتهم بل ينبت ويتأكد لأن الدار الآخرة هي محل وفاة الله لعباده الصالحين بالحقوق التي التزامها لهم تفضلاً منه تعالى وتكرماً كما قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

١ - انظر فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني «٢/ ٣٩٨ البهية المصرية».

٢ - خرجه المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق في «الرد المحكم المتين ص ١٧٧» عن ابن ماجه في سننه -واللفظ منه- «١/ ٢٥٦» وعن الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة وأبي نعيم الاصبهاني، ونقل عن ثلاثة من كبار الحفاظ أنه حديث حسن، وهم أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري صاحب الترغيب والترهيب والحافظان العراقي وابن حجر.

٣ - سورة الروم/ ٤٧.

فالمراد بالحق، ما يستحقه هؤلاء السائلون المتضرعون فضلاً من الله تعالى وكرما[1]، أو بمعنى آخر: هو ما جعل الله لهم من الحرمة عنده والكرامة عليه، أو أن الحق -كما نقل عن الشيخ ملا على قاري- مصدر لا صفة مشبهة فيكون المعنى: بحقية نبيك والأنبياء، أي: بكونهم حقا لا بكونهم مستحقين، ومع كل: فإن الكلام في إطلاق اللفظ وليس في بيان المعنى وقد ثبت بالنصوص العديدة[2].

فإذا ما تمحل الخصم وقال: إن المراد في الحديث يئول إلى صفة من صفات الله تعالى – وهي فضله بإجابة من دعاه قلنا: إن هذا لا يبطل الاستدلال المذكور قبل بل يؤيده، لأن معنى التوسل بالأولياء -الذي نثبته- هو سؤال الله تعالى بحقهم عليه وجاههم عنده، وكرامتهم لديه وهذا -التحقيق- راجع إلى التوسل بحب الله تعالى وإكرامه لهم، وذلك: يستوي فيه الولي الحي والميت، لأن الله تعالى يحب أولياءه ويكرمهم جميعا ويكرم بهم أحبابهم، بل الولي بعد انتقاله إلى جوار الله تعالى أولى بذلك لأنه في دار الجزاء[3].

ثم إذا تمحل الخصم مرة أخرى وقال: إن الباء في قوله «بحق السائلين عليك» للتعدية فتكون داخلة على المفعول لا على المتوسل به، قلنا إن إدخال الباء في أحد مفعولي السؤال إنما يكون في السؤال الاستعلامي كما في قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع»[4].

---

١ - انظر الرد المحكم المتين للشيخ عبد الله بن الصديق ص١٧٩.

٢ - انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقتين للشيخ إبراهيم السمنودي ١/ ١٥٨.

٣ - انظر الرد المحكم المتين للشيخ الغماري ص١٧٩.

٤ - سورة المعارج / ١

وأما في السؤال الاستعطائي، فإن الباء لا تدخل فيه أصلاً إلا على المتوسل به كما هنا[1] لقد أثبت هذا الحديث الشريف أن من هدي النبوة التوسل بالصالحين من عباد الله أحياءً وأمواتاً دون تفرقة، لأن الموت لا يضيع منازل الناس عند الله تعالى وقد قال تعالى مثبتا هذا الحق لمن اصطفى من أحبائه ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[2].

ثم إننا نقول لمنكري التوسل بالأنبياء والأولياء بعد مماتهم خاصة: ما الحامل لكم على هذا الإنكار والتفرقة في التوسل بين الأحياء في هذه الدار والمنتقلين عنها إلى الحياة الآخرة؟؟

إن كان الدافع إلى إنكاركم هو افتقاد المتوسل به «المتوفى» للقدرة والتأثير اللذين يتمكن بهما من أداء ما يطلبه المتوسل، لأنه قد صار بالموت عدماً وفناءً لا يحس ولا يدرك ولا يؤثر، فقد أخطأتم مرتين: مرة لإسنادكم القدرة والتأثير على الاستقلال للمتوسل به الحي -بدليل تفرقتكم بينه وبين الميت- إذ لو كان التوسل شركاً لما جاز بالحي ولا بالميت، بينما يعتقد الصوفية إسناد التأثير والقدرة الذاتية لله تعالى وحده، والوسائل أسباب ينال بها تأثير وفعل المسبب سبحانه وتعالى.

ومرة أخرى أخطأتم لقصور نظركم واعتقادكم في الموت أنه عدم محض وفناء حائل بين الميت وبين إدراك عالم الأحياء في الدنيا، مع أن حياة الأموات كما تنطق شواهد الكتاب والسنة – أكمل وأتم من حياة أهل الدنيا،

---

١ - انظر محق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري ص١٦.

٢ - سورة ص / آية٢٥ وآية ٤٠.

والأنبياء والأولياء والشهداء لهم أوفى نصيب وأكمل قدر من تلك الحياة، بدليل قوله ﷺ «**مررت ليلة أسري بي على موسي قائماً يصلي في قبره**»[1].

وبدليل ما رواه الشيخان وأصحاب السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «**وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل له: أتدعو أمواتا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون**» [2]. وناهيك بحديث عرض الأعمال على الأقارب المتوفين ودعائهم لذويهم:

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سيدنا أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا، اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**»[3].

فبالله، إذا كان الأموات العاديون تعرض عليهم أعمال أقربائهم ويعرفونها ويفرحون لخيرها ويتوسلون بالدعاء لأصحاب سيئها دون أن يدري أحياء الدنيا بذلك فكيف بأولياء الله الصالحين الذين قال تعالى في شأنهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [4]؟؟

---

١ - أخرجه الأئمة أحمد ومسلم والنسائي عن سيدنا أنس ﷺ «انظر فتح الكبير للنبهاني ٣/ ١٣٥ ».

٢ - انظر صحيح البخاري، باب الجنائز ١/ ١٦٥ ط حجازي والفتح الرباني - وبه التخريج - «٨/ ١٧٦ ».

٣ - انظر مسند الإمام أحمد ٣/ ١٦٥.

٤ - سورة الزمر الآية ٣٤ وسورة الشورى الآية ٢٢.

الاستدلال القرآني على تصرف الأولياء بعد الموت:

ثم لقد استدل الراسخون في العلم على تصرف الصالحين -بعد موتهم- في العالم الدنيوي من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[1] إذ ذكر الإمام البيضاوي المفسر من بين أوجه تفسيرها ما نصه:

«أو: صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع من الأبدان غرقا -أي نزعاً شديداً من إغراق النازع في القوس- وتنشط إلى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات»[2].

ثم يضيف العلامة الشهاب الخفاجي -تعليقا على هذا التفسير- مزيداً من البيان فيقول: «يحتمل أن المراد بالمدبرات: الملائكة، وأن النفوس بعد الاستكمال ومفارقة البدن، ودخولها في الحظائر المقدسة تلتحق بالملائكة ولذا ألفت المقام الأعلى وصلحت للخلود».

أو هو صفة للنفوس المفارقة العالية، فإنها بقوتها وشرفها تصلح للوصف بأنها مدبرة، كما قال الإمام: إنها بعد المفارقة قد يظهر لها آثار وأحوال في هذا العالم، فقد يرى المرء أستاذه بعد موته فيرشده لما يهمه، وقد نقل عن جالينوس أنه مرض مرضا عجز عن علاجه الحكماء، فوصف له في منامه علاجه فأفاق وفعله فأفاق!! وقد ذكره الغزالي.

---

١ - سورة النازعات/ ١-٥.

٢ - انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/ ٤٢٢ ط الحلبي الأولى.

ولذا قيل: إذا تحيرتهم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور[١] - إلا أنه -ليس بحديث كما توهم- ولذا اتفق الناس على زيارة مشاهد السلف والتوسل بهم إلى الله، وإن أنكره بعض الملاحدة في عصرنا والمُشتكَى إليه هو الله[٢].

فانظر كيف وصف العلامة الشهاب الخفاجي «المتوفى سنة ١٠٦٩هـ» هؤلاء المنكرين للتوسل بالصالحين المتوفين بأنهم بإنكارهم كانوا ملاحدة العصر، واشتكاهم إلى الله تعالى!

ومن ثم نقول إن التوسل إلى الله تعالى بالصالحين من عباده -أنبياء وأولياء- بعد الانتقال إلى الحياة البرزخية أمر أقره الدين والشرع وفعله السلف الصالح، ولا يداخله أدنى إشراك، وإن اقترن بعبارات مجازية يفسرها الخصوم بأهوائهم.

فإذا ما خاطب المتوسل من توسل به من نحو قوله: أغثني يا رسول الله، أو اشفني يا سيدي فلان، وافعل لي كذا وكذا.. فإن إسناد النفع والضر من المسلمين إلى غير الله إنما هو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب، وهو ما يعرف في علوم البلاغة بالمجاز العقلي[٣]، وهو متحقق بوفرة في نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا

---

١ - نص عليه الشيخ العجلوني في «كشف الخفاء ١/ ٨٨ نشر دار التراث بالقاهرة». وقال: «كذا في الأربعين لابن كمال باشا». وأقول: إن معنى الأثر يتقوى بقوله تعالى في شأن الكفار ﴿**قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾ قال البيضاوي في تفسيرها «كما يئس الكفار من أصحاب القبور». أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم». انظر أنوار التنزيل «٢/ ٣٧٤» فالنص يفيد بمفهوم المخالفة أن المؤمنين ليس من شأنهم اليأس من أصحاب القبور أن ينالهم خير منهم، والأمر واضح لذوي العقول السليمة والقلوب الواعية.

٢ - انظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٣١٣.

٣ - انظر البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة للشيخ سلامة العزامي النقشبندي ص ٣٨٤.

﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾[1]. حيث أسند الإرزاق ونحوه إلى المخلوقين مع أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

وكقوله ﷺ: «**من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه...** »[2]. إلخ حيث أسند التنفيس وكذا التيسير إلى العبد مع أنهما من خلقه تعالى. وكذلك إذا نظرت في قوله تعالى -حكاية قول سيدنا سليمان- على نبينا وعليه السلام لرسل بلقيس ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم**﴾[3] وجدته أسند الإمداد بالمال إلى المخلوقين مع أن الممد على الحقيقة هو الله تعالى القائل: ﴿**كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ**﴾[4].

فما بالهم يُكَفِّرون من قال «مدد يا سيدي فلان، مع أن مقصود قائلها طلب التسبب في حصول المدد -وهو العطاء- بواسطة وتسبب المُمد السلبي وهو النبي أو الولي من الممد الحقيقي وهو الله تعالى مالك النفع والضر وحده لا شريك له»!

فإن قيل: وما الحامل على التوسل بالنبي أو الولي في حصول ذلك المدد؟؟ قلنا، إنه توفر الصلاحية والأهلية للإجابة والتقبل في المتوَسَلِ به الذي هو أقرب إلى الله تعالى من المتوسِل، ومناطُ هذه الأهلية هو «التقوى» التي قُصِرَ تقبل الدعاء على من توفرت فيه حيث قال تعالي: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾[5].

---

١ – سورة النساء / ٥.

٢ – من حديث أخرجه الأئمة أحمد ومسلم والثلاثة سوى النسائي عن أبي هريرة كما خرجه النبهاني في الفتح الكبير ٣/ ٢٤٣.

٣ – سورة النمل / ٣٦.

٤ – سورة الإسراء / ٢٠.

٥ – سورة المائدة / ٢٧.

فالتوسل باب عظيم من أبواب رحمة الله تعالى ولطفه بعباده، حيث لم يغلق باب رحمته دون المقصرين في طاعته، وإنما شرع لهم أن يلجوا باب القبول والرحمة بالاستشفاع بالصالحين، والتوسل بهم إلى جناب رب العالمين، فإن الله يرحم بالصالحين والضعفاء غيرهم من العامة ويكشف عنهم بهم العذاب إذ قال ﷺ: «**لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صباً...**»[1].

ثم إن التوسل أدب من آداب العبودية لله حيث إن المتوسِل يرى نفسه على درجة من التقصير يخجل بها من أن يطلب من سيده -مع قلة زاده من التقوى- مباشرة فيعمد إلى الصالحين من عباده، ولعله يجد في رابطة الاستشفاع والتوسل من ائتلاف القلب بأهل الصلاح والولاية ما يجذبه إلى الانخراط في سلكهم والفوز بمعيتهم «والمرء يحشر مع من أحب»!!

وأخيراً فإن التوسل بالنبي ﷺ وبسائر الأولياء والصالحين -في الحياتين- هو مسلك الفوز والفلاح لمن حقت له العناية الأزلية، إنه مسلك السلف الصالح والأئمة المجتهدين وأعلام الهدى والفقه والرسوخ في فهم الدين وحسبنا الإمام الشافعي - رضي الله عنه قدوة حجة وإماما في التوسل بآل البيت الأخيار إذ يقول:

آل النبـــــي ذريعتـــــي	وهمـــو إليـــه وســـيلتي
أرجـــو بهـــم أعطـــى غـــدا	بيـــدي اليمـــين صـــحيفتي[2]

---

١ - خرجه النبهاني في «الفتح الكبير ٣/ ٥٣» عن الطبراني والبيهقي.

٢ - انظر الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة للإمام ابن حجر الهيثمي «ص ١٨٠ ط ونشر مكتبة القاهرة» والنقل عنه في سعادة الدارين ١/ ١٨٨، ونور الإبصار للشيخ سيد الشبلنجي ص ١١٦ ط الأزهرية.

اللهم اجعلنا من أهل محبتك وولايتك الفائزين بمحبة ومحبوبية حبيبك الأعظم سيدنا محمد ﷺ وآله وصحابته وأتباعه وورثته الأخيار المتوسلين بهم إلى حضرتك لنيل دوام مرضاتك والفوز بمعيتهم والحشر في زمرتهم يوم الدين آمين يا رب العالمين.

الشبهة الثالثة

حول الزيارة للأنبياء والأولياء والتبرك بهم وبآثارهم:

يزعم خصوم الصوفية، أن قصد النبي ﷺ والأولياء الصالحين بالزيارة لقبورهم وشد الرحال إليها من الشرك أو مما يؤدي إليه وأنه يجب المنع من ذلك محافظة على التوحيد وامتثالا لحديث النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

وأن التبرك بالصالحين بشتى مظاهره من التمسح والتقبيل والطواف ونحوه إنما هو شرك وضلال وأن فاعلي ذلك كعباد الأصنام[1].

وجواباً على هذه الشبهة الآثمة التي تتضمن جملة شبهات – كسابقتيها– نقول وبالله التوفيق: وإنه فيما يتعلق بموضوع الزيارة، فإن الأدلة المتضافرة من الكتاب والسنة قد قررت مشروعية واستحباب زيارة النبي الأعظم ﷺ في حياته الدنيا وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

---

١ - انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٤٥٨ وانظر كمال الأمة في إصلاح عقيدتها لأبي بكر الجزائري ص١٥، ١٧، ١٨ وسائر الرسالة المذكورة: ط الأهلية بجدة، وانظر صلح الإخوان لسيدي داود البغدادي ص١٤٣ وسعادة الدارين للشيخ السمنودي ١/ ٧٢، ١/ ١٠٩ والدرر السنية للشيخ زيني دحلان: ص ٨١ط دار المدينة المنورة بالقاهرة.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] إذ لاشك عند من آتاه الله مسكة من عقل وذوق في العلم أن من خرج لزيارة الرسول ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله سواء كان في حياته الدنيا أم بعد وفاته لعموم دلالة الآية الكريمة ولإخباره ﷺ أن زيارته بعد وفاته كزيارته في حياته[2].

ومن أدلة القرآن الكريم أيضاً على الندب إلى زيارته ﷺ قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3].

حيث علق وجدانهم الله تواباً رحيماً بمجيئهم -أي زيارتهم- للرسول ﷺ واستغفارهم الله واستغفار الرسول ﷺ لهم، فكانت الزيارة هي الركن الأول في إيجاب توبته تعالى ورحمته كما وعد سبحانه في هذه الآية الكريمة، لأنه سبحانه منزه عن خلف وعده، ولا يختص ذلك بحال حياته الدنيا صلوات الله وسلامة عليه، لما قدمناه من أن وقوع فعل المجيء في سياق الشرط يفيد العموم للحياتين الدنيوية والأخروية والاستغفار منه ﷺ لأمته واقع في كل منهما بدليل حديث «**حياتي خير لكم**»وقد تقدم الاستدلال به في قضية التوسل.

---

١ - سورة النساء / ١٠٠.

٢ - روى العقيلي عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي» روي سعيد ابن منصور عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال «من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» كما روي نحوهما الحافظ سعيد بن محمد وان عدي وغيرها. انظر وفاء الوفاء للسمهودي ٤/ ١٣٤٠ وسعادة الدارين ١/ ٧٨ والتوسل والزيارة للشيخ محمد الفقي ص٤٨ الحلبي.

٣ - سورة النساء / ٦٤.

وأما الاستدلال من الحديث الشريف على استحباب زيارته ﷺ: فإن علماء السنة قد رووا وخَرَّجُوا في هذا الباب جملة وفراء من الأحاديث الكثيرة الشهيرة المتعاضدة البالغة حد التواتر المعنوي وصحح الأئمة غالبها وتلقوه بالقبول، ونجتزئ هنا ببعضها: فمنها، ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني والدارقطني وغيرهم عن الإمام ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[1].

ومنها، ما رواه الدارقطني وابن عدي وغيرهما عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حج فلم يزرني فقد جفاني**»[2].

وروى الطبراني في معجمه الكبير عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقا على الله أن أكون شفيعاً له يوم القيامة**»[3].

وأحاديث كثيرة لا نطيل بذكرها، وقد أفاض الإمام تقي الدين السبكي في عرضها وتخريجها ودفع شبه المنكرين في الاحتجاج بها وكذلك العلامة السمهودي في وفاء الوفا.

والعجيب في هذه القضية، أنه لم ينقل عن أحد من السلف ولا من عدول الخف أي مجادلة في استحباب زيارة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ولم يؤثر أي نقاش في هذا الصدد حتى جاء ابن تيمية الذي زعم هو وأتباعه أن زيارة قبره ﷺ بدعة غير مشروعة، وأن السفر لها معصية لا تقصر فيه الصلاة!

---

١ - انظر التخريج في سعادة الدارين للسمنودي ١/ ٧٧ ونقله تصحيح السبكي له وتحسين الذهبي.

٢ - نقل السمنودي في سعادة الدارين «١/ ٧٩» تخريجه عن المذكورين وغيرهما وتحسين العلامة ملا على القاري له ونقله عن الإمام ابن حجر الهيثمي أن ابن عدي روى الحديث المذكور بسند يحتج به.

٣ - خرجه السمهودي في وفاء الوفاء ٤/ ١٣٤٠. ونقل تصحيح ابن السكن له، وكذا الحافظ العراقي وانظر قضايا الوسيلة والقبول للشيخ محمد زكي إبراهيم ص ١٣٧ طبع حسان.

«سبحان الله» وأين نذهب بتلك الأدلة والنقول التي سلم علماء الأمة بحجيتها ودلالتها على مشروعية هذه الزيارة وأنها من أعظم القربات؟؟ إنه خرق بشع لإجماع الأمة!!.

لقد نقل صاحب «زاد المسلم» تقريراً رائعاً عن العلامة السمهودي في هذا الصدد إذ قال: «قال علامة دهره عالم المدينة ومؤرخها علي بن أحمد السمهودي في خلاصة الوفاء ما نصه: قال عياض: زيارة قبر رسول الله ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها، وأوضح السبكي أمر الإجماع على الزيارة قولاً وفعلاً، وسرد كلام الأئمة في ذلك-فليراجع – وبين أنها قربة بالسنة.

وقد سبق من السنة الخاصة بها ما فيه مقنع، وجاء في السنة الصحيحة المتفق عليها، الأمر بزيارة القبور، وقبره ﷺ سيد القبور فهو داخل في ذلك، وبالقياس على ما ثبت من زيارته لأهل البقيع والشهداء، فقبره أولى، لما له من الحق ووجوب التعظيم، ولأننا لنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به، وفيه التبرك بذلك، وتأدية الحق، وتذكر الآخرة كما في زيارة غيره، وبالإجماع لما سبق، ولإجماع العلماء على زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي، بل: قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء، وامتاز القبر النبوي الشريف بالأدلة الخاصة به فيستثنى من محل الخلاف بالنسبة إلى النساء كما أشار إليه السبكي والريمي وغيرهما»[1].

---

١ - انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بشرحه فتح المنعم للشيخ محمد حبيب الشنقطي ٢/ ٢٨ ط الحلبي.

من ثَمَّ كان دأب سلفنا الصالح دوام زيارته ﷺ فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء قبر النبي ﷺ فصلى عليه ودعا ثم انصرف[1].

ثم ننتقل إلى بيان مشروعية زيارة قبور آل البيت وأولياء الله الصالحين، فنجد الحق تعالى قد حثنا على مودة آل البيت المحمدي رضوان الله عليهم أجمعين بقوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، والقربى هم: أقارب النبي ﷺ ولاسيما أهل بيته الأطهار.

ومن مودتهم، زيارتهم في الدنيا وفي حياتهم البرزخية في قبورهم والتودد إليهم والاستشفاع بهم إلى الله عز وجل فقد قال ﷺ «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**»[3].

وهل ينكر القرب من مراقد من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا إلا من حَلَّ رجس الضلالة والبدعة في قلوبهم؟؟

إنهم الامتداد النوراني لصفوة الله من خلقه، أفلا تكون أضرحتهم فراديس من أعالي الجنات تحفها الملائكة وتتنزل بها الرحمات؟؟.

وكذلك الأولياء المقربون الذين قال تعالى في شأنهم ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[4].

---

١ - انظر موطأ الإمام مالك بتحقيق أستاذنا الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف: باب زيارة قبر النبي ﷺ وما يستحب من ذلك ص٣٣٤.

٢ - سورة الشورى / ٢٣.

٣ - خرجه الحافظ السيوطي – في الجامع الصغير ص ٢٩١ ط دار القلم بالقاهرة – عن البزار عن الإمامين ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، وعن الحاكم عن سيدنا أبي ذر ورمز له بالحسن.

٤ - سورة يونس / ٦٤ .

ونص القرآن الكريم على أنهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] وأن زيارتهم والتحبب إليهم من أعظم القربات إلى الله عز وجل، لأنها محبة في الله ولله وبالله عز وجل وموالاة عقدها الله بين المؤمنين الصادقين إذ قال تعالى شأنه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2]. وقال عز من قائل ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3].

ومقياس صدق موالاة أولياء الله تعالى أن لا ننقطع عنهم بمفارقتهم هذه الدنيا بل نتمسك بزيارتهم والسلام عليهم والتبرك بهم فذلك من القرب المستحبة بلا نزاع عند أهل النور والإنصاف.

يقول الشيخ الإمام أبو عبد الله النعمان في كتابه «سفينة النجاء لأهل الالتجاء» ما نصه: تحقق لذوي البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة[4] بين الله تعالى وخلقه وقد تقرر في الشرع وعُلِمَ ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر -كابراً عن كابر- مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون ذلك حسا ومعنى[5].

إن المجادلين في مشروعية زيارة الأنبياء والأولياء يربطون بين الزيارة والتوسل في رميهم جمهرة الصوفية وعوام الموحدين بالشرك ويزعمون أن هؤلاء الزائرين يذهبون إلى قبور خاوية ليس فيها من يسمع ويحس ويدرك

١- سورة الزمر / ٣٤ والشورى / ٢٢.   ٢- سورة التوبة / ٧١ .

٣- سورة المائدة / ٥٦ .

٤- المراد أنهم أسباب لا تؤثر بذواتها بل بتسبيبها -بما لها عند الله من جاه ومنزلة- في نجح المقاصد.

٥- انظر النص المذكور في سعادة الدارين للعلامة السمنودي ١/ ١١١.

ويتمثلون بقوله تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[1]. ويطلقون على زوار الأولياء لقب «القبوريين» ويشبهونهم بعبدة الأصنام في توسلهم بهؤلاء الذين فارقوا الدنيا وانقطعت صلتهم بمن فيها!!

ومنشأ هذه الأحكام الجائرة عند هؤلاء -في حقيقة الأمر- هو الجهل الفاضح بحقائق الموت وبطبيعة الحياة البرزخية وبالصلة بين الحياتين الدنيوية والأخروية ثم بحقيقة التوحيد والعبادة مما أفضى إلى إساءة الظن بل والإفراط في الغلو في التكفير والتبديع على غير هدى.

وقد أوضحنا فيما سبق: أن عقيدة التوسل شيء والإشراك شيء آخر بينهما بعد ما بين المشرقين، وأن الحياة البرزخية ليست عدماً بل هي أمر وجودي أرقى حيوية واتساعا وإطلاقا من هذه الحياة.

وقد أجاب الحافظ ابن رجب الحنبلي عن استشكال معارضة ظاهر قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ للأحاديث القاطعة بحياة الموتى وإدراكهم وسماعهم تسليم المسلم عليهم: بأن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضاً: الانتفاع به والاستجابة له والمراد به في الآية الثاني دون الأول، لأن الآية في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى والإيمان إذا دعُوا إليه[2].

أما كيف ينتفع زوار الأنبياء والصالحين بزيارتهم ويصلهم منهم الإمداد الروحي وتحل بهم البركات -دون كفر أو إشراك- فسأترك ذلك

---

١ - سورة فاطر / ٢٢.

٢ - انظر هذا الجواب مع أجوبة أخرى عن شبهات المحتجين بالآية الكريمة ونظيرها لنفي سماع الموتى وإدراكهم لزائريهم في «الرد المحكم المتين للشيخ الغماري ص ٢٣٦».

لتقرير من لا يتهم في دينه أو علمه من أساطين علماء التفسير والعقيدة في الأمة، وعسى أن يكون في تبيانهم مقنع وبلاغ:

تقرير الإمام الفخر الرازي: يقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «المطالب العالية» – الفصل الثامن عشر في بيان: كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور «لاسيما أهل القرب والنور»: «... للكلام فيه مقدمات: المقدمة الأولى: أنا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان، وتلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه. وهذه النفوس أقوى من تلك من بعض الوجوه.

أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه: فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء وانكشف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة، وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان، لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء وغطاء، ولما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال.

وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة – من وجه آخر...: فلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة والأنظار المتتالية، وتستفيد كل يوم علماً جديداً، وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة.

والمقدمة الثانية: أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام ولهذا السبب: كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة لهذا البدن، فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن: فذلك الميل يبقى وذلك العشق لا يزول، وتبقى تلك

النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب -على المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، وأنها موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها- إذا عرفت هذه المقدمات فنقول:

إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر، شديد التأثير ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من هذه التربة -وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضاً- فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى.

فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة مع الخضوع والرضا بقضاء الله ينعكس فيه نور إلى روح ذلك الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس فيه نور إلى روح هذا الزائر الحي.

وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور. وهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة!!

ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى[1] أدق وأغمض مما ذكرناه وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله تعالى[2] ا. هـ.

---

١ - هذه الأسرار الكبرى المشار إليها هي التي تحصل من زيارة الخواص من الأنبياء والأولياء فضلا عما يحصل بزيارة من دونهم مما ذكر لعامة الصالحين.

٢ - انظر هذا النص في «محق النقول في مسألة التوسل» للشيخ محمد زاهد الكوثري: ٧-٨.

تقرير السعد التفتازاني لانتفاع الأحياء بزيارة أضرحة الأولياء: وهـذا إمام آخر يدلي بدلوه في مسألة انتفاع الأحياء في هذه الدار بزيارة قبور من مـات من الأخيار، إنه العلامة المحقق سعد الدين التفتازانى يقول في شرح المقاصـد: لما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحـصول الـصورة في الآلات، فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات -ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط- وعندنا، لما لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات، إما لأنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس، وإمـا لأنـه لا يمتنـع ارتسام صورة الجزئي في النفس، بل الظاهر مـن قواعـد الإسـلام: أنـه يكـون للنفس -بعد المفارقة- إدراكات جزئية، واطلاع على بعـض جزئيـات أحـوال الأحياء لاسيما الذين كان بين الميت وبينهم تعارف في الدنيا.

ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار مـن الأمـوات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً مـا بالبـدن، وبالتربة التي دفن فيها، فإذا زار الحي تلك التربة، وتوجهت نفسه تلقـاء نفـس الميت: حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات»[٣] ا.هـ.

تقرير الشريف الجرجاني لاستفاضة الأنـوار بزيـارة مراقـد الأخيـار: وهذا علامة ثالث في المعقول والمنقول وهو الإمـام الـسيد الـشريف الجرجـاني يقول في أوائل حاشيته على المطالع عند بيان الشارح وجـه الـصلاة عـلى النبـي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام في أوائل الكتب ووجه الحاجة إلى التوسـل بهم في الاستفاضة:

«فإن قيل: هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبـدان وأمـا إذا تجردوا عنها فلا؛ إذ لا جهة مقتضية للمناسبة. قلنا: يكفيه أنهم كـانوا متعلقـين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية، فإن أثر ذلك بـاق فـيهم،

ولذلك: كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر»[1] ا. هـ.

إبطال احتجاج المنكرين للسفر للزيارة بحديث شد الرحال: ثم نأتي إلى بيان وجه الحق في معني الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عن سيدنا أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**»[2].

إن المنتسبين إلى السلف من خصوم الصوفية يستدلون بهذا الحديث على تحريم السفر لزيارة مشاهد أضرحة آل بيت النبي ﷺ وسائر الأولياء فضلا عن زيارة سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ويرمون جماهير المسلمين الذين يرتحلون لزيارتها إما بالشرك والوثنية -كما يفعل غلاتهم ومتعصبوهم- وإما بالمعصية والبدعة كما يزعم سائرهم، ويطلقون على هؤلاء الزائرين المتبركين الموحدين لقب «القبوريين»!! وهؤلاء المعترضون مخطئون أبشع الخطأ في فهمهم لهذا الحديث من جملة وجوه:

أولها: أنهم قدروا المستثنى منه -المحذوف- في الحديث عاما على معنى: لا تشد الرحال إلى شيء من الأماكن أصلا في أي أمر من الأمور إلا إلى ثلاثة مساجد.

وليس الأمر كما زعموا وإلا، لاقتضى ذلك تحريم شد الرحال للجهاد والهجرة من دار الكفر وطلب العلم والتجارة وزيارة الأهل والإخوان وغير ذلك. وهذا لا يقول به عاقل فضلا عن مسلم عالم بدينه.

---

١ - انظر نفس المرجع ص٩.

٢ - انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بشرحه فتح المنعم للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي: ٥/ ٢١٢ - ٢١٥ ط - الحلبي.

وإنما يقدر المستثنى منه -في الحديث الشريف- تقديراً خاصاً، مناسباً للمستثنى معنى ووضعاً، فيكون المعنى لا تشد الرحال إلى مسجد تعبداً فيه وتعظيماً له وابتغاء التقرب إلى الله تعالى بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة، فإنها هي التي تشد الرحال إليها لذلك «بقرينة التعبير بالمساجد» فإن لفظها مشعر بالصلاة.

وتوجيه ذلك علميا أيضاً: أن الاستثناء في الحديث الشريف مفرغ والمقدر في هذا النوع من الاستثناء يكون مناسباً للمستثنى منه في المعنى والوضع، وعليه يكون الاستثناء متصلا لا منقطعا وهو الأصل ثم إنه قد ورد تقدير المستثنى منه على نحو ما ذكرنا في حديث حسن رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة والطبراني والضياء وهو قوله ﷺ: ﴿**لا تشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد...**﴾[1] إلخ. فالحديث الشريف يفسر بعضه بعضا.

وثانياً: أن النفي في قوله «لا تشد» ليس للنهي التحريمي وإنما هو لبيان أفضلية المساجد الثلاثة على غيرها لا غير، وقيل، إنه لمجرد الإخبار لا النهي ومن ثم: فإنه لا يحرم شد الرحال حتى إلى غيرها من المساجد بدليل ما روي في الصحيح عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشيا فيصلي فيه ركعتين»[2] -وفي رواية- «كان يأتيه كل سبت»[3].

---

١ - انظر التخريج والتوجيه في سعادة الدارين للعلامة السمنودي ١/ ١٢٠ -١٢١.

٢ - خرجه السمنودي في المرجع السابق ١/ ١٢٢ عن الشيخين وخرج الزركشي نحوه - بالرواية التي فيها «كان يأتيه كل سبت» عن الإمام مسلم في باب فضل مسجد قباء حديث «١٠١٦».

٣ - خرجه السمنودي في المرجع السابق ١/ ١٢٢ عن الشيخين وخرج الزركشي نحوه - بالرواية التي فيها «كان يأتيه كل سبت» عن الإمام مسلم في باب فضل مسجد قباء حديث «١٠١٦».

وثالثاً: إن تخصيص المساجد الثلاثة – المذكورة في الحديث الشريف بأفضلية شد الرحال إليها راجع إلى أمور ثلاثة، أحدها، لكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ قال صاحب «زاد المسلم»:

«واستثنيت الثلاثة مساجد لفضلها وفضل الصلاة بها وكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[1] ومن ثم: يكون لذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مدخل في أفضلية المساجد الثلاثة وشد الرحال إليها بما يدحض دعوى الخصوم بحجتهم!!

بيان مشروعية التبرك بالأنبياء والأولياء وتفنيد دعاوى المنكرين لذلك: حينما نعمد إلى مناقشة قضية التبرك -بعد ما تبين لنا في موضوع التوسل من وجه الحق- نجد فداحة جرم خصوم التصوف في رميهم للمتصوفة بالشرك وعبادة الجبت والطاغوت لا حدود لها، فإن أمر التبرك في جوهره لا يخرج عن التماس البركة -وهي كثرة الخير والنفع- ممن جعلها الله فيه أو مما وضعت فيه بتقدير الله تعالى وتأثيره على التوحد والانفراد، وهذا أمر مقرر في الكتاب والسنة، فقد أثبت القرآن الكريم بركة للذوات «الأشخاص الفاضلة» وبركة للآثار -التابعة للذوات المباركة- وبركة للأماكن والبقاع التي خصها الله تعالى بمزيد الخيرية.

فيشهد للنوع الأول قوله تعالى حكاية عن سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[2] وقوله تعالى ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[3].

١- زاد المسلم للشيخ محمد الشنقيطي ٥/ ٢١٣.   ٢- سورة مريم / ٣١

٣- سورة هود/ ٧٣ .

ويشهد للنوع الثاني قوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ...﴾[1].

وقد فسر الإمام البيضاوي هذه البقية بأنها: «رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون» وقال في تفسير قوله ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: «قيل: رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون إليه». وقيل: كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به[2] حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه[3].

كما يشهد للتبرك بالآثار في التنزيل قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

فانظر كيف أمر سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام إخوته بإلقاء أثره المبارك وهو القميص على وجه أبيه نبي الله يعقوب على نبينا وعليه السلام الذي ابيضت عيناه من الحزن فلما ألقاه على وجهه ارتد بصيراً ولم يرم أحد سيدنا يوسف ولا سيدنا يعقوب بالإشراك ولا بعبادة القميص واتخاذه وثنا!! يا قوم تدبروا كتاب الله ترشدوا ولا تضلوا بأهوائكم!!

---

١ - سورة البقرة / ٢٤٨ .

٢ - المراد بقوله تعالى ﴿يستفتحون به﴾ أي يتوسلون به في الفتح وهو النصر فينصرون ببركته.

٣ - انظر تفسير البيضاوي ١ / ٥٥ ط. الحلبي الثانية .

٤ - سورة يوسف / ٩٣ - ٩٦ .

ثم يشهد لبركة الأماكن والبقاع قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] وقوله سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[2].

وأما الاستدلال من السنة النبوية الشريفة لمشروعية التبرك بمظاهره العديدة: فإننا نجد من الأحاديث الشريفة المحتج بها عند الثقات ما يبدد شبهات الخصوم في التبرك، ويؤكد أن الصوفية يسيرون على منهاج السنة المحمدية تحققا، ويسلكون المسلك السلفي الحقيقي -لا الادعائي- فإن النبي ﷺ هو الذي شرع التبرك لأمته وأقر أصحابه عليه بشتى مظاهره التي ترسخ التوحيد في القلب ولا تبدده. فلقد روى البخاري وغيره أن النبي ﷺ جاء سقاية العباس ليشرب من السقاية، فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي للنبي ﷺ بماء آخر من الدار غير ما يشرب منه الناس، لأنه استقذره وقال يا رسول الله: هذا تمسه الأيدي، نأتيك بها غيره فقال «لا. إنما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم»[3].

فانظر كيف كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يتبرك بما مسته أيدي المسلمين باعتبار أن المسلم فيه نور وبركة، والله تعالى هو خالق النور والبركة فكيف يعتبر التبرك شركا؟! ولقد كان النبي ﷺ يبارك بذاته الشريفة وبآثاره خواص أقربائه وأحبائه من صحابته الأطهار.

---

١ - سورة آل عمران / ٩٦.

٢ - سورة الإسراء / ١.

٣ - خرجه عن البخاري العلامة السمنودي في سعادة الدارين ٢/ ٢٥ - ٢٦ وانظر الحديث في صحيح البخاري ١/ ١٩٦ -١٩٧ ط حجازي ومسند الإمام أحمد ١/ ٢١٤ - ٢١٥.

فقد روى الطبراني -في الكبير والأوسط- عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد -أم علي رضي الله عنها- دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدارة الآخرة**».

ثم أمر أن تغسل -ثلاثا ثلاثاً- فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببردة فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري أو عمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغ اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل فيه رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت. اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**» وكبر عليها وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[1].

فهذا هو التبرك والتوسل مجسداً في فعل النبي ﷺ مع زوج عمه التي ربته وكانت له أما بعد أمه رضي الله عنها وعنا بهما آمين.

وانظر في صحيح البخاري -كتاب الوضوء- تجده يروي عن سيدنا أنس ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء - فوضع رسول الله ﷺ في

---

١ - خرجه المحدث الشيخ عبد الله الغماري في: «الرد المحكم المتين: ص ١٩٣ - ١٩٤ » ونقل عن الحافظ الهيثمي أنه قال في هذا الحديث: «رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف» وعليه: فالحديث صحيح على رأي ابن حبان والحاكم لأنه على شرطهما، وعلى قول من ضَعَّفَ روحا فإنه أقوى من كثير من الأحاديث الضعيفة التي احتج بها الأئمة في الأحكام.

ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم[1]!!

فبالله لماذا وضع الرسول الكريم – ﷺ يده في الإناء؟! ولماذا تكاثر الماء بعد وضعها! أليست بركته الشريفة وقد حلت في قليل من الماء فباركه الله وكثر!!

وانظر في نفس المصدر الصحيح نجد البخاري يروي عن ابن سيرين أنه قال لعبيدة: عندنا من شَعر[2] النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس –أو من قِبَل أهل أنس– فقال: «لأن يكون عندي شَعرة منه أحب اليّ من الدنيا وما فيها»[3].

هذه هي روح السلف الصالح تجاه النبي ﷺ والتبرك به وبآثاره، لقد كانوا يتبركون بشعره الشريف حتى كانوا يرصدون أول من يأخذ منه أول ما يحلق رأسه ﷺ: فقد روى البخاري عن سيدنا أنس – رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره[4].

وفي الصحيحين عن أم سليم «أنها فتحت عتيدتها – أي صندوقها الصغير – فجعلت تنشف فيه عرقه ﷺ فتعصره في قواربها فقال ﷺ لما استيقظ من نومه: ما تصنعين يا أم سليم فقالت، يا رسول الله أجو بركته لصبياننا، فقال، أصبت»[5].

---

١ – انظر صحيح البخاري ١/ ١٣٦ إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ط ثانية.

٢ – ضبط «شعر» بفتح الشين حتى لا يسبق الوهم إلى كسرها.

٣، ٤ – انظر صحيح البخاري ١/ ١٣٧ ط: المجلس الأعلى.

٥ – خرجه عن الشيخين الشيخ داود في صلح الإخوان وقال: رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه.

التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته:

ولم ينقطع التبرك به ﷺ بوفاته بل ظل الصحابة يتبركون بقبره الشريف وبآثاره. فقد روى الحافظ ابن الجوزي –السلفي– في الوفا بسنده إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لما مات رسول الله ﷺ ودفن جاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها وبكت وأنشدت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد	أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبتْ عليّ مصائب لو أنها	صبت على الأيام عدن لياليا [1]

وأخرج ابن عساكر –بسند جيد– عن أبي الدرداء قصة نزول بلال بدَارَيَّا بعد فتح بيت المقدس، قال: ثم إن بلالا رأى النبي ﷺ وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنا فانتبه حزيناً خائفاً فركب راحلته، وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر.. إلى آخر القصة، وكان ذلك بحضور الصحابة فلم ينكر عليه أحد ا. هـ[2].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه على الصحيحين قالا: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعا جبهته على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل – عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غير أهله ا. هـ[3].

---

١ – انظر الوفا بأحوال المصطفى ﷺ لابن الجوزي ٢/ ٨٠٣ وصلح الإخوان ١/ ٥٧.

٢ – انظر صلح الإخوان ص ٥٧ وفيه التخريج عن السبكي في شفاء السقام والقسطلاني وابن حجر وغيرهم وانظر سعادة الدارين للسمنودي ٢/ ٦١.

٣ – انظر السند للإمام أحمد ٥/ ٤٢٢ وصلح الإخوان ص ٥٦.

وثبت أن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على القبر الشريف وأنه كان يلتمس بيده رمانة منبره ﷺ ويمسح بها وجهه الشريف[1].

والعجيب أن ابن تيمية يصرح بترخيص الإمام أحمد بن حنبل وغيره في التمسح بالمنبر، إذا قال في اقتضاء الصراط المستقيم «فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع معقد النبي ﷺ ويده»[2].

فتوى الإمام أحمد بجواز تقبيل القبر النبوي الشريف:

لقد نقل عن العلامة المقري المكي في «فتح المتعال بصفة النعال» نقلاً عن ولي الدين العراقي أنه قال: أخبرني الحافظ أبو سعيد بن العلا قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل -في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ- أن الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك!! قال: فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه، أو معنى كلامه وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به!!

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟! «ذكره الشيخ داود في صلح الإخوان ص ٨١».

وقد صنف العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رسالة لطيفة في هذا الباب عنوانها «إعلام النبيل بجواز التقبيل» قال فيها: «أما تقبيل غير الأعضاء: فقد تقدم أن أبا العالية قبل تفاحة تبركاً بمسها لكف أنس ﷺ

---

١ - انظر سعادة الدارين ٢ / ص٦٠.

٢ - انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص٣٦٦.

وأجاز أحمد تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجاز ابن أبي الصيف والمحب الطبري: تقبيل قبور الصالحين»[1]

هذه هي سماحة الإسلام بلا ابتداع ولا هوى، إباحة ما أحله الله وتحريم ما حرم بلا شطط أو غلو أو احتكار للحكم في دين الله بالتعصب المذهبي. فلماذا نحيد عن سماحة الإسلام إلى الغلو فيه؟؟ وإخراج أهله منه أكبر عند الله!!

لقد قال أحد الأثبات الفقهين بدين الله في سماحة ويسر وهو العلامة السَّمَنُّودي في هذا الباب من كتابه «سعادة الدارين» ما نصه: «فقد صرح غير واحد من الأئمة هداة الأمة بإباحة التمسح بقبور الصالحين وتقبيلها وتمريغ الخد عليها وتقبيل أعتابها بقصد التبرك، ومنع من ذلك بعضهم، لكنه قال بالكراهة لا بالحرمة فضلا عن التكفير»[2].

سيقول الخصماء: إن الشيخ السمنودي وأمثاله من المتصوفة الذين لا يحتج به عندهم، مع أنه يحتكم في كتابه القيم إلى الأدلة النقلية والعقلية الصريحة.

ونقول لهم فما تقولون فيما قرره العديد من الفقهاء شيوخ الإسلام كالإمام الباجوري والعلامة الرملي والفقيه البجيرمي ونحوهم ممن تربى على أيديهم ألوف العلماء وعلى كتبهم من لا يحصون عدداً من علماء الأمة ومتفقهيها؟؟

---

١ - انظر إعلام النبيل بجواز التقبيل لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق ص٢٢ ط العهد الجديد، الثانية، والرد المحكم المتين ص٢٧٣.

٢ - انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقتين ٢/ ٥٩.

فتاوي الفقهاء بجواز التقبيل للتبرك:

لقد قال الإمام شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري في حاشيته على شرح ابن قاسم في فقه الشافعية «وهذه الحاشية لا تزال تدرس للآن في المعاهد الأزهرية» ما نصه: «ويكره تقبيل القبر واستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذا تقبيل الاعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء إلا إن قصد به التبرك بهم فلا يكره»[1].

وقال الشيخ العلامة سليمان البجيرمي في حاشيته « تحفة الحبيب على شرح الخطيب» تعليقا على قول الشارح في كتاب الصلاة: «ومما يحرم ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ ولَوْ إلى القبلة». قال: «هل مثله ما يقع لبعضهم من الانحناء إلى حد الركوع أو ما زاد عليه بحيث يقرب إلى السجود أولا؟ فيه نظر. ولا يبعد أنه مثله. وأما تقبيل أعتاب المشايخ فمستحب لا بأس به»[2].

الشبهة الرابعة: حول الصلاة في المساجد التي بها أضرحة:

إن كثيرا من الأحاديث الشريفة حرفها أهل البدع عن مواضعها ولووا أحكامها بما يوافق مذاهبهم ومن ذلك: تحريم خصوم التصوف للصلاة بالمساجد التي بها أضرحة مستدلين بقوله ﷺ «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[3].

---

١ – انظر حاشية البيجوري على شرح ابن قاسم ١/ ٢٦٥ ط الحلبي سنة ١٣٤٣هـ، وانظر أيضاً نص العلامة شمس الدين الرملي على جواز تقبيل الأعتاب وفتوى والده الشهاب الرملي بذلك في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٣/ ٣٤.

٢ – انظر تحفة الحبيب على شرح الخطيب للعلامة الشيخ سليمان البجيرمي الشافعي ١/ ٣٨٦ ط الحلبي.

٣ – رواه الشيخان عن السيدة عائشة رضي الله عنها انظر زاد المسلم ٢/ ٢٤ – ٣٣.

ونقول: لهم إن اللعن في الحديث منصب على اليهود والنصارى وقد كان ذلك على إثر ذكر السيدة أم سلمة رضي الله عنها للنبي ﷺ ما رأته بأرض الحبشة من كنيسة تعبد بها الصور فقال ﷺ: «**أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**».

فوجه الحق في فهم هذا الحديث أن النبي ﷺ إنما لعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبدون فيها تلك القبور ويسجدون إليها أو يجعلونها قبلة،لاتخاذهم الأنبياء شركاء مع الله تعالى فيما يستحقه من العبادة.

أما من أقام مسجدا بجوار قبر رجل صالح بقصد التبرك منه فإنه لا يدخل في وعيد الحديث المذكور لأن المسجد هو مكان السجود أي محل وضع أعضاء السجود السبعة فوقه وهذا لا يفعل بقبر مطلقاً في بلاد المسلمين.

يقول الإمام البيضاوي -فيما نقله عند الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث من فتح الباري- «لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنها ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا لعنهم النبي ﷺ ومنع المسلمين عن مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه إليه فلا يدخل في اللعن المذكور»[1].

وقد عقبه العلامة السمنودي قائلاً: كيف وقد قال تعالى في أهل الكهف ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾[2].

١ - انظر فتح الباري لابن حجر ١/ ٤١٧ ط البهية: وسعادة الدارين ١/ ١١٥.

٢ - سورة الكهف / ٢١.

ذكر المفسرون أن الذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون، قال العلامة الخفاجي في العناية -وهي حاشية على تفسير البيضاوي- في هذه الآية دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين[1].

وهكذا ينبلج صبح الحقيقة ويسطع ضوؤها ليبدد ظلمات الوهم القاتم ليبقى الحقُّ ناصعاً واضحا وتنقشع بدعةُ القول بتحريم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة. فلا تثريب على المسلمين من الصلاة فيها بل هي مستحبة لاشتمالها على رياض الجنة طالما لا يُصلَى فوق القبور ولا إليها بأن يتخذ قبلة للصلاة، وهذا لم ولن يفعله أحد من المسلمين ببركة سيد المرسلين ﷺ، فإنه لا يوجد ضريح في مسجد إلا وهو محاط بمقصورة من نحاس أو خشب للحيلولة بين المصلين وبين الأضرحة.

وبمنطق الشرع والعقل أقول: إنه لو حرمت الصلاة في كل مسجد مشتمل على قبر أو ضريح لحَرُمَت الصلاة بالمسجد الحرام لوجود قبر سيدنا إسماعيل وأمه السيدة هاجر به باتفاق العلماء فضلاً عن كثير من الأنبياء دفنوا بين زمزم والحطيم.

ولحَرُمَتْ أيضاً الصلاةُ بالمسجد النبوي الشريف لوجود قبره ﷺ وقبري سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، ولا يقال إن إدخال القبر الشريف في المسجد كان من بعده مما يسقط الاحتجاج بذلك لأنه أدخل في القرن الأول على عهد ولاية الوليد بن عبد الملك بين سنتي ٨٨ و ٩٣هـ ولم يزل آنذاك صحابة للنبي ﷺ أحياء ولم يؤثر عنهم أي إنكار لذلك وكذلك لو حرمت الصلاة بالمساجد المشتملة على قبور لحرمت في المسجد الأقصى المشتمل على العديد من قبور أنبياء بني إسرائيل وتلك هي المساجد الثلاثة

---

١ - انظر سعادة الدارين ١/ ١١٥.

التي تشد الرحال إليها أفنحرم الصلاة فيها وفي آلاف المساجد في شتى بقاع الأرض بدوافع بدعية مارقة عن الصواب؟؟ كلا ثم كلا.

ثم إنني أوكد أخيراً: أننا بهذا الدفاع عن التوسل والتبرك والتدليل على مشروعيتهما إنما نبغي تطهير ساحة الأمة الإسلامية من دعاوى الشرك والوثنية، ولا نستهدف إطلاقا فرض هذه المفاهيم الصوفية أو تعميم سلوكياتها فإنها من قبل ومن بعد: أذواق ومواجيد خاصة بأهلها ولا نفرضها على من سواهم فإن «من ذاق عرف»!!

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وزرقنا اجتنابه بجاه من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه والتابعين، واحشرنا اللهم بحقهم في زمرة أوليائك المقربين اللهم آمين يا رب العالمين.

خامساً : مشروعية إهداء قراءة القران وسائر القربات للأحياء والأموات

من الحقائق المؤكدة التي قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع وأكدها علماء الأصول أن الله سبحانه شرع الأحكام لحكم ومصالح يعود نفعها على العباد رحمة بهم وتيسيراً عليهم كما قال جل شأنه:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾،﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولكن فريقاً من الناس قد عمدوا إلى تضييق رحمة الله الواسعة وجنحوا إلى التشديد على الأمة فحرموا ما أحل الله افتراء على الله، وأشاعوا في أجهزة الدعوة والإعلام تحريم أمور كثيرة توفرت الأدلة والبراهين على حلها واستحبابها.

ومن ذلك دعواهم أن قراءة القرآن وإهداء سائر القربات للغير أحياء وأمواتاً من البدع المحرمة، وهذه الدعوى مجانبة للحق والصواب وافتراء على

الله ورسوله. وهذه الطائفة من الأدلة الشرعية المثبتة لجواز قراءة القرآن الكريم والذكر والعبادة وإهداء ثوابها للأحياء والأموات على السواء.

(فالدليل الأول):

أن الإمام البخاري ﷺ جعل عنوان باب – من كتاب الجنائز في صحيحه « باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة » وروى فيه بسنده عن طلحة بن عبد الله بن عوف أنه قال: « صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، قال ليعلموا أنها سنة »[1].

(والدليل الثاني):

وفيه مشروعية صلاة الجنازة على القبر كما يفيد مشروعية الصلاة مطلقاً بجوار القبور ما لم تنبش: ما رواه البخاري – في نفس الكتاب والباب من صحيحه – عن أبي هريرة ﷺ: أن أسود – رجلاً كان أو امرأة: كان يقم المسجد فمات ولم يعلم النبي ﷺ بموته: فذكره ذات يوم فقال ﷺ ما فعل ذلك الإنسان؟ فقالوا: مات يا رسول الله. قال: أفلا أذنتموني؟ فقالوا: إنه كان كذا. قصته، قال فحقروا شأنه. قال: فدلوني على قبره: فأتى قبره فصلى عليه[2] ولا يخفى أن صلاته ﷺ مشتملة على تلاوة القرآن والدعاء لرحمة الميت.

(الدليل الثالث):

أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما عن معقل بن يسار وأن النبي ﷺ قال « البقرة » سنام القرآن وذروته، ونزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ » من تحت العرش فوصلت بها،

١- انظر صحيح البخاري ١/ ١٦٠ط/ حجازي.

٢- صحيح البخاري ١/ ١٦١ط حجازي. كما أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ٩٥٦) من حديث ثابت البناني عن أبي رافع عن أبي هريرة.

«ويس » قلب القرآن ولا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له، وأقرؤوها على موتاكم»[1] وقد رد الأمير الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ٢٤٤) على من قال إن المراد بالميت هنا المحتضر: بقوله: «وهو شامل للميت بل هو الحقيقة فيه»[2].

(الدليل الرابع):

وهو من كتاب «الروح» لابن القيم السلفي – حيث روى فيه عن الخلال عن الحسن الوراق قال: حدثني علي بن موسى الحداد وكان صدوقاً – قال: «كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامه الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا، إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامه لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: فأخبروني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك: فقال له أحمد: فأرجع وقل للرجل يقرأ»[3] هذه هي السلفية المختلفة المدعاة!!

(الدليل الخامس):

ما نقل عن السلف الصالح –تطبيقاً– من المصادر السلفية المنصفة. فقد نقل ابن القيم أيضاً –في كتاب الروح– عن العلامة الخلال «السلفي» عن

١- انظر مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٦ وبقية في رموز الأحاديث للشيخ أحمد الكمشخانوي ص ١٩٥.

٢- انظر كشف الستور عما أشكل من أحكام القبور ص ٢٣٤ ط/ دار الفقيه.

٣- انظر كتاب الروح لابن القيم بتحقيق الدكتور حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ود. عبد الحميد مصطفى ص ٣٧.

الإمام الشعبي –وهو من سادات التابعين– أنه قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن [1].

(الدليل السادس):

ما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن الإمام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: (مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير – ثم قال – بلى: أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة. وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»)[2].

قال الإمام الخطابي: فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور لأنه إذا كان يرجى عن الميت التخفيف بتسبيح الشجر فتلاوة القرآن أعظم رجاءً وبركة[3].

(الدليل السابع):

أخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي الشعثاء جابر بن زيد – وهو من ثقاة التابعين: أنه يقرأ عند الميت سورة «الرعد». قال الحافظ ابن حجر سنده صحيح[4]. وفي سبل السلام للصنعاني: أخرج أبو الشيخ في فضائل القرآن وأبو بكر المروزي في كتاب الجنائز عن أبي الشعثاء – صاحب ابن عباس – أنه

---

١ – المصدر نفسه ص٣٧.

٢ – انظر المسند للإمام أحمد ١/ ٢٢٥ وصحيح البخاري حديث رقم ٢١٨ وصحيح مسلم رقم ٢٩٢.

٣ – انظر كشف الستور عما أشكل من أحكام القبور للأستاذ محمود سعيد ممدوح ص٣٦.

٤ – انظر كشف الشبهات عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات للشيخ محمود حسن ربيع ص٢٨.

يستحب قراءة سورة الرعد. وزاد فإن ذلك يخفف عن الميت. وفيـه أيـضاً عـن الشعبي: كانت الأنصار يستحبون أن يقرأ عند الميت سورة «البقرة».

هذه بعض الحجج والأدلة التي تثبت وتؤكد مـشروعية قـراءة القـرآن وإهداء ثوابها للأموات.

** *** **

** **

**

ثبت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢-أبحاث في التصوف، للدكتور عبد الحليم محمود. ملحق بكتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالي. ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

٣-إرغام المريد في شرح توسل المريد للشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي.

٤-الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني بتحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم. ط. السعادة ونشر الخانجي.

٥-أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد للشيخ محمد أسعد صاحب زاده. ط. العلمية بمصر.

٦-الاصطلاحات للكاشاني. بهامش كتاب شرح منازل السائرين للكاشاني أيضاً. ط. طهران.

٧-الأعلام لخير الدين الزركلي. ط. العربية الرابعة نشر دار العلم للملايين ببيروت.

٨-الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام للعلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري. ط. دار لوران.

٩-إعلام النبيل بجواز التقبيل للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري. ط. العهد الجديد.

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية بتقديم وتعليق حمدي إمام. ط. المدني بجدة.
١١- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية للإمام عبد الوهاب الشعراني. ملحق بكتاب الطبقات الكبرى. ط. الشرفية الأولى.
١٢- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للإمام الشعراني بتحقيق طه عبد الباقي سرور. ط. العلمية بالقاهرة.
١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير الإمام البيضاوي» ط. الحلبي.
١٤- الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية للشيخ يس السنهوتي. ط. الحلبي.
١٥- الأوراد البهائية لسيدي محمد بهاء الدين النقشبندي. ط. الترقي بدمشق.
١٦- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لسيدي أحمد بن عجيبة الحسني. ط. الحلبي.
١٧- البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق: د. محمد أبو ملحم وآخرين. ط. دار الكتب العلمية ببيروت.
١٨- البراهين الساطعة للشيخ سلامة العزامي النقشبندي. ط. السعادة.
١٩- البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية للشيخ محمد بن عبد الله الخاني. ط. الحلبي.
٢٠- تحفة الحبيب على شرح الخطيب «في فقه الشافعية» للشيخ سليمان البحيرى. ط. الحلبي.

٢١-التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز للشيخ محمد زاهد الكوثري. ط. الأنوار.
٢٢-تذكرة الحفاظ للذهبي. نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٢٣-التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس «في عصر النابلسي» للأستاذ عبد القادر أحمد عطا. نشر دار الجيل ببيروت.
٢٤-التعريفات للسيد الشريف الجرجاني. ط. الحلبي.
٢٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. ط. الشعب.
٢٦-التوسل والزيارة للشيخ محمد الفقي ط. الحلبي.
٢٧-الجامع الصحيح المسند لأبي عبد الله البخاري. ط. حجازي. وط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٢٨-الجامع الصحيح للترمذي بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وآخرين. ط. الحلبي.
٢٩-الجامع الصغير للإمام السيوطي.ط الحلبي. وط. دار الكاتب العربي.
٣٠-الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي. ط. دار الكتب المصرية.
٣١-حاشية الباجوري علي شرح ابن قاسم «في فقه الشافعية» ط. الحلبي وط. صبيح.
٣٢-الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية للشيخ محمد بن سليمان الحنفي، بهامش أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد ط. العلمية بمصر.

٣٣- الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية للشيخ عبد المجيد الخاني نشر الدروبي بدمشق.
٣٤- حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة للشيخ موسى محمد علي. ط. دار التراث العربي بالقاهرة.
٣٥- الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ أحمد زيني دحلان. ط. المدينة المنورة بالقاهرة.
٣٦- دلائل النبوة للبيهقي بتحقيق: د. عبد المعطي قلعجي ط. دار الكتب العلمية ببيروت.
٣٧- الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري. ط. مكتبة القاهرة .
٣٨- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري بتحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود الشريف نشر دار الكتب الحديثة.
٣٩- روح البيان «في تفسير القرآن» للشيخ إسماعيل حقي البروسوي نشر دار إحياء التراث العربي.
٤٠- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود الآلوسي. ط. المنيرية .
٤١- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للحافظ محمد حبيب الله الشنقيطي. ط. الحلبي.
٤٢- سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية للشيخ إبراهيم السمنودي ط. جريدة الإسلام.
٤٣- سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط. عيسى الحلبي.

٤٤- سنن أبي داود بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد. ط. التجارية.
٤٥- السيد إبراهيم الدسوقي للأستاذ أحمد عز الدين خلف الله. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٤٦- شرح ديوان سيدي عمر بن الفارض لجامعه الفاضل رشيد بن غالب من شرحي الشيخ حسن البوريني وسيدي عبد الغني النابلسي. ط. الشرفية الأولى.
٤٧- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ لسيدي يوسف النبهاني. ط. الحلبي.
٤٨- صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم للعلامة الشيخ داود النقشبندي الخالدي البغدادي. ط. نخبة الأخبار بمبي .
٤٩- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب. ط. الكمال بمصر.
٥٠- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة للإمام أحمد بن حجر الهيثمي نشر مكتبة القاهرة.
٥١- الصوفية والفقراء... رسالة بمجموع فتاوى ابن تيمية.
٥٢- الطبقات الكبرى لسيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني ط. الشرفية.
٥٣- عشر أدباء يتحدثون لفؤاد دوارة – سلسلة كتاب الهلال بالقاهرة.
٥٤- عناية القاضي وكفاية الراضي: «حاشية الشهاب علي البيضاوي» نشر دار صادر ببيروت.

٥٥- عوارف المعارف للإمام السهروردي. ملحق بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ط. التجارية.
٥٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني . ط. البهية المصرية.
٥٧- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للإمام يوسف النبهان ط. الحلبي.
٥٨- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي بتحقيق د. عثمان يحيى ط المصرية العامة للكتاب.
٥٩- فوح المسك الذكي في تاريخ وكرامات القطب الولي الشيخ منصور هيكل الشرقاوي للشيخ عبد الرحمن سالم نصر. ط. حلبي بدمنهور.
٦٠- الفيوضات الإحسانية شرح الأوراد البهائية. ط. الوطنية بالإسكندرية.
٦١- الفيوضات الخالدية والمناقب الصاحبية لسيدي محمد أسعد صاحب زادة الخالدي العثماني بهامش كتاب نور الهداية والعرفان له أيضاً ط. العلمية.
٦٢- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لتقي الدين أحمد بن تيمية ط. السلفية.
٦٣- قضايا الوسيلة والقبور للشيخ محمد زكي إبراهيم .ط. حسان.
٦٤- الكتاب التذكاري: محي الدين بن عربي نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٦٥- كشف الخفا والإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني نشر: دار التراث بالقاهرة .
٦٦- كشف الستور عما أشكل من أحكام القبور للأستاذ محمود سعيد ممدوح. دار الفقيه.
٦٧- انظر كشف الشبهات عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات.
٦٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل «تفسير الزمخشري» ط. الحلبي.
٦٩- كمال الأمة في إصلاح عقيدتها لأبي بكر الجزائري. ط. الأهلية بجدة.
٧٠- كنز الهدايات وكشف البدايات والنهايات للإمام أحمد الفاروقي السرهندي. ط. المعاهد.
٧١- لسان العرب، لابن منظور، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٧٢- لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن لسيدي الإمام أحمد بن عطاء الله السكندري بهامش كتاب لطائف المنن والأخلاق الآتي ذكره.
٧٣- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق لسيدي عبدالوهاب الشعراني. ط/ الميمنية.
٧٤- اللمع لأبي نصر السراج الطوسي، بتحقيق د/ عبد الحليم محمود، نشر دار الكتب الحديثة.
٧٥- متممات جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي. ط/ الحلبي.
٧٦- مجموع الفتاوى. لابن تيمية ط/ مكتبة المعارف بالمغرب.

٧٧- محق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري. ط الأنوار.
٧٨- المسند للإمام أحمد بن حنبل ط. دار صادر ببيروت.
٧٩- مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن للأستاذ علي عبد العظيم، نشر مجمع البحوث الإسلامية.
٨٠- معالم التنزيل «تفسير الإمام البغوي» وهو بهامش تفسير الخازن. ط. الحلبي.
٨١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق عبد السلام هارون ط. الحلبي.
٨٢- معجم المؤلفين لعمر كحالة .ط. دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٨٣- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» للإمام فخر الدين الرازي. ط. دار الفكر ببيروت .
٨٤- مفتاح المعية في بيان طريق النقشبندية للإمام عبد الغني النابلسي مخطوطة بدار الكتب المصرية وبالمكتبة الظاهرية بدمشق.
٨٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. ط. الحلبي.
٨٦- المفاخر العلمية في المآثر الشاذلية لسيدي أحمد بن عباد. ط. الحلبي.
٨٧- مكتوبات الإمام الرباني سيدي أحمد الفاروقي السرهندي نشر دار الكتب العلمية ببيروت.
٨٨- المنار الهادي في خصائص شيخنا القاضي للشيخ عبد الجليل قاسم ط. حسان بالقاهرة.

٨٩- المنقذ من الضلال للإمام الغزالي بتحقيق د. عبد الحليم محمود ط. دار الكتب الحديثة.
٩٠- المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية للشيخ محمد أمين الكردي. ط. السعادة.
٩١- الموطأ للإمام مالك بن أنس ﷺ بتحقيق شيخنا الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
٩٢- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي ط الحلبي.
٩٣- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ للشيخ سيد الشبلنجي. ط. الأزهرية.
٩٤- نور الهداية والعرفان في بيان سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان لسيدي محمد أسعد صاحب زاده ط/ العلمية بمصر.
٩٥- هدي النيرين في سيرة سيد الكونين ﷺ للدكتور جودة محمد أبو يزيد المهدي ط. نفرتيتي بالقاهرة.
٩٦- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ للسمهودي. ط. دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٩٧- الوفا بأحوال المصطفى ﷺ لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بتحقيق مصطفى عبد الواحد .ط/ السعادة «الأولى» نشر: دار الكتب الحديثة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

مؤلف الكتاب في سطور

الأستاذ/ الدكتور جودة محمد أبو يزيد المهدي عميد كلية القرآن الكريم بطنطا.

- هو ابن العارف بالله تعالى الشيخ محمد أبو يزيد المهدي النقشبندي .
- وحفيد العارف بالله تعالى الشيخ جودة إبراهيم إمام الطريقة النقشبندية المنتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٤٦ هـ والكائن ضريحه بمدينة منيا القمح بمحافظة الشرقية.
- ولد بقرية العزيزية مركز منيا القمح سنة ١٩٤٤م وبها حفظ القرآن الكريم.
- والتحق بالمعهد الديني الأحمدي بطنطا ومنه حصل على شهادتي الابتدائية والثانوية.
- ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة ١٩٦٤ وحصل منها على الإجازة العالية «الليسانس» في التفسير والحديث عام ١٩٦٨ بتقدير عام جيداً جداً مع مرتبة الشرف الثانية وكان ترتيبه الأول.
- عين معيداً بقسم التفسير بكلية أصول الدين في أبريل ١٩٦٩م.
- حصل على درجة التخصص «الماجستير» في تفسير القرآن الكريم وعلومه سنة ١٩٧٠ بتقدير «ممتاز».

- حصل في يناير سنة ١٩٧٧ على درجة العالمية «الدكتوراه» في التفسير وعلوم القرآن الكريم بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتداولها بين الجامعات، وكان موضوع الرسالة «الواحدي ومنهجه في التفسير».
- عين في فبراير سنة ١٩٧٧ مدرساً للتفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة.
- في سبتمبر سنة ١٩٧٧ وافق مجلس جامعة الأزهر على نقله -بناء على طلبه- مدرساً بكلية الدعوة الإسلامية بطنطا حيث كان العام التالي لعام افتتاحها وقام بأعمال رئيس قسم أصول الدعوة بالكلية.
- في فبراير سنة ١٩٨١ رُقِّيَ إلى درجة أستاذ مساعد وشغل منصب رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية.
- في فبراير سنة ١٩٨٥ عين خطيباً -بالمكافأة- لمسجد سيدنا الشيخ جودة إبراهيم بمنيا القمح.
- في مارس سنة ١٩٨٥ رقي إلى درجة أستاذ مع قيامه برئاسة قسم التفسير وعلومه.
- في فبراير سنة ١٩٨٦ صدر قرار السيد وزير الأوقاف بتعيينه مقررا للجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- وفي سبتمبر ١٩٨٦ عين وكيلاً لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

- في سنة ١٩٨٨ عين عضواً بالمركز الدولي للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- تولى عمادة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا سنة ١٩٩١.
- تولى الإشراف على كلية القرآن الكريم سنة ١٩٩٢ م ثم صدر القرار بتوليه عمادة كلية القرآن سنة ٢٠٠١م.
- قام بالإشراف علي العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه وناقش بضع عشرة رسالة.
- يقوم بإعطاء دروس التفسير بالمسجد الأحمدي بطنطا وبمسجد الحصري بمدينة السادس من أكتوبر أسبوعياً.
- يذاع له بإذاعة القرآن الكريم برنامج آل البيت وقد نافت حلقاته على الثلاثمائة حلقة، شارك في عدة برامج تليفزيونية بالتليفزيون المصري والفضائيات.
- يقوم حالياً بتدريس مادة التصوف بالكلية الصوفية بمقر العشيرة المحمدية بالدراسة.
- صدر له خمسة عشر مؤلفا بخلاف عشرات البحوث والمقالات بالمجلات الإسلامية، فمن كتبه:

١ - حقيقة الإيمان ودعائمه في ضوء القرآن الكريم، بحث مخطوط نال به درجة التخصص «الماجستير» عام ١٩٧٠م.

٢- الواحدي ومنهجه في التفسير. وهو بحثه الذي نال به درجة الدكتوراه وصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٩م.

٣- تدبر أسرار التنزيل، دراسة تحليلية في التفسير والتأويل. صدر في ثلاثة أجزاء طبع أولها سنة ١٩٨١ وثانيها سنة ١٩٨٥ وثالثها سنة ١٩٨٦ مطابع دار التراث العربي ومطبعة نفرتيتي.

٤- قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل. صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨١ من دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٥- ثمار الجنان في أفنان من علوم القرآن. صدر سنة ١٩٨٣م ط. دار الرسالة بالمشهد الحسيني بالقاهرة.

٦- تربية المجتمع المسلم بالمبادئ الربانية المثلى كما تجسدها سورة الحجرات، صدر سنة ١٩٨٤ ط. مطبعة نفرتيتي بالقاهرة.

٧- هدي النيرين في سيرة سيد الكونين ﷺ صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨٤م.

٨- فتح الملك العلام في تفسير سورة الأنعام. دراسة تفسيرية تحليلية، صدر الجزء الأول منها في نسخة خطية على الاستينسل سنة ١٩٨٥م.

٩- أنوار التبيان في تفسير سورة «يس» قلب القرآن، صدر جزء منه. ط. نفرتيتي سنة ١٩٨٦.

١٠- دراسات في الحديث النبوي الشريف. مخطوطة صنفت سنة ١٩٨١م.

١١- النفحات الجودية في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية ومناقب مولانا الشيخ جودة إبراهيم قدس الله سره، وهو هذا الكتاب.

١٢- المنهج الصوفي للطريقة النقشبندية «تحت الطبع».

١٣- المعالم الصوفية في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، بحث نشر بمجلة كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٨٨ وهو قسم من دراسة شاملة تحت عنوان أصول التصوف في القرآن الكريم والسنة المحمدية.

١٤- تفسير سورة النور. مادة علمية إذاعية أذيعت في اثنتين وثلاثين حلقة بإذاعة الشعب سنة ١٩٨٥ .

١٥- بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية — دار غريب — ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

١٦- حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي — دار جوامع الكلم — ٢٠٠٤م.

وكتابنا هذا صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٨ وطبعتنا الحالية طبعة مزيدة ومنقحة ومحدثة.

وله غير ذلك من المؤلفات يضيق عنها الحصر.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس موضـــوعات الكتاب